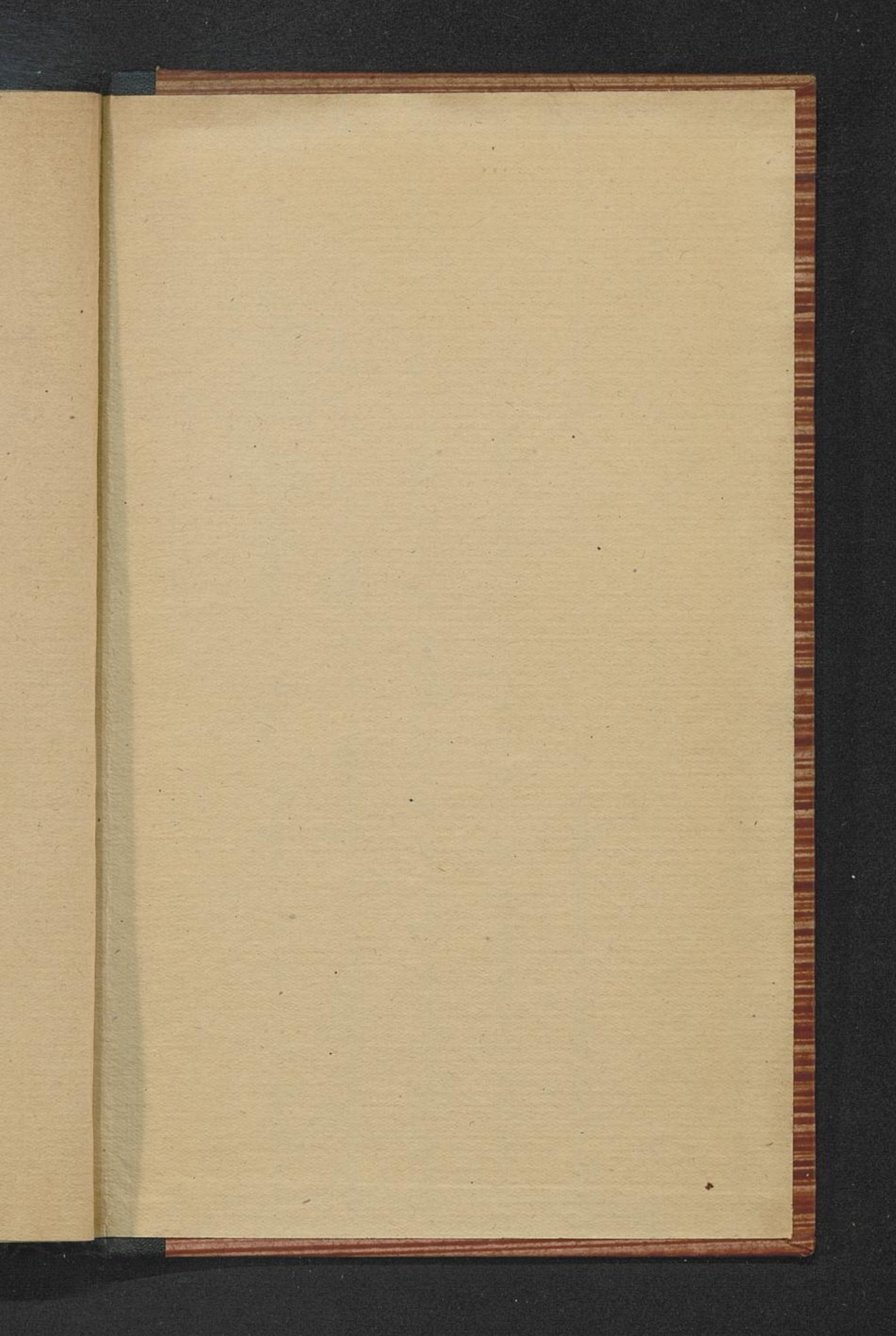
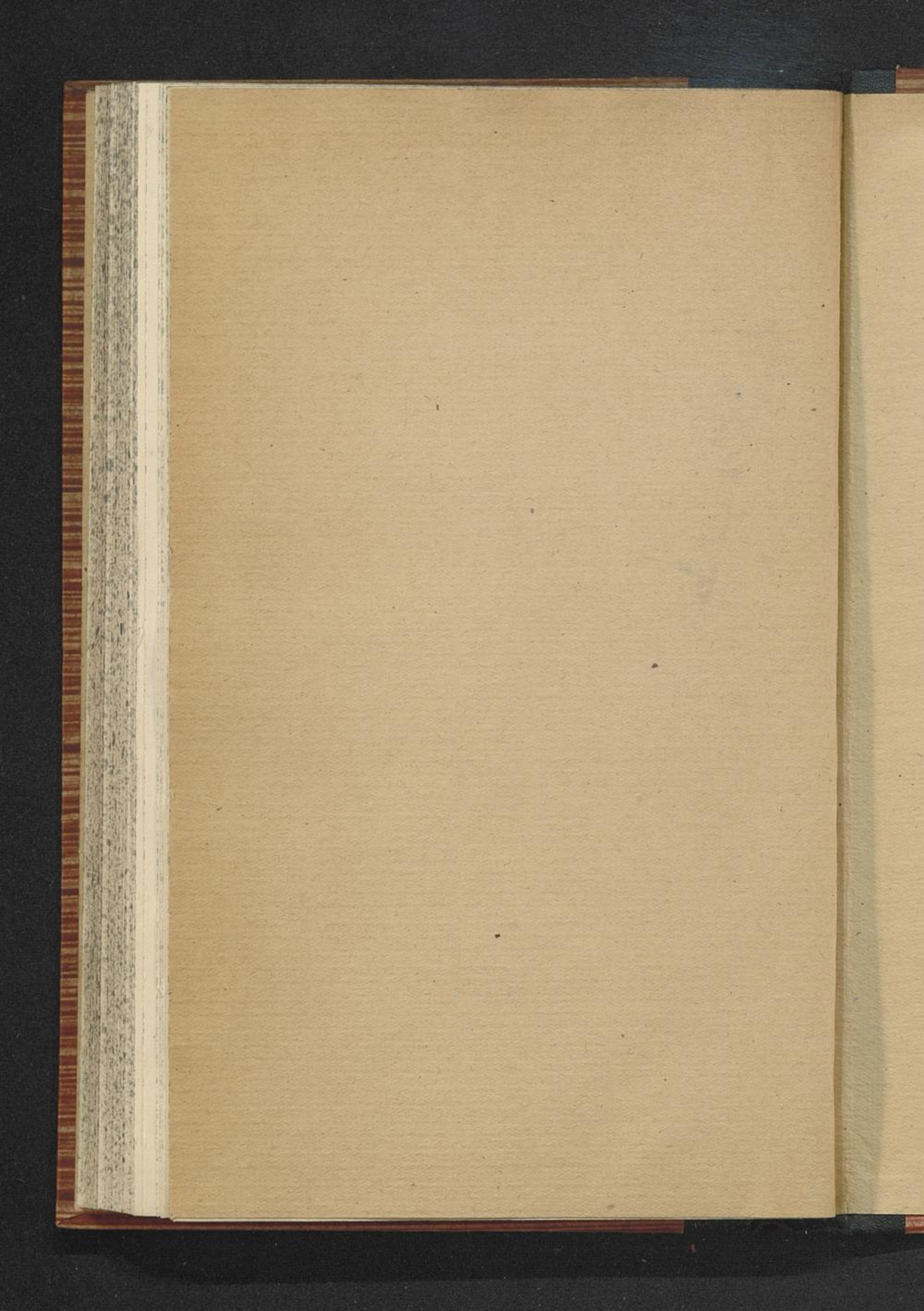
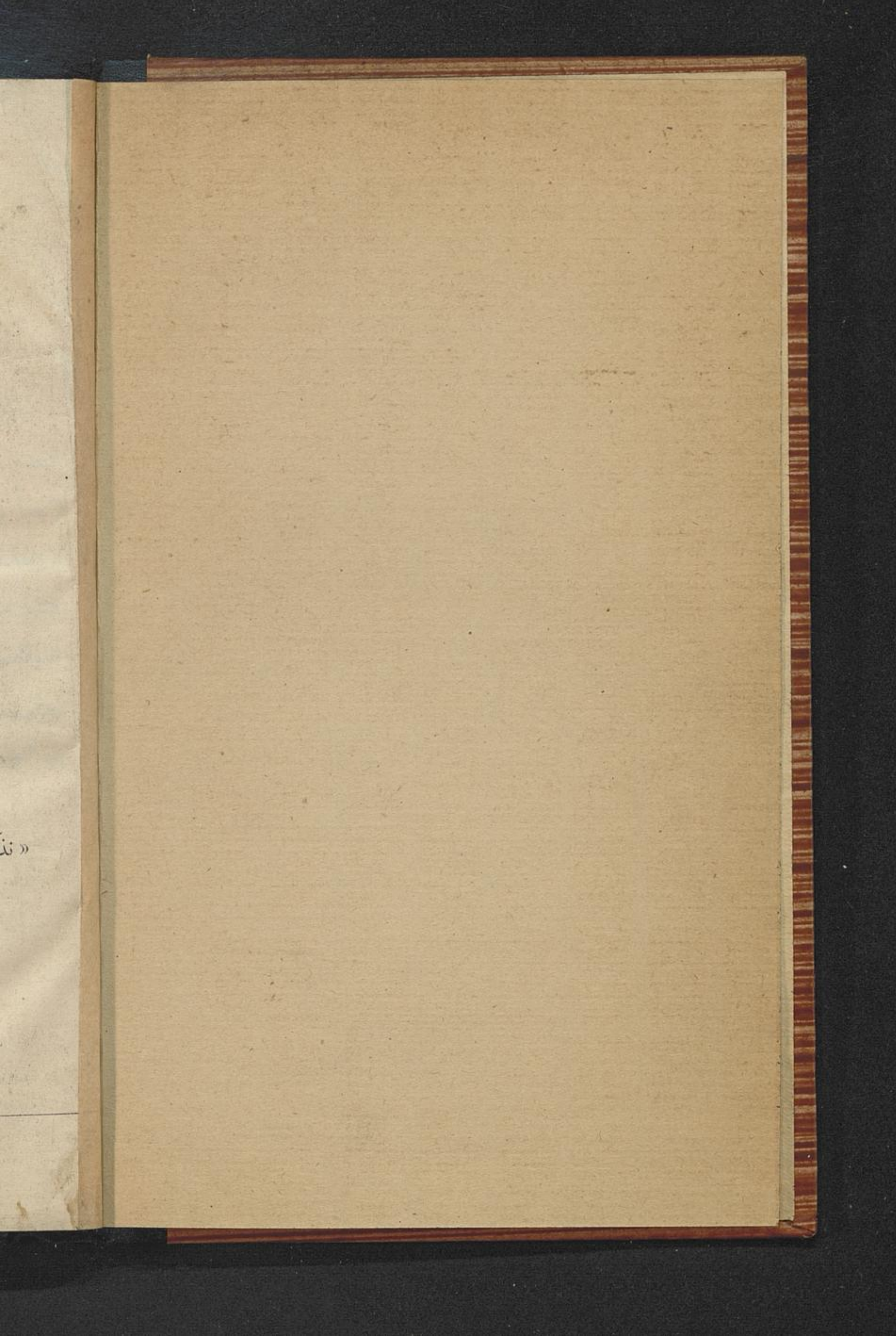








ترجمة

ابينا المغبوط

اسطفانوس بطرس الدويهي

بطريرك انطاكية

(١٦٣٠ — ١٧٠٤)

« نذكر اباءنا الذين علمونا في حياتهم ان نكون ابناء الله »

مطبعة النهضة — بيروت * سنة ١٩١٣

وضـ

التقصير و

لا يعبأ به

الازمنة فا

ومثلنا مثل

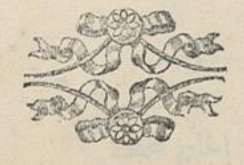
المخلوقات ف

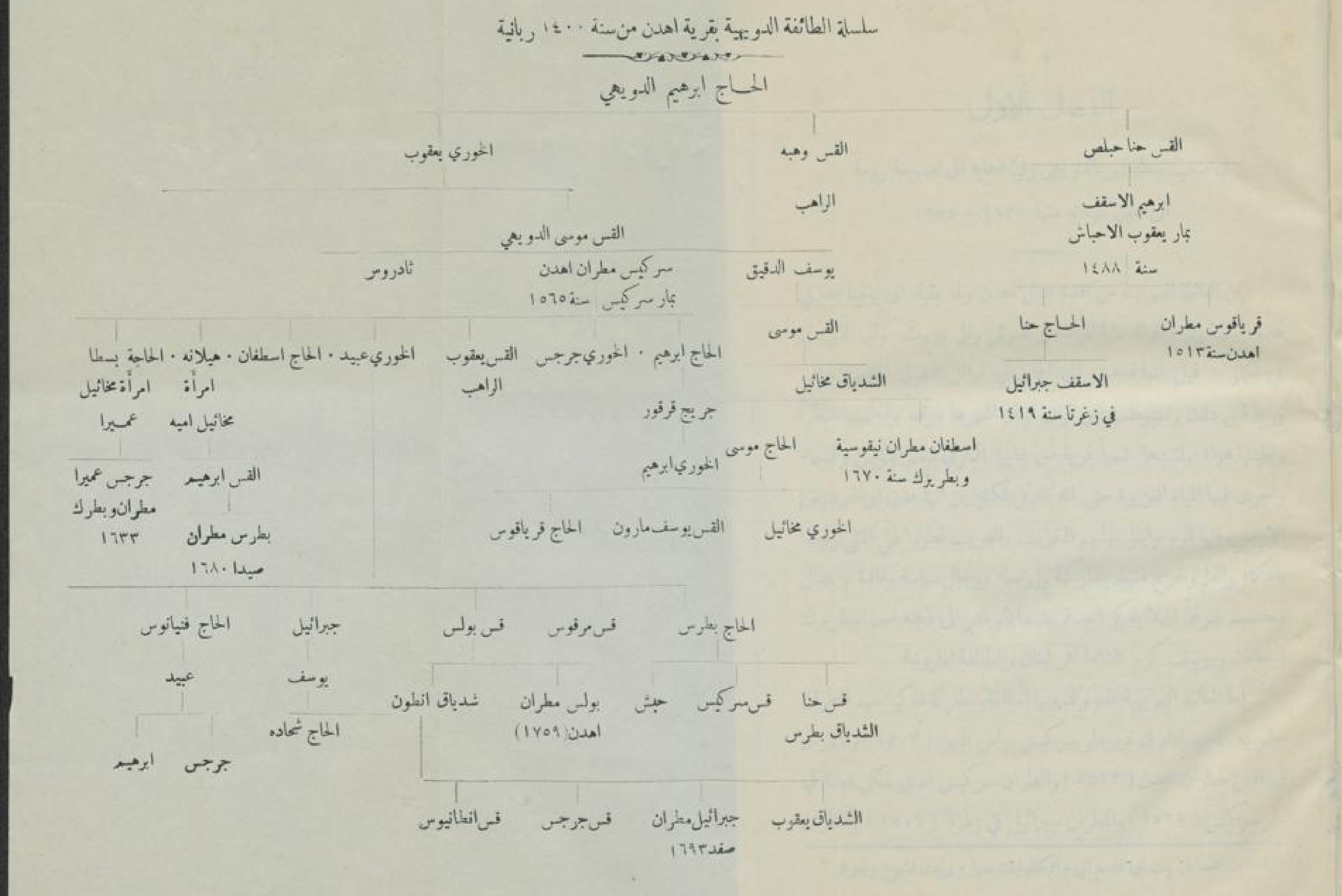
يروق

ولي التوفيق

كلمة الى القاري

وضعنا هذه الترجمة واقدمنا عَلَى نشرها بالطبع · وفي النفس اعتقاد التقصير وفي العين انتقاد العمل · فان وجدت الحوادث التي سردناها مما لا يعبأ به او استغربت اننا ضممناها الى بعضها لا يجمعها غير رابطة تعاقب الازمنة فانما فعلنا ذلك عن اضطرار وحرصاً عَلَى ما وصل الينا من اخبارها ومثلنا مثل من تعذر عليه بناء هيكل نخيم مجسمة عَلَى جدرانه صور المخلوقات فنقشها بالالوان ورصعها بالفسيفساء · وامنية العامل والكاتب ان يروق عملهما ويفيد وينال لهما المعذرة عن العجز والتقصير · والله ولي التوفيق




سلسلة الطائفة الدويهية بقرية اهدن من سنة ١٤٠٠ ربانية
الحاج ابرهيم الدويهي
القس حنا حبلص
القس وهبه
الخوري يعقوب
ابرهيم الاسقف
بمار يعقوب الاحباش
سنة ١٤٨٨
الراهب
القس موسى الدويهي
يوسف الدقيق
سركيس مطران اهدن
بمار سركيس سنة ١٥٦٥
ثادروس
قرياقوس مطران
اهدن سنة ١٥١٣
الحاج حنا
القس موسى
الاسقف جبرائيل
في زغرتا سنة ١٤١٩
الشدياق مخائيل
الحاج ابرهيم · الخوري جرجس
القس يعقوب
الراهب
الخوري عبيد · الحاج اسطفان · هيلانه · الحاجة بسطا
امرأة
مخائيل اميه
امرأة مخائيل
عميرا
جريج قرقور
اسطفان مطران نيقوسية
وبطريرك سنة ١٦٧٠
الحاج موسى
الخوري ابرهيم
القس ابرهيم
بطرس مطران
صيدا ١٦٨٠
جرجس عميرا
مطران وبطرك
١٦٣٣
الخوري مخائيل
القس يوسف مارون
الحاج قرياقوس
الحاج بطرس
قس مرقوس
قس بولس
جبرائيل
الحاج فنيانوس
قس حنا
الشدياق بطرس
قس سركيس
جبش
بولس مطران
اهدن (١٧٥٩)
شدياق انطون
يوسف
الحاج شحاده
عبيد
جرجس
ابرهيم
الشدياق يعقوب
جبرائيل مطران
صفد ١٦٩٣
قس جرجس
قس انطانيوس

ان
هذه القـ
في عكار
وربما قبل
واطيبها
واجرى
الارضي
بالذكاء و
وحسبهم
اسطفان
اما
يعقوب
قرياقس
مار سركـ

الفصل الاول

في نسب اسطفانس الدويهي وفي ذهابه الى مدرسة رومة الى حين عودته منها ١٦٣٠ – ١٦٥٥

ان العائلة الدويهية من اقدم عيال اهدن ولها بقية الى يومنا هذا في هذه القصبة ونزح افراد منها الى مجدل معوش والى بيروت[١] والى الذريب في عكار · قيل انها قدمت الى اهدن في اوائل القرن الخامس عشر وربما قبل ذلك واستوطنت من قرى لبنان اشهرها موقعاً واحسنها منظراً واطيبها هواءً واشدها شعباً قرية منَّ عليها الباري بنعم الارض والسماء واجرى فيها المياه الغزيرة حتى انه خُيّل لكثيرين انها عدن او الفردوس الارضي وفيها قوم بواسل يهابهم القريب والغريب فطروا عَلَى التقى ونبغوا بالذكاء والعلم وخرج منهم بطاركة ورؤساء ورجال سياسة وقادة وابطال وحسبهم شرفاً ان لا يذكر احد قريتهم الا وبادر الى ذهنه اسم البطريرك اسطفان ويوسف كرم كلاهما فخر لبنان والطائفة المارونية

اما العائلة الدويهية فقد وُلد منها اساقفة وبطاركة نذكر منهم المطران يعقوب الذي اقام في دير مار سركيس راس النهر (١٥٠٣) والمطران قرياقس مطران اهدن (١٥١٣) والمطران سركيس الذي سكن ايضاً في مار سركيس (١٥٦٥) والمطران جبرائيل في زغرتا (١٥١٩) والمطران

---

١ · سمعنا ان بيت ابي قاسم الروم الكاثوليك منها · وبيت قشوع وغيرهم

جرجس عميرا الذي صار بطريركاً سنة ١٦٣٣ [١] والمطران بولس مطران اهدن الذي يدعوه البطريرك اسطفان ابن عمه (١٦٥٩) والمطران جبرائيل مطران صفد (١٦٩٣) والبطريرك اسطفان والمطران اسطفان الثاني (١٧٢٨) والثالث (١٨١٠) . وقد حفظ لنا البطريرك اسطفان سلسلة هذه العائلة المباركة فنثبتها هنا لئلا تتلاعب بها ايدي الضياع : [٢]

---

١ . كانت ام البطريرك جرجس بنت المطران سركيس الدويهي (١٥٦٥)

٢ . وقد عثرت على بعض افادات عن الدويهيين علقها على كتاب قداس خطه يده المطران اسطفان « الثاني » الدويهي (في مدرسة ريفون) وهذا نصها بالحرف :

سنة ١٧٠٤ في ٣ ايار انتقل الى رحمة الله البطرك اسطفان وكان انتقاله في دير قنو بين الكرسي

سنة ١٧٠٥ توفي والدي الخوري يوسف « اظنه ابن اخي البطرك » اول كانون الاول في عندقت في بلاد عكار

سنة ١٧٠٦ في ٢١ تشرين الثاني ارتسمت كاهن من يد المطران جرجس الكاروز (وتسمي يوسف باسم ابيه واصل اسمه صالح)

سنة ١٧٠٩ في ٣٠ حزيران توفي اخي شماس فرنسيس في كفرحي بلاد البترون

سنة ١٧١٢ في ٢٩ اذار قبلت وظيفة البردوطية على كنيسة مار مخائيل طرابلس من يد المطران جبرائيل

سنة ١٧٢٣ في ٢٥ تموز توفي اخي خوري وهبه وكانت وفاته في طرابلس

سنة ١٧٢٧ في ٩ شباط توفيت بنتي هيلانه في مدينة طرابلس

سنة ١٧٢٨ في ٢٠ تشرين الاول ارتقيت الى درجة المطرنية في دير مار شليطا على كرسي البترون من يد قدس السيد النبيل البطرك يعقوب عواد الحصروني

انتقلت الى رحمة الله والدتنا في زغرتا

انتقل الى رحمة الله اخي خوري عبدالله

انتقلت الى رحمة الله بنت بنتنا غاليه في ٥ تموز سنة ١٧٥٣

اما الحوادث التي طرأت عَلَى هذه العائلة فقد حُفظ لنا ذكر بعضها في مخطوطات البطريرك اسطفان منها انه سنة ١٣٥٠ رُقي الى المطرنية عَلَى اهدن برضا اهلها الراهب انطون ابن الحاج فرحات الحصروني لان امه كانت من الطائفة الدويهية وهو تربى عند اخواله في دير مار يعقوب وسكن في دير مار سركيس رأس النهر [١] وكان يعرف العربية والتركية جيداً فارسله البطريرك موسى العكاري لتأدية واجب الخضوع للسلطان سليمان الثاني حين قدومه الى مدينة حلب وبنى كنيسة السيدة في دير مار سركيس ولما تعدى احد مطارنة الروم عَلَى حقوق بطريرك الموارنة وجمع العشور من الموارنة في بلاد عرقا وعكار اقام عليه المطران انطون الدعوى وحُكم عَلَى مطران الروم وأُجبر على ترك عشور رعيته في تلك البلاد سبع سنوات الى ان يأخذ مطران الموارنة ما ذهب من حقوقه

وسنة ١٥٧٢ استولى المسلمون عَلَى الاوقاف والاديار وجعلوا ارزاقها بكليكاً ولما خربت الارزاق والاملاك الزموا اصحابها بدفع ثمنها ليستفكوها ومن تعجز عن ذلك اكرهوه عَلَى الدفع بالسيف عنوةً كما جرى للدويهيين

انتقل الى رحمة الله ابن اخينا شدياق جرجس

انتقل الى رحمة الله اخي تادرس في ١٠ ايار سنة ١٧٥٨ وكان انتقاله في دير ريفون في كسروان . اه

(والمطران اسطفان المذكور توفي في دير ريفون في تلك الاونة)

١ . هذا الدير من الاديار القديمة في لبنان واظن ان الوقف المثبت في فهرس المكتبة المديشية لاسطفان عواد السمعاني ص ٣٤ يشير اليه سنة ١٥٠٩ يونانية (١١٩٨ م)

الذين كانوا متولين اوقاف دير مار سركيس ومار بطرس في اهدن وحكموا عَلَى القس موسى بن يوسف الدقيق اخ المطران سركيس بالموت عَلَى الخازوق ثم استفك دير مار سركيس بيت الجاموس قضاة طرابلس واشتروه من ادارة البكليك وبعد ذلك اشتراه الدويهيون [١]

سنة ١٥٧٧ كانت وفاة المطران سركيس الدويهي قال عنه البطريرك اسطفان : كان ركناً حصيناً وراعياً ذكيا اعتنى بارشاد النفوس وبناء الكنائس والاديرة ٠ استمر في الرياسة اثنتي عشرة سنة الا شهر واحد ٠ وخلف قبل الاسقفية خمسة بنين ما عدا البنات وكلهم خدموا البيعة وافادوا المؤمنين وهم الخوري عبيد والخوري جرجس والقس يعقوب والحاج اسطفان الراهب والحاج ابرهيم

اما القس يعقوب الدويهي خال البطريرك جرجس عميرا فكان ساكناً في دير مار يعقوب واشتهر بتعليم الاولاد وتلمذ نحو مائة كاهن منهم البطريرك يوحنا الصفراوي والبطريرك جرجس السابق ذكره قال

---

١ ٠ وفي سجل الدويهي بخط يده ص ٧٦١ : في السنة المذكورة (٩٨٠ هجرية) في اليوم العاشر من جمادى الاخر ناصر الدين غلبي بن كرامة بالوكالة عن علي غلبي افندي صاحب الولاية الشامية اشترى من الشيخ شهاب الدين خطيب البرطاسية وقف كنيسة رأس النهر في قرية اهدن بخمسة عشر سلطاني وسنة ١٦٠٢ اقيم المطران مخائيل من بيت عبيد ابن اخت المطران يوحنا على دير مرت مورا واراد يمكث مع خاله في دير مار سركيس فلم تقبل بذلك العائلة الدويهية فخرق صك الدير الذي كان عند خاله فنزلوا الى طرابلس الى المفتي ابن الجاموس وكتبوا صكاً آخر عن رزنامة المدينة

عنه الدويهي : اعطاه الرب اناة الروح والخيرات فاعطى من ماله لدير قنوبين اربعة الاف قرش فضة · اه

اما اسطفانس الدويهي فهو ابن الشدياق مخائيل ابن القس موسى بن يوسف الدقيق ابن القس موسى ابن الخوري يعقوب ابن الحاج ابرهيم الدويهي · ولد في قرية اهدن في اليوم الثاني من شهر اب سنة ١٦٣٠ يوم تذكار اسطفانس رئيس الشمامسة واول الشهداء · فدعاه والداه باسم هذا القديس كعادة كثيرين من المسيحيين الذين يختارون شفيعاً لاولادهم احد القديسين الذين تكرمهم الكنيسة يوم ولادتهم · واسم امه الحاجة مريم وكانت من العائلة الدويهية ايضاً · وكان له اخ واحد يعرف بالحاج موسى رُزق ثلاثة بنين وهم الخوري مخائيل والقس يوسف والحاج قرياقس

كانت ولادة اسطفان الدويهي في ايام الامير فخر الدين المعني الذي نشر عَلَى الجبل اعلام الامن والراحة وسهل للموارنة الاقامة في كسروان والمقاطعات الجنوبية وبناء الاديار فيها · وكان اسطفان ابن ثلاث سنوات لما توفي ابوه مخائيل الدويهي سنة ١٦٣٣ وتركه يتيماً · لكن الرب ظلله بجناحيه واعتنى به كالام الحنون لانه اعده ليكون اناء مختاراً ويحمل اسمه بين الشعوب ·

وفي السابع والعشرين من السنة المذكورة جلس عَلَى الكرسي الانطاكي البطريرك جرجس عميرا · وصار ضيق عظيم واضطهاد عَلَى الكرسي البطريركي عَلَى اثر الحروب التي وقعت آوانئذٍ بين الامير فخر الدين وآل سيفا · وسنة ١٦٣٨ نهب الامير عساف منصور ابن سيفا دير

قزحيا وسلب كل ما وجد فيه واذاق المطارين والرهبان امرّ العذابات البربرية ٠

اما اسطفان فمنذ نعومة اظفاره ارسلته امه الى مدرسة القرية لاكتساب العلم والادب وكان التدريس في ذلك العصر مقصوراً عَلَى معرفة اللغة السريانية واصولها واتقان الكتابة بحروفها وعَلَى معرفة مبادي الديانة وطقوس كنيستنا المارونية وقد تذكرناه حين زرنا اهدن وشاهدنا اولادها في دار كنيسة مار ماما يصيحون متمرنين عَلَى هجاء اللغة العربية والسريانية في ظل الاشجار وفي حمى ذلك الهيكل القديم ٠

قال البطريرك اسطفان عن نفسه : منذ الصبا سلمنا والدانا الى القراءة السريانية ٠ اه

فسبق اقرانه واظهر سمو عقله مذ ذاك الوقت ومال كل الميل الى العلم ٠ وكان انصبابه على الدرس مشفوعاً بالتقوى كأنه ادرك من صغره ان العلم ليس بشيء بدون خوف الله ٠ وعشق العلوم حسب قول مؤرخ حياته البطريرك سمعان عواد فاختاره البطريرك جرجس عميرا الاهدني وارسله الى مدرسة الطائفة في رومة العظمى

ولا بد هنا من التلميح الى مناقب هذا البطريرك الغيور المفضل عَلَى علامتنا الدويهي فانه كان ابن مخائيل بن عميرا من اهدن وامه الحاجة بسطا بنت سركيس بنت القس موسى الدويهي [1] تهذب في مدرسة رومة وصنف اغرمطيقاً مطولاً للسريانية وبرهن عن اقدمية هذه اللغة عَلَى سائر اللغات

---

١ ٠ وبيت عميرا انقطعت سلالتهم من اهدن وقيل ان بعضهم نزح الى مجدل معوش

واشتهر اسمه في رومة وتعين له معاش سنوي الى اخر حياته وبعد رجوعه الى بلاده ارتقى الى رياسة الكهنوت وجلس عَلَى كرسي اهدن ثلاثاً وثلاثين سنة واقتنى له ارزاقاً وكان يرشد شعبه في طريق البرّ ويعول الايتام · ثم ترجم للامير فخر الدين المعني كتاب هندسة في بناء الابراج فعفى الامير المومأ اليه ارزاق كرسيه من دفع الخراج القانوني · وبعد ان جلس عَلَى السدة البطريركية نحو عشر سنوات توفاه الله بشيخوخة صالحة سنة ١٦٤٤ [١] وروى الدويهي انه لما توفي البطريرك يوحنا الصفراوي واتوا بجثته ليدفنوها في مغارة القديسة مارينا شوهد جسد البطريرك جرجس محفوظاً بغير فساد لا ينقصه سوى الروح والنطق دليلاً عَلَى طهارة سيرته ونسك حياته

ومن الذين خبروا اسطفانس وسعوا بتسفيره الى رومة المطران الياس الاهدني ويسميه البطريرك سمعان عواد عمه وهو المطران الياس بن يوحنا من عائلة الصراصرة من اهدن اقيم مطراناً عَلَى كرسي اهدن سنة ١٦٣٨ بعد وفاة المطران عبد الله الاهدني وهو الذي فتح سوق القلعة الشرقي بقرية زغرتا وضمه الى الكنيسة وكانت وفاته سنة ١٦٥٩ وخلفه في اهدن القس بولس ابن القس بولس عبيد ابن الاسقف سركيس الدويهي [٢] فسافر الى رومة برفقة القس سمعان التولوني [٣] والشماس يوسف فتيان

١ · عن الدويهي · — ٢ · عن تاريخ الازمنة

٣ · كان من رهبان مار انطونيوس وعنه يقول الياس الغزيري في الزجلية التي وضعها لتلاميذ مدرسة رومة :

قسيس سمعان تولاني كان قديس بالرهباني اريده يطلب من ثاني حتى

الحصروني وكلاهما من تلامذة المدرسة الرومانية ومع ثلاثة تلاميذ آخرين اي يوسف الرامي من رام البترون الذي عُرف برومة باسم بولس التولوني واخيه بطرس وهما ابنا اخت القس سمعان المذكور وبطرس ابن القس ابرهيم من بيت اميه من اهدن وهو ابن عم اسطفان الدويهي (١)

انجو من الخطية : قبره في بشعله موجود في لزق الحائط ممدود في كنيسة العذرا ام الجود يشفي وجع البردية : قبره يقصده الاعوام والموجوع فوق منه ينام يوماً واحد من الايام يشفى من كل بلية : قبل موته في يوم واحد انباه الله على واكد كهنة هل ضيعه تشهد ومعهم اكابر مسمية : وهو كان معروف من سيرته ومن اتضاعه ومن غيرته حافظ قانون رهبنته الطهاره والعفيّة :

وقد ذكرته مجلة المشرق في العدد ١٧ (ص ٧٧٠) سنة ١٩٠٣) واثبتت رسمه فراجعها.

(١) يوسف الرامي بعد ان درس سنتين الفلسفة حكم عليه الاطباء بالرجوع الى بلاده فبرح رومة في اوائل الخريف سنة ١٦٤٩ ولبس اسكيم مار انطونيوس ورقي الى درجة الكهنوت وعلم الاحداث في عشقوت وبسكنتا وقبرس وبيت شباب وبنى دير مار جرجس بجردق في ارض بيت شباب واقيم بردوطاً عليه وفيه توفي في اوائل عام ١٧٠٢ . واخوه بطرس تزوج في بيت شباب ومات فيها . اما بطرس ابن القس ابرهيم الاهدني فكان عمره عشر سنوات لما ذهب الى رومة وبعد ان درس الفلسفة واللاهوت الادبي عاد الى بلاده بامر الاطباء واقتبل الكهنوت المقدس وسكن دير مار قبريانس في اهدن وكان ذا خط جميل في الحرف العربي والسرياني والافرنجي ولذلك عينه البطريرك اسطفان كاتباً عنده ثم رقاه في ٢١ تموز سنة ١٦٨٠ الى مطرنية صيدا بحضور ومعاونة المطران جرجس حبقوق البشعلاني والمطران يوسف شمعون الحصروني وسلك بكل تقوى ونشاط ثم مرض في البهلولية من اعمال اللاذقية حيث كان منفذاً من البطريرك لزيارة الرعية فحملوه الى وادي صفرا حيث مات في اليوم السادس من ايار سنة ١٦٨٣

وكان وصولهم الى رومة في شهر حزيران سنة ١٦٤١ . وكانت المدرسة زاهرة محترمة لدى اهل العلم في البلاد الغربية لاجل الخدمة التي قام بها تلامذتها منذ تأسيسها وقد انشأها البابا غريغوريوس الثالث عشر ذو الذكر الصالح الذي ابدى للشرقيين عموماً ولطائفتنا المارونية بالخصوص انعطافاً ابوياً . واذ علم حاجة كنيستنا الى كهنة متفقهين ورؤساء غيورين امر ان تقام لنا مدرسة في عاصمة الكثلكة تحت رعاية وحماية الاحبار الرومانيين خلفاء زعيم الرسل وكان ذلك سنة ١٥٨٤ وكان مساعداً له في هذا المشروع الخيري الكردينال انطونيوس كرافا الذي له من الفضل والمآثر ما لا يمحو ذكره كرور الاجيال وكان يحب المدرسة المارونية حباً جزيلاً حتى انه وقف عليها جميع متروكاته . فاتت هذه الحديقة المقدسة باثمار صالحة وبرز من هذا المعهد رجال اشتهروا بسعة العلم وعظم الفضيلة نخص منهم بالذكر اسحق الشدراوي ويوحنا الحصروني وجبرائيل الصهيوني الاهدني ونصر الله شلق العاقوري وجرجس عميرا وابرهيم جرجس الحلبي اليسوعي الذي مات شهيداً وابرهيم الحاقلي ومرهج نمرون الباني ما عدا الملافنة الفطاحل الذين خرجوا منها بعد الدويهي . وامر البابا غريغوريوس المذكور بطبع الكتب اللازمة لخدمة الجلال الالهي ولفائدة المؤمنين منها كتاب القداس والشبية والزامير . الخ . وقد لمحنا الى اعماله الخطيرة وان ابعد ذلك عن موضوع كلامنا لاعتقادنا ان الاعتراف بجميل المحسنين امر واجب وهو من الفضائل المرضية لله والممدوحة من الناس . واعمال هذا الحبر المغبوط اوشكت ان تنسى وهي جديرة بان تكتب باحرف ذهبية على

صفحات قلوبنا لنردد ذكرها مدى الاحقاب

هذه هي المدرسة التي قدم اليها اسطفانوس وكان ابن احدى عشرة سنة ولا ريب انه وضع نصب عينيه مثال من سلفه من التلامذة المجتهدين فحذا حذوهم في ممارسة الفضيلة والكد باقتباس العلوم · وقبله فيها الاب ترويلس بسكويتوس الروماني اليسوعي [١] الذي كان وقتئذٍ رئيس المدرسة [٢] وادخله بين التلاميذ وهون عليه صعوبات الغربة وسهل له السلوك في عوائد كان يجهلها وقوانين لم يألفها في مدرسة اهدن · فنجع فيه اعتناء الروساء وعكف عَلَى الدرس بكل ما فطر عليه من الحماسة الاهدنية وسبق رفاقه وفاقهم وبالحق قال عنه سمعان عواد في ترجمة حياته انه سبقهم «على شبه النسر الذي يفوق كل الطيور بالطيران ... وكان يلالي بين اولاد المدارس كالشمس بين الكواكب» · وكان اجتهاده في الدرس مقروناً بعبادة حارة زادها العلم رونقاً وصار لها العقل اساساً وسراجاً · وكان اسطفانس اين العريكة رقيق الطبع وديعاً متصفاً بكل ما يستميل الناس ويجتذب محبة القلوب · فهذه السجايا الحميدة هبة من الله للمصطفين تأخذ كمالها من كمال العمر وترسخ في النفس مع نمو الفضايل المسيحية فيها وهي التي جعلت اسطفانس معتبراً محبوباً من الجميع فحسبه اخوته كالكبير بينهم معترفين بسمو عقله مكرمين فضائله لا يقاومه احدٌ منهم ولا يعارضه

---

١ · ان المدرسة كانت تحت تدبير اباء الرهبنة اليسوعية الافاضل وكل ما نتج عنها من الخير كان بسعيهم المتواصل وعنايتهم النيرة

٢ · ترأس ادارة المدرسة من سنة ١٦٣٨ الى سنة ١٦٤٤

معارض · قال احد مؤرخي حياته انه كان ينمو كالسوسن جامعاً لطف الاخلاق وطيب عرف الفضيلة وطهارة السيرة والسريرة

اما معلموه وبمقدمتهم الاب ترويلس المنوه به فبعد ان اختبروه وعرفوه بنوا عليه آمـالاً كبيرة لاطلاعهم عَلَى باطنه وظاهره · واتقن اسطفانس درس اللغة اللاتينية واحكم الفصاحة والعلوم المنطيقية والرياضية بيد ان كده واجتهاده في سبيل العلم والمعارف سبب له مرضاً اوقفه عن الدرس ولما تعافى عاد الى ما كان عليه قبلاً من الاجتهاد · قال سمعان عواد : ذكر لنا هو نفسه انه كان يواظب الدرس والعلم في كل آن وفي كل مكان حتى في الاماكن العامة — يريد بها الاسواق وشوارع المدينة — وفي وقت اللعب والتنزه · وكان يقوم في الليل وينوّر سراجه ويقرأ بعض الاوقات ساعة او ساعتين او ثلاث او اربع · وما زال يفعل هكذا حتى عدم بصره · اه · فحزن معلمه البادري ترويلس لما شاهده في هذه الحالة لا يقدر يطالع ولا يكتب ملازماً غرفته · وطال المرض كثيراً فاحتمل اسطفانس كل ذلك بصبر وفرح ولم يشق عليـه سوى شيء واحد وهو اضطراره الى الانقطاع عن الدرس والقراءة فاحتال عَلَى المرض بهـذه الحيلة وهي انه كان يستدعي بعض رفاقه ويكلفهم ان يتلوا عليه ما أُلقي عَلَى مسامعهم وبهذه الواسطة لم يخسر شيئاً ولم يفته قضية مما كانوا يسمعون بل كان يفسر لهم ما غمض وما اشكل عليهم · وفي غضون ذلك كان المرض يقوى دون امل شفـاء قريب · فلما رأى ذلك رئيس المدرسة همّ بارجاعه الى لبنان فعلم اسطفان بقصده هذا واعتراه غمٌّ لا يوصف لجندي

جرح في بدء العمعة وامسى عاجزاً عن خدمة وطنه او كرجل يرى بغتةً خيبة آمال كبيرة لعلة لا دواء لها ولا مناص منها · ولما درى ان العلاجات والوسائط البشرية لم تنجع التجأ الى تلك التي لا يعسر امر عَلَى شفاعتها القديرة ولساعته نزل الى الكنيسة وخرّ امام ايقونة العذراء مريم وابتهل اليها من صميم فؤاده ونذر لها نذراً الزم ذاته به ان التمست له الشفاء من ابنها المجيد · وفي الحال بعد ان فاه بنذره رجع نظره اليه وصار احسن مما كان قبل ابتلائه بالمرض المذكور · ومنذ ذلك اليوم لم يفقد شيئاً من حدة نظره طول حياته رغماً عن اكبابه عَلَى الدرس والتأليف الى اخر ايامه وشهد بعض من عرفه انه في شيخوخته كان يقرأ الخطوط الدقيقة دون نظارات · وكان لشفائه فرح عظيم عند الجميع وقدموا معه الشكر لله تعالى ولتلك التي استجابت دعاه كلام الشفوق · اما النذر الذي اوجبه عَلَى ذاته فلم يخبر احداً به · وطلب اليه كثيرون من اصدقائه فيما بعد ان يكشفه لهم فأبى وكان يقول انه شيء يسير وكان يظهر الاندهال كيف ان البتول قبلته ومنت عليه بالشفاء لاجله

هذا حدث اذ كان اسطفانس في منتصف مدة دروسه اي لما كان في صف الفلسفة · ولما اتم درس الفلسفة سعى باقامة محاورات كما هي العادة في المدارس الرومانية · وقد اخبرنا البطاريرك اسطفان نفسه في رسالة انفذها سنة ١٧٠١ الى الاب بطرس مبارك الشهير [1] عن هذه

---

١ · كتب هذه الرسالة سنة ١٧٠١ ليأخذ منها مختصر ترجمة الدويهي ويصدّر بها تآليفه التي كان نقلها الى اللاتينية وعزم على نشرها بالطبع · وسنأتي بذكرها كثيراً

المحاورات انها كانت انقطعت في مدرستنا فاخذ يسعى بتجديد عادتها لما فيها من الفوائد للطلبة ومن حسن السمعة في الخارج وطلب ذلك بالحاح من المعلمين ومن الجنرال اي رئيس الرهبنة اليسوعية العام . وجعل الاجتماعات المشار اليها تحت حماية السيدة الطاهرة . واخذ التلامذة يجتمعون في اوقات معلومة ويُعطى لبعضهم او لكلٍ منهم موضوع ينشئه ليلقيه عَلَى مسامع الحاضرين ويرد عَلَى المعترضين مدافعاً عن رأيه لكي يعتادوا بهذه الطريقة ابراز تصوراتهم وافكارهم بالكلام الصحيح الفصيح والوقوف في محضر الناس ناهيك عما يرافق هذه الحفلات من الراحة والتنشيط للاولاد

ولما اتم الدروس الفلسفية سنة ١٦٥٠ جرى عليه الفحص عَلى الطريقة المألوفة في الكليات اي ان التلميذ يثبت قضيةً ما وبعد اثباتها يعترض عليه المعلمون ومن شاء من الحاضرين وهو يرد اعتراضهم فان نجح حاز الاكليل ومأذونية التعليم والاَّ فلا . واسطفان يخبرنا انه قام بهذه المحاورة عَلَى اسم الكردينال كابون يعني بذلك انها جرت تحت حماية الكردينال المذكور وربما برئاسته والقضية التي وضعها اسطفان في هذه المناسبة حظيت باستحسان الحضور وامر الكردينال الموما اليه ان تنشر بالطبع [1] ومن هذه المناقشة المدرسية عرف كثيرون ماكان عليه اسطفان من الذكاء والنباهة وذاع صيته في البلاد الايطالية واثنى عليه كل من سمعه او سمع به حتى

[1] . هذا عنوان الكريريسة :
Conclusiones philosophicae EE. Principi Aloysio S. R. E. Card. Capponio a Stephano Edenensi... dicatae. Romae, 1650.

قيل انه لم يكن له شبيه في ايطالية وان الله لم يمنّ عَلَى احد من اقرانه بما منّ عليه به من العقل وانه ادرك من المعارف ما لم يدركه احد منهم · فحصل من ذلك للمدرسة شرف عاطر وطارت سمعتها بين اهل العلم · وقد اثبتنا هذا كله مستندين على شهادة البطريرك سمعان عواد غير مبالين بما قد يكون فيها من الغلو

ان سياق الدروس في المعاهد الاوربية يجعل الفلسفة اكليل العلوم الادبية واساس العلوم الالهية وبعد ان يضعوا الاساس العقلي يشرعون ببناء برج الوحي الحصين فيكون الشاب ألف الاقيسة المنطقية وادرك قوة البراهين العقلية وصواب الاستنتاجات منها فلا تزعزعه ارياح الصعوبات ولا تخدعه اراء الضلال ومذاهب المفسدين · ولما تقدم اسطفانس لدرس الالهيات كان عقله مسلحاً ومهيئاً بكلما يوطد آمال النجاح وكان قلبه مزداناً بتلك الفضيلة التي أعطي بها للانسان ان يعاين الله ويدرك اسراره الخفية ولم يلقِ اتكاله عَلَى المواهب الطبيعية التي كانت فيه بل عَلَى الكدّ والاجتهاد فصار مثالاً لمن يغوص في بحور العلوم طالباً جواهرها النفيسة · ولم يمضِ سوى يسير من الزمان حتى ادهش الجميع بذخائر حكمته وكنوز مداركه وكان البادري اسبارسا معلمه الذي تعاطى التدريس في معاهد عديدة وفي كثير من مدن اوربا يقول انه لم يتلمذ له احد نظيرَ اسطفانس وكثيراً ما كان يفوض اليه اقامة المحاورات في المحافل التي تصير في المدارس · اما نمط هذه المحـاورات فهو الآتي : عَلَى احد الطلبة ان يثبت اولاً ببراهين وجيزة قضية ما فيقوم بعض السامعين و يدحض رأيه بما امكن من الحجج

ويعترض عليه بما يفحمه او يقنعه . فيطلب من المدافع ان يكون سريع الخاطر لئلا تفوته الصعوبة والاسترسال في الجواب لئلا يقع في اشراك خصمه . ولا يخلو موقفه من حرج خصوصاً اذا عارضه الاساتذة او تحاملوا عليه رغبةً في اعلان براعته او اخجاله . واحياناً يأخذ المعلم بناصر التلميذ ويسهل له ادراك المشكل او وجود الجواب عليه . قال البطريرك سمعان عواد الذي نشأ في رومة وعرف عوائد مدارسها ان معلمي اسطفانس لم يضطروا قط الى الاخذ بناصره لما كان يجادل بل كانوا يتركونه وشأنه يجاوب الاساتذة الفقهاء وكانوا يفتخرون بانتصاره عليهم وبرده اعتراضاتهم وبمدافعته عن رأيه وكل من حضر هذه المحاورات كان يعجب من ذكاء اسطفانس ويمجد موزع العقول والمواهب . وكان كل مرة نوى انشاء محاورة علمية يشيع خبره ويتناقله الرومانيون كما يتناقلون اخبار حفلات الاعياد التي تصير في معابدهم الكثيرة . وبعضهم كانوا يتركون اشغالهم ليسمعوه ويشهدوا بسعة معارفه . وقد اخبرنا البطريرك اسطفان انه لما اتم درس الالهيات سعى باقامة محاورة كما كان فعل في منتهى الدروس الفلسفية واختار لهذه الحفلة رئيساً شرفياً البطريرك يوحنا الصفراوي [1] بطريرك الطائفة وقتئذٍ مظهراً بذلك تعلقه بالطائفة ورؤسائها

ولما انهى الدروس القانونية لم يسافر خالاً الى لبنان لكنه تأخر نصف سنة الى ان وجد رفيقاً للسفر وفي هذه الفرصة اخذ يطوف مدارس رومة ومكاتبها ويفتش على كل ما فيه ذكر للموارنة من تآليف الاقدمين

---

١ . البطريرك يوحنا من بيت البواب من قرية الصفرا من الفتوح

وكتب الحديثين وكان شرع بهذا العمل وهو تلميذ اذ كان يتردد عَلَى المكاتب ايام العطلة بدلاً من الذهاب مع الاخرين الى المنتزهات والجنات وكان في المدرسة مجموع كتب خطية ثمينة قديمة العهد اهداها الى المدرسة رؤساء الطائفة السالفين او قدمها لها التلامذة بعد خروجهم منها شهادةً عَلَى تعلقهم بها وطمعاً بانها تصان في رومة بحرصٍ لم يألفه سكان لبنان وادياره [1]

اما اسطفانس فلم يترك موئلاً الا وطالعه ولا مصحفاً الا وتصفحه ليجد فيه ذكراً للموارنة وكان ينسخ كلما عثر عليه من الفوائد . وعَلَى هذه المخطوطات المتنوعة وغيرها كان اعتماد البطريرك اسطفان في كتابة تواريخ الطائفة ودفاعه عنها وفي رد تهم الاخصام بغيرة كغيرة ايليا وتدقيق لم يفقه به احد

وبعد ان ضم سلعته هذه وجمع تلك الكنوز الادبية همَّ بالرجوع الى الوطن . وقبل ان يبارح ام المدائن عينه المجمع المقدس مرسلاً رسولياً وخصص له معاشاً وصار ذلك بعناية ذاك الماروني الهمام ابرهيم الحاقلي الشهير . وكان سفر اسطفانس في الثالث من نيسان سنة ١٦٥٥ . الا ان كثيرين من الذين عرفوه واحبوه وتعلقوا به طفقوا يرغبونه في ان

---

١ . ولهذا عزَّ وجود المخطوطات القديمة في بلادنا من كتب الطقس والتواريخ وما كنا لنأسف على ذلك لو بقيت مدرستنا الرومانية وسلمت كنوزها . الا انه لما تلاشت في عهد دخول نابليون بونابرتي الى رومة اي سنة ١٧٩٨ تشتت شمل مصاحفها وتفرقت كنوزها وقيل ان معظمها محفوظ الى اليوم في خزائن اوروبا كندا اي مدرسة مجمع نشر الايمان وفي المكتبة الواتيكانية . والله اعلم

يبقى في اوربا ويغرونه بتوفر الوسائط هناك لمن كان مثله هائماً بالدرس والتأليف لان خزائن مكاتب الغرب كانت محشوة كتباً شرقية لم تنشر ولم يوجد باحثٌ عنها وكان بعض الموارنة المتقدمين كالحاقلي والصهيوني والحصروني اقتطفوا من حدائقها مقالات شتى وكتباً نفيسة مفيدة فلم تغرّه كنوز هذا المعدن بل فضل الاجتهاد في خلاص بني جبلته عَلَى نخر العلم وشرف التأليف وتكريم الناس · وروى سمعان عواد ان بعض الرهبان كانوا يتنازعون ادخاله في رهبنتهم · وقال احد مؤرخي حياته ان الآباء اليسوعيين بذلوا الجهد ليربحوه فلم يحصلوا على نتيجة · ولسنا نورد هذه الاخبار عَلَى سبيل اللوم والانتقاد بل ايضاحاً لما كان عليه اسطفانس من رفيع المنزلة في عين الجميع · وزد على ذلك ان آباء المجمع المقدس طلبوا ان يبقى عندهم بصفة معلم الفلسفة والالهيات · وان احد كبار الرومانيين سأله ان يمكث عنده ويأخذ لقاء اتعابه مبلغ اربعين قرشاً كل شهر فلم يلتفت الى كل ذلك ولو صنع لفاق السماعنة شهرةً وحاز اعتباراً لا نقدر نصفه· لكننا نقول مع احد مؤرخي حياته : ان كل هولاء لم يعلموا الى ما كان الله يدعوه · فلو لم يأتِ ويسوس طائفتنا ويجمع تواريخنا ويحفظ طقوسنا وينقح كتب بيعتنا ويخبرنا كيف كنا في القرون الغابرة ويردّ عَلَى الذين ادّعوا انا خرجنا عن الايمان الصحيح وعن الحظيرة الكاثوليكية لكنا اتعس الناس امةً نجهل ماضينا واصلنا ومعتقدنا القديم وتقلبات الدهر علينا · فسقياً لك يا من وصلت الماضي بالحاضر واختطفت من ايدي النسيان والدمار تاريخ امتك الكريمة وافحمت الاعداء برد كل

ما اتهموها به من الاضاليل فانك اخترت المشقة مع شعب الله وفضلتها عَلَى الراحة والاكرام واعتبرت عار المسيح غنى اعظم من كنوز مصر لانك كنت تنظر الى الثواب الدائم [١] والى عمل الخير الذي فيه مجد الله الاعظم · اما في هذه الدنيا فثوابك شكرنا ومحبة قلوبنا واستمطار غيوث الرحمة عَلَى عظامك وعَلَى الاحشاء التي حملتك وعَلَى كل من تعب وسعى لتكون ما كنت

وقبل رجوعه من رومة صنف كتاباً في الفردوس الارضي في اللاتينية وقد شرع بتأليفه لما كان تلميذاً وكان يخطر عَلَى باله وطنه وبلدته وكل ما جملها الله من سوابغ الخير وسعة العيش والراحة فوهبه قلبه انها هي عدن اي الفردوس وان الانهر الاربعة التي خلقها الباري لتسقي الجنة الارضية هي مياه تلك الينابيع العذبة التي تنحدر من اعالي لبنان وتجعل ارض الجبة خصبة طيبة المناخ وان الارز الذي عزّ وجوده خارجاً عنها انما هو بقية الاشجار التي نصبتها يد الرب كما قال احد الانبياء



١ · عبرانيين ١١ : ٢٥ — ٢٦

الفصل الثاني

في رجوع اسطفان من رومة وتعليمه الاولاد في اهدن ورسالته الى حلب وتسقيفه عَلَى رعية قبرس

١٦٥٥ — ١٦٧٠

كان سفر اسطفان الدويهي من رومة العظمى في ربيع سنة ١٦٥٥ في اليوم الثالث من شهر نيسان · وقبل ان يبرح لبنان كان قبل رتبة قص الشعر التي بها يجحد الاكليركي كل تعلق بالعالم ويتخذ الله نصيباً وميراثاً في الدنيا والاخرة · ثم اقتبل في رومة الدرجات الصغار نعني بها درجة المرتل والقاري والايبودياقن · وفي السنة الثانية بعد قدومه الى لبنان اي سنة ١٦٥٦ في الخامس والعشرين من اذار يوم عيد البشارة رقاه البطريرك يوحنا الصفراوي الى درجة القسوسية على مذبح دير مار سركيس راس النهر في اهدن · وللحال بعد وضع اليد عليه شرع يتاجر بالوزنات التي سلمه اياها مولاه غير مدعٍ بعلم ولا متطلب عالي المراتب والوظائف التي خدعت ابناء هذا العصر خصوصاً الكهنة حتى اضحى كثيرون يحسبون خدمة النفوس انحطاطاً عن منزلتهم ولا يذكرون ان ابن الله نزل من علو مجده ولاشى ذاته وظهر بصورة العبد وقاسى الاهانات والاتعاب طلباً للنعجة الضالة وانه علم تلاميذه ان يكون كبيرهم خادماً للاخرين وارسلهم للعالم لا ليحملوا الاموال ولا ليدعوا من الناس ارباباً

بل ليعلموا و يعمدوا و يرشدوا الامم الى سبل الخلاص . اما اسطفانس فانه اتبع هذا المنهاج منذ البدء واخذ يعلم الاولاد في اهدن و يدرجهم في مبادي القراءة . وقد تصورته جالساً عَلَى الحجارة امام احدى كنائس القرية يحيط به جمهور الاطفال عَلَى شبه ذلك الذي كان يدعو الصغار اليه . وهو يسقي ابكار عقولهم بغيث معارفه ويفسر لهم الاشياء البسيطة بالوداعة واناة الروح كأنه جهل ذاته او نسي مقامه في اعين الناس وتمسك بقول الاقتداء : احبب ان تُجهل واتبع اتضاع الفادي هاتفاً معه دعوا الاطفال يأتوا اليَّ

وفي غضون ذلك شرع بتأليف كتاب في سر القربان المقدس وهذا التأليف صار بعدئذٍ كتاب المنائر العشر جمع فيه شتات العلوم الكنسية واظهر به سمو عقله وعمق تقواه

وفي تلك الايام حدث امر ذو شأن عظيم في الكنيسة السريانية يسرنا ان نبسط الكلام عنه في هذه الترجمة . نريد بذلك ارتقاء اندراوس اخيجان الى الاسقفية وترأسه في كرسي حلب عَلَى السريان المرتدين الى حضن امنا الكنيسة الكاثوليكية

ولد عبد الغال اخيجان في مردين [1] من ابوين تابعين ضلال البرادعي وساويرا فاختاره الله ليكون زعيم الحق بين ابناء ملته و يقودهم بكلامه ومثله الى الوحدة الكاثوليكية والى حظيرة الخلاص و كان رجوعه آية من ايات

---

١ . راجع كتاب الكردينال ماي :

Maï. Script. Veter. Nova Collect., t. IV, p. 309.

والدة الهنا الطاهرة وجرت هذه الاية عَلَى يد احد الاباء اليسوعيين اسمه البادري اماتوس . وكان اخيجان فصيح اللسان حسن الخط في العربية والسريانية . وبعد جحد ضلال آبائه اتى الى جبل لبنان لدى البطريرك الماروني يوسف حليب العاقوري [١] . وسنة ١٦٤٦ ارسله البطريرك المذكور الى رومة ليتثبت في الايمان [٢] فاقام في المدرسة سنتين رقيباً عَلَى التلامذة وكان يدرس الناموس الادبي عَلَى الخوري جرجس بن عبد الله الحاقلي [٣] وبعد ذلك رجع اخيجان الى لبنان واقتبل درجة الكهنوت من يد البطريرك يوحنا الصفراوي وذهب الى حلب

وقد استخدم الله لتنفيذ مشيئته رجلاً افرنسياً اسمه فرنسيس بيكات [٤] قنصل الملة الافرنسية في الشهباء كان قرض شمعون بطريرك اليعاقبة مبلغاً

---

١ . اقيم بطريركاً في ٥ اب سنة ١٦٤٤ وساس الطائفة الى وفاته في ٣ تشرين الثاني سنة ١٦٤٨ ودفن في كنيسة مار بطرس في العاقورا

٢ . ووجه برفقته الى المدرسة الرومانية موسى بن ايوب البشراني الذي مات في قنوبين برائحة القداسة وانطونيوس بن سركيس ابن الرزمن قرية بان الذي سيأتي ذكره فيما بعد وحنا بن عويضه الغزيري وصافي ابن القديسي من شننعير الذي خدم قرية دلبتا ثم استدعاه الشيخ ابو نوفل الخازن ليخدم عجلتون . ويكون ترجماناً بينه وبين الافرنج في بيروت .

٣ . وجرجس هذا دخل المدرسة سنة ١٦٣٩ وبعد رجوعه الى لبنان سامه قسيساً البطريرك يوسف العاقوري ثم انفذه الى رومة لقضاء بعض مصالح وبعد عودته ثانيةً خدم ابناء الطائفة في القدس الشريف واضطهده رهبان القدس وجاهد جهاد القديسين ومات سنة ١٦٦٩

٤ . راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ ص ٩٧١ وما يليها . وسنة ١٩٠٤ ص ٤٣٨

وافراً من الدراهم ولما خرج البطريرك المذكور لزيارة رعيته وجمع نقود يفي بها ما كان عليه من الدين وُجد امره متعسراً والرعية نافرة من تصرفاته فطلب اليه القنصل ان يرقي اخيجان الى المطرنة ويجعله وكيله مدة غيابه عن الكرسي فوعد البطريرك بذلك ثم اخلف وخرج . فاخذ بيكات يراسل البطريرك يوحنا الصفراوي ويطلب منه بالحاح تسقيف اخيجان فلم يستجب طلبه . قال الدويهي : ان بيكات ارسل عشر كتابات الى البطريرك يوحنا ولم يتنازل هذا الى اجابة طلبه حتى دخل هو بينهما لانه كان عرف اخيجان في رومة واطلع عَلَى ما طوي عليه من الفضيلة وصالح المقاصد فلاشى الصعوبات وازال تردد البطريرك واقنعه بمنح الاسقفية لاخيجان [1] فقلده الرياسة على كنيسة السيدة بحلب واشترط عليه الا يتعرض لامور الموارنة في المدينة المذكورة والا يدخل كنيستهم . فاذعن اخيجان وتوجه الى حلب الا انه لم يلبث طويلاً حتى عاد الى لبنان لاسباب نجهلها تماماً . فاخذ الدويهي يستنهضه ويشجعه عَلَى اقتحام الصعوبات مهما كانت وتوجه بنفسه معه الى حلب وكان ذلك في مدخل الصوم سنة ١٦٥٧ ومكث هناك ثمانية اشهر يسند المطران المذكور برأيه ويعظ السريان المرتدين ويثبتهم في حقائق الايمان الكاثوليكي المقدس . ولم يتخلَّ ايضاً في تلك المدة عن ملتنا الحلبية بل كان يعلم في كنيسة النبي الياس ويرشد ويوزع كنوز الكلمة ونعم الاسرار

ولما توفي البطريرك اغناطيوس شمعون في دمشق الشام حملت الغيرة

---

١ عن رسالة الدويهي للاب بطرس مبارك

المسيحية القنصل بيكات السابق ذكره عَلَى طلب خطٍ شريف من السلطان محمد الرابع يُعرف به اخيجان بطريركاً عَلَى طائفة السريان دون غيره وبذل لنيل هذه الغاية جانباً من الدراهم الا ان الحلبيين السريان ابوا الاقرار بالبطريرك الجديد لانه اعتقد معتقد الكنيسة الرومانية واشترطوا عليه ان يفي الدين الذي عقبه شمعون على كنيستهم ويستفك آنيتها المرهونة ولا يكلفهم شيئاً عَلَى الفرمان الشاهاني ولا يطلب منهم شيئاً لمعاشه. فاخذ القنصل بيكات الغيور تلك الشروط عَلَى عهدته وارتقى اندراوس اخيجان السدة البطريركية [١] وسمي اغناطيوس اندراوس وهو اول بطريرك انطاكي عَلَى السريان الكاثوليك. ثم اقام اخاه روحيجان بهنم خلفاً له عَلَى كرسي مطرنية حلب ودعاه باسم دينيسيوس. الا انه وقع نفور بينه وبين الموارنة في حلب لما شاع انه اقتبل رتبة البطريركية من يد البطريرك الملكي. واخذ يجاهد ويعلم ويوبّخ واحتمل كثيراً من اخيه اصلان ومن اليعاقبة المعاندين. ورد كثيرين الى الايمان المستقيم الى ان رقد بالرب في التاسع والعشرين من شهر تموز سنة ١٦٧٧ وانتقل من الحياة الزائلة ليقبل مجازاة تعبه في دار البقاء الراهنة. قال عنه الدويهي في مسودة تاريخ الازمنة [٢]: كان مستقيم الايمان وذا غيرة جزيلة فربح نفوساً كثيرة للملكوت ووفى الديون التي كانت على الكنيسة من عهد البطريرك شمعون

---

١. قيل ان رسامته صارت على يد اخيه المطران دينيسيوس ومكاريوس بطريرك الروم الملكيين

٢. محفوظة في البطريركية المارونية

واستفك جميع آنية الكنيسة وكتبها التي كانت مرهونة وجدد غيرها وترك في الكنيسة اثنين وخمسين قنديلاً من الفضة وصندوقاً مملوءًا من الصلبان . وفي مدة بطريركيته لا بلص جماعته ولا كلفهم نورية [١] كعادة الذين سلفوه ولا جمع صينية ولا رسم شيئاً عَلَى توزيع الاسرار .. وعندما سلم الروح حزنت عليه سائر الطوائف واقاموا له جنازة حافلة [٢] اه

اما الدويهي فبعد رجوعه من حلب سكن في دير مار يعقوب الاحباش في ارض اهدن وهذا الدير استوطنه قديماً قس حبشي اسمه يعقوب وبعد ان مكث فيه بعض سنوات انكشف امره لانه كان يعقوبياً فطرده اهالي اهدن فذهب مع رفقائه الى دير مار جرجس حدشيت وطُرد منه ايضاً . ولم يبقَ لهم هناك سوى الاسم اثراً لخيبة مساعيهم . وكان الدير خراباً فرممه اسطفان واقام فيه نحو خمس سنوات مع الخوري موسى ابن الحاج

---

١ . عشور

٢ . وخلفه اغناطيوس بطرس غريغوريوس الذي مات بمكيدة من جرجس بطريرك اليعاقبة سنة ١٧٠١ ولم يقم بعد ذلك بطريرك على السريان الكاثوليك الى انتخاب دينيسيوس مخائيل جروه سنة ١٧٨٣ . — وفي رواية اخرى : وبعد وفاته بشهرين خلفه في البطريركية عبد المسيح الماردبني فاثار الاضطهاد على الذين تبعوا اخيجان وفرض عليهم ضرائب والزم الرهبان بدفع الخراج وحط عن درجة الكهنوت الذين قبلوها من يد سالفه فهرب كثيرون الى بلاد بعيدة . ثم اخرج امراً ضد رهبان الافرنج ومنعهم عن الدخول الى بيوت ابناء طائفته (الدويهي) — راجع المكتبة الشرقية مجلد ٣ والدويهي في تاريخه الكبير وفي النبذه التي وضعها لتلاميذ رومة . ومرهج نمرون في مقالته عن اسم الموارنة واصلهم . الخ

يوسف وكان يدرس الاولاد ويخدم النفوس [1] والله وحده يعلم جهاد عبده في تلك المدة وربما خطر بباله ذاك المقام الذي عرض عليه في رومة وتصورت له في الاحلام عاصمة العالم الكاثوليكي فقابلها بقرية اهدن ومدرسة البروباكندا الشهيرة بدير مار يعقوب الاحباش ومنابر الكليات التي عرضت عليه ورفضها بتلك الدكة الحقيرة او تلك الحجارة الباردة التي كان يجلس عليها ليعلم اولاد قريته وما وُعد به من طيب الشهرة وصيتٍ يتناقله صدى المغرب والمشرق بصدى جدران عارية لا يجاوبها صدى · ولا مرية بان هذه الافكار تفتت كبد الانسان اذا اصغى الى اللحم والدم وتحرقه بنار الحسرة والاسف ان لم يكن فيه روح الله الذي يجعله يحسب كل شيء كالزبل لاجل ربح المسيح ويملأ فؤاده عزاءً لا يعرفه العالم ولا يستطيع ان يهبه لمحبيه · وقلب اسطفانس كان مملوأً من روح الرب فجعله يتخفى قانعاً بعمل الخير وتثقيف الاحداث شاغلاً ما افترصه من الزمان بالتأليف والدرس والتأمل في حقائق الدين المسيحي المقدس راضياً برضى الله تعالى عنه ·

وفي سنة ١٦٥٨ في اليوم الثالث والعشرين من كانون الاخر انتقل الى رحمة مولاه البطريرك يوحنا ابن البواب الصفراوي · روى عنه الدويهي انه كان طاهراً باراً تربى منذ صباه بالتقوى والنسك وارتقى الى اعلَى المراتب بتواضعه وكان قنوعاً طويل الروح لا يشوش صفا اخلاقه امرٌ وكان يقضي ساعات النهار بالصلوة والابتهال ويصوم الاربعا والجمعة

١ · موقع هذا الدير تحت قرية اهدن ولم يبقَ منه الى اليوم سوى كنيسة متزعزعة

كل ايام حياته · عاش بطريركاً تسع سنوات واسقفاً اثني عشرة سنة
وكانت ايام رياسته بالراحة والهدو في عهد الامير ملحم المعني المشهور
بعدله · وروى الدويهي ايضاً انه لما كان البطرك يوحنا في ساحل علما
في دار الشيخ ابي ياغي حيش دخل عليه مرهج نمرون الباني وغيره فوجدوه
ملقىً عَلَى الارض والنور يتدفق من وجهه · وعندما قربت ساعة وفاته
وهو في قنوبين طلب من الرب ان يحفظ رعيته واشرق من محياه نور
سماوي باهر حتى ان خادمه المدعو ابا راشد من غباله ظنه يحترق فاخذ ماءً
ورش عليه فانتبه وهرب الخادم المذكور من الخوف · وفي اليوم التاسع
بعد وفاته انتخب الرؤساء والاعيان المطران جرجس حبقوق البشعلاني
وهذا الحبر كان راهباً رقاه الى الاسقفية البطريرك يوسف حليب العاقوري
على كرسي العاقورا وسكن في دير قنوبين وكان رجلاً غيوراً حكيماً ولما
دعي الى خلافة البطرك يوحنا كما قلنا رفض بكل قوته وهرب ولم يرجع
حتى اقيم غيره لشدة تواضعه واحترامه سمو هذا المقام · وكان انه بعد
وقوع الانتخاب عليه اختبأ في قلاية احد الرهبان فذهب الشعب اليه
وكسروا الباب وحملوه عنوةً من اسفل الدير الى دهليز الكنيسة وهو
يضرب بيديه ويمانع بكل قوته فلما دنوا من باب الكنيسة تظاهر بالرضوخ
لطلبهم وسألهم ان يدعوه يستريح فدخل الغرفة التي قبال مار بطرس [1]

---

١ · وهي قلاية البطريرك موسى العكاري وموقعها امام مدخل الكنيسة الكبيرة وجعلوها بعد وفاة البطريرك المذكور معبداً على اسم هامة الرسل احتراماً لذكر من سكن فيها ·

وعندما انصرف الناس انسلّ من الدير يصحبه اخوه فقط واختفى في الوادي ولم يتمكن احد ان يقف له على اثر. حينئذٍ اقاموا بطريركاً المطران جرجس بن الحاج رزق الله من قرية بسبعل في الزاوية [1]

وفي سنة ١٦٦٣ طلب ابناء طائفتنا في حلب من البطريرك جرجس المنوه به ان يرسل اليهم كاروزاً اي واعظاً يرشدهم في سبيل الخلاص ويعلمهم كيف يجاوبون المشاقين والاراطقة في ما يخص حقائق الايمان. اما الموارنة في حلب فانهم قديمو العهد وقد هاجر كثير من اللبنانيين في اوائل القرن السابع عشر وذلك على اثر الحروب التي وقعت بين الامير فخر الدين المعني ويوسف باشا ابن سيفا فان يوسف باشا المرقوم تسلم طرابلس سنة ١٦٢١ وجار على العباد لما اعوزته الاموال بسبب الحروب فامر بعدّ الاشجار في جبة بشري [2] واوقع الضيم باهلها فهاجر كثيرون الى الشام وحلب وغيرهما من المدن بامر السلطان سليم. وسنة ١٦٣٨ نال الموارنة من السلطان مراد الاذن بتجديد كنيسة النبي الياس في الشهباء وبجدهم واجتهادهم امسوا في اواخر القرن المذكور في مقدمة الطوائف المسيحية ونجحوا مادياً وادبياً [3] وكان افراد الموارنة متصفين بالتقى والعبادة فقام منهم عدد من الكتبة البارعين ومن مؤسسي رهبنات افاضل كجرمانوس فرحات وعبد الله قرا ألي وجبرائيل حوا ويوسف بن جرجس

---

١. لا سبعل كما يظن البعض وبسبعل قرية صغيرة بالقرب من كفرزينا وعرجس في الزاوية

٢. بلغ عدد اشجار اهدن ٥٠١٦٥ شجرة

٣. راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ عدد ١٥ نيسان ص ٣٦١

القس ويعقوب بن نعمة الله ابي الغيث الدبسي وغيرهم · وقد زين الله
الحلبيين بظرافة الحديث وسعة الرواية · فالى قوم هذه صفاتهم ارسل الله
اسطفانس الدويهي ودعاه من قمم لبنان من مرابض الاسود من جبال
النمور [١] ليقوم خطيباً ومعلماً في دار الحضارة السورية وفي مدينة الفقهاء
والظرفاء · وكان الحلبيون سمعوا اسطفانس لما كان بينهم مع اندراوس
اخيجان وعرفوا قدره وتعلقوا به فطلبوه من البطريرك جرجس الذي لبى
طلبهم لعلمه بحسن استعداد هذا الكاهن الفاضل وبغيرته ومعارفه فرقاه الى
البردوطية التي تخول صاحبها امر زيارة الرعية وتفقد شوؤنها · فنهض
اسطفانس مطيعاً وتأهب للسفر حالاً ولم يخشَ ما في الطريق من الاخطار
والاكدار وكان ذلك سنة ١٦٦٣ لا كما روى البطريرك سمعان عواد
في ترجمة الدويهي حيث قال انه مكث في حلب نحو عشر سنوات لان
البطريرك اسطفان صرّح بذلك غير مرة فقال في كتابته للاب بطرس
مبارك التي سبق ذكرها : « ثبتنا عندهم نكرز عليهم ونعلم اولادهم ونتعاطى
امورهم مدة ست سنين » وفي مسوّدة تاريخ الازمنة بخط يده يقول انه
بقي في حلب خمس سنين · وفي نبذة تاريخ تلاميذ المدرسة الرومانية التي
وجدناها بخط يده ايضاً يقول انه ثبت عندهم خمس سنوات كما تقدم شرحه
وعند وصوله قبله الحلبيون بفرح واخذ يعلم ويعظ ويثقف الاحداث
بخوف الله ويسوس تلك الرعية بعناية وحكمة وكانت كنيسة حلب
حديثة العهد ولذلك لا نجد عليها اساقفة مارونيين قبل المطران يوسف

١ · نشيد ٤ : ٨

البلوزاني [١] ثم خلفه عَلَى هذا الكرسي المطران جبرائيل البلوزاني [٢] سنة ١٦٦٣ التي فيها توجه الدويهي الى الشهباء · وكانت النفوس في اشتياق واحتياج الى راعي يدبرها ويرشدها ويسهر عَلَى نموهــا الروحي بمقتضى الشرائع الانجيلية · فقام اسطفانس باعباء وكالته احسن قيام وجذب بفصاحة لسانه ودقة معانيه ورقة اساليبه ودماثة اخلاقه قلوب الجميع وقرَّب من الكنيسة الذين كانوا بعيدين عن الله وعن حظيرة الخلاص فشاع خبره وطار صيته وفاحت روائح قداسته وانتشر عرف فضائله في حلب وسائر البلاد الشامية وصار كالمصباح في بيعة الله · واراد الله ان يستخدم عبده اسطفانس لرد كثيرين الى طريق الخلاص في حضن الكنيســة الكاثوليكية من روم ويعقوبيين ونسطوريين وارمن وغيرهم وصار لبعضهم او اكثرهم ابًا روحيًا فقادهم بحكمة وكشف لهم اسرار العبادة الحقيقية فكنت تراه تارة معلم اولاد وديعًا وتارةً واعظًا فصيحًا تتدفق الغيرة والتقوى من فمه وقلبه المتوقد وطورًا ابًا رحومًا آخذًا عَلَى عاتقه حاجات القريب وهمومه مجهدًا النفس في ما يؤول الى خيره ونجاحه · واليك ما كتب عنه احد الحلبيين بعد ان برح مدينتهم وارتقى السدة البطريركية اي سنة ١٦٧١ نقلاً عن كتاب محفوظ في خزانة الكرسي الاسقفي الماروني في الشهباء :

« تم وكمل هذا الكتاب [٣] ·· بايام رياسة رأس الروساء والابهات

---

١ · لم نجد تاريخ تسقيفه

٢ · روى لكيان (المشرق المسيحي مجلد ٣ : ٨١) انه اول اسقف ماروني على حلب ·

٣ · كتاب صلوات كنائسية · راجع المشرق سنة ١٩٠٢ — ص ٦٨٧ ·

المتوج باعلام الشرف والكرامات المعلم الفاضل · والعالم العامل · الفيلسوف الروحاني · فم الذهب الثاني · الراشد لرعيته غاية الارشاد · المناضل في سبيل الحق والسداد · السريع بالجواب في معرفة الجدال · الوارد لممتحنيه اوراد الرجال الابطال · الهادم منازل افكار الضالين · بواضح المقاييس والبراهين · الذي تعاليمه جوهرة تحيي النفوس · السعيد بالله البطريرك الانطاكي مار اسطفانس · السالك في آثار الآباء القديسين · المقيم بالدير المعمور المعروف بقنوبين · كان سابقاً كاهناً بهذه الكنيسة يكرز وينهي عن الاضرار · للخطأة العذاب المؤبد · وجنة الخلد للابرار · ولم يسمع عندنا مثل كرزه التالي لشروح كتب البيعة السعيدة الحاوية لمثل هذا الكنز الحافظ لكتب العتيقة والجديدة · فانه شخصها بالاراء المقبولة عند جميع الطوائف · واظهر لهم بينات يأمن فيها الخائف من الحائف · ولوّح بتلويحات بها اذرف عيون الخطأة وابكاها · وصرّح بتصريحات ادمى بها قلوب العصاة وانكاها · وبذر حبات المحبة الالهية في اراضي القلوب · وبيّن انها تستر العيوب وتغفر الذنوب · فيالمعجزات وعظه كم احيت من نفوس كان الحوْب قد اماتها · ولآيات خطبه كم فكت قلوباً من اسر ذنوبها باصوات نغماتها · ويالعجائب تعليمه كم جذبتِ اليها عقولاً بدقائق جذباتها · ويالغرائب تقويمه كم ردت اعوجاج طبائع الى مطبوعاتها · فانه لم يرَ نصاً الا شرحه ولا مشكلاً الا اوضحه · ولا معنى مقفلاً الا فتحه · فطوباه من امامٍ لم يدع عيوباً تلحق برعيته الا وبادر بازالتها من اذهانهم · وهنيئاً له من راعٍ صالح لم يدع ذرة من الفضيلة الا الزمتهم

تعاليمه باكتسابها · ولا غادر صغيرة من الرذيلة الا منعتهم مواعظه عن ارتكابها · فنسأل السيد المسيح الموصوف بالاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس ان يديم علينا رئاسته وينعم علينا بفهم معاني ما اورده والعمل بما ذكره · آمين · »

ولا حاجة الى زيادة شيء عَلَى قول المعاصرين او الى ارداف هذا الثناء العاطر بغيره · وان كانت آثار اقامته في حلب عزيزة ولم يحفظ لنا ذكر اعماله ومساعيه الكثيرة · قال سمعان عواد انه في مدة وجوده في حلب وعكفه عَلَى التعليم في المنابر صنف كتابي مواعظ وسنتكلم عن هذا التأليف في المستقبل ان شاء الله [1]

واعتقادنا انه لم يكفف عن البحث في كل ما يخص تاريخ الطائفة وتاريخ حلب وسورية عموماً وكانت مواظبته هذه صادرة عن ولعه باساطير الاجيال السالفة وغيرته عَلَى الطائفة وهيامه بكل ما يتعلق بها ·

وقد وجدنا في كنيسة زوق مصبح كتابين من الكتب البيعية وهبها لكنيسة القرية المذكورة اسطفانس الدويهي وكان اقتناها اثناء اقامته

---

١ · وذكر المشرق (١ ايار سنة ١٩٠٤) شهادة سلمها الدويهي للاب بسون اليسوعي سنة ١٦٦٣ اذ كان خورياً في حلب اثبت فيها تمسك بني ملته بعقيدة براءة البتول مريم من كل دنس خطيئة · — وفي مكتبة باريس الكبيرة (المخطوطات السريانية عدد ٣٣٤) كتابة اخرى عن اعتقاد الكنيسة المارونية بسر القربان واستحالة الاشكال المادية الى جسد المسيح ودمه · وهذه الشهادة موقعة ومختومة باسم اسطفان الهدناني خوري وكاروز الطائفة ومرسل من المجمع المقدس لنشر الايمان · وتاريخها ٩ اب سنة ١٦٦٦ ·

في الشهباء ·

وفي سنة ١٦٦٨ [1] بعد العيد الكبير خرج من حلب تصحبه قلوب ابنائه الروحيين وتتفتت لفراقه اكباد الذين عرفوه وخالطوه وارتشدوا بتعاليمه ووردوا موارد حكمته واتى لزيارة الاماكن المقدسة التي وطأتها اقدام المخلص المجيد · وكان برفقته والدته واخوه الحاج موسي [2] وبعد ان سجد عَلَى الارض التي تردد فيها الفادي وعفّر جبينه في ثرى تلك المعابد الجليلة التي تم فيها سر خلاصنا واشرق عليها مجد ابن الله وذلّ ناسوته وشوهدت فيها آيات قوته وضعفه الاختياري ومعجزاته واتضاعه الذي يفوق الادراك عاد الى مدينة طرابلس · وعند قدومه ونزوله الى البرطار خبره الى اقربائه وانسبائه في اهدن فقاموا للحال مسرعين الى لقائه وقبلوه بغاية الاحتفاء والسرور لان تغرّبه عنهم رفع في اعينهم قدره ومنزلته شأن كل امرءٍ في وطنه · وبعد صعوده الى اهدن مثل بين ايدي البطريرك جرجس البسبعلي في دير قنوبين · فطلب اهالي اهدن من البطريرك

---

١ · وقرأت بخط المؤلف : ١٦٦٩ وهذا طغيان من القلم

٢ · وقد وجدنا عند الاباء الفرنسيسكانيين في القدس في السجل الذي يحتوي على اسماء الزوار ذكر قدوم صاحب الترجمة الى المدينة المقدسة بهذه العبارة : (سنة ١٦٦٨) في ٢٨ ايار · الاب المحترم اسطفان الدويهي كاهن ماروني ولاهوتي

الاب المحترم جبرائيل ابرهيم الكاهن الماروني

الرجل المعتبر موسي الدويهي الماروني

الشاب المكرم باخوس الدويهي الماروني

مريم الراهبة المارونية (ولا غرو انها ام البطرك)

المذكور ان يرقيه الى درجة الاسقفية جزاءً لاتعابه في وجه الطائفة والدين واعتباراً لمناقبه الحميدة وعلمه · فاجاب طلبهم لانه كان قدّر كثيراً اعمال اسطفانس واجتهاده منذ دخوله المدرسة التي شرفها و زينها واراد ان يجازي كده واخلاصه في جميع الاشغال التي انتدبه اليها وان يضع عَلَى منارة البيعة هذا الراعي الغيور الذي اذهل الجميع بسهره ونشاطه وقداسته وفطنته وترك حلب صوتاً واحداً صوت الشعوب الناطق بالحق وصوت المديح والثناء · ولا جرم ان هذا الفكر لم يخالج قط ضمير اسطفان وانما تاجر بالوزنات التي سلمها اليه سيده طمعاً بالدخول الى اخدار الافراح الثابتة ليس الا · واظن انه ما كان ليقبل عَلَى منكبيه هذا الحمل الثقيل لو لم يلزمه به رئيسه ويلح عليه بالقبول ابناء وطنه ناهيك عما كان عليه من الاهلية لهذه الدرجة المقدسة التي لم يكن في لبنان احد اجدر بها منه

وكانت جزيرة قبرس مترملة من نحو اربع وثلاثين سنة [1] اي منذ وفاة المطران جرجس بن مارون الاهدني سنة ١٦٣٤ · ولا بد هنا من تلخيص تاريخ الموارنة في قبرس فنقول ان الموارنة دخلوا هذه الجزيرة منذ القديم ونعرف من التاريخ انه كان لهم اديار ورهبان فيها في اوائل القرن الثاني عشر وانهم كانوا كثيري العدد فيها في القرن التالي وذلك

---

١ · كان البطريرك جرجس البسبعلي اقام المطران سركيس الجري الاهدني على قبرس لما تعين من دوق سابوديا ٣٠٠ ريال ذهبي لمطران الموارنة في قبرس الا ان هذا المطران لم يدخل الجزيرة ومات في مرسيليا اثناء احد اسفاره الى اوربا سنة ١٦٦٨

بعد ان اشترى الملك غويدو دي لوسينيان الافرنجي ملك القدس الجزيرة المذكورة من ريكاردو ملك انكلتره فاستدعى اليه النصارى من بلاد انطاكية واعمال طرابلس وارمينية وغيرها فقدم كثيرون الى المملكة الجديدة طمعاً بالراحة في ظل عرش مسيحي وهرباً من الحروب التي لم يكن لسعيرها خمود عَلَى البرّ . ثم بعد ذلك استولى المسلمون عَلَى سائر الديار السورية وبيت المقدس وانطاكية وانهزم الافرنج من كل هاته البلاد الا ان اسرة لوسينيان استمرت في ملك قبرس ورحل اليها كثير من السوريين الذين جذبهم الى الافرنج رابط الدين والخوف من الاضطهاد . فعظم عدد الموارنة هناك وقيل انهم استوطنوا نيفاً وستين قرية . ولما انتقلت قبرس الى حكام البندقية لم تزل مهرباً يلجأ اليه الموارنة ايام الضيق ويُثبت ذلك ما وُجد على بعض الكتب الطقسية القديمة التي كانت في قبرس حيث نقرأ اسماء اناس من كور ورام وتربج[1] واحدهم يقول : « كُتبت هذه الاحرف ... عَلَى يد يعقوب من بلاد صوريا الشام من معاملة البترون من قرية رام جار عليه ازمان وجاء الى قبرس وسكن في مارينا ...»[2] وكان عدد الموارنة كثيراً في الجزيرة وقسم منهم هاجر اليها لما غزا المتاولة مقاطعة جبيل وبترون واستولوا عليها ولنا دليل عَلَى ذلك ما ذكره الدويهي في تواريخ سنة ١٥١٠ قال : انه لاجل الضنك والضيق الذي صار في

١ . قرى في مقاطعة جبيل وبترون

٢ . قرية في قبرس وهي الى الان مارونية وقيل ان الموارنة قدموا اليها من وادي قنوبين ونقلوا معهم ذكر القديسة مارينا وعبادتها

بلاد الشام هاجر كثيرون ودخلوا بلاداً بعيدة وانه في مركب واحد دخل من بلاد جبيل الى قبرس ماية وعشرون نفساً من ترتج ولحفد وغيرهما وبنوا كنائس في كليبيني ومطوشي وكان بينهم الحاج مخائيل اللحفدي اخو المطران جبرائيل القلاعي الذي سكن في قرية طالا [١] . وكان للموارنة في الجزيرة كرسي اسقفي وكان صاحب هذا الكرسي يسكن ما بين رعيته الى ان دخل الاتراك الجزيرة سنة ١٥٧٠ — ١٥٧١ وقتلوا حاميتها وجيوشها وذبحوا عدداً من المسيحيين وقيل انه قتل من الموارنة خمسة عشر الفاً وفي رواية اخرى ثلاثون الفاً [٢] ومذ ذاك الوقت صارت الجزيرة في يد الدولة العثمانية وتشوشت الاحوال فيها فعاد كثيرون من الموارنة الى لبنان والبعض انتقلوا مع البندقيين الى مالطة . وجعل بعد ذلك اساقفة قبرس الموارنة اقامتهم في لبنان وكانوا يذهبون حيناً بعد آخر لزيارة رعيتهم المنقطعة عن بقية الطائفة . اما الاساقفة الذين جلسوا عَلَى كرسي قبرس بعد سنة ١٥٧٠ المشار اليها فهم : المطران يوسف [٣] الذي توفي سنة ١٥٨٨ . والمطران يوحنا ابن اسكيلا المعلم في الكيزفاني وتوفي سنة ١٥٩٩ . والمطران موسى العنيسي العاقوري ثم تنزل عن هذا الكرسي واستلم رعية العاقورا . والمطران جرجس بن مارون الاهدني وتوفي سنة ١٦٣٤ . وفرغ

---

١ . طالا او دالي وفيها دير للروم وكان للموارنة . ومطوشي وكليبيني اسما قريتين

٢ . لا تخلو الرواية من الغلو . كما اني لا اظن ان الموارنة بلغوا قط مائة الف في الجزيرة كما يتوهم بعض المؤرخين

٣ . جاء ذكره في المجمع الذي عقد بحضور الاب اليان اليسوعي سنة ١٥٧٨

الكرسي اربع وثلاثين سنة الى قيام المطران اسطفان الدويهي وكان وقتئذ عدد الموارنة في الجزيرة ثلاثة الاف نفس وما دون

وقبل الدويهي درجة الاسقفية المقدسة من يد البطريرك جرجس البسبعلي في اليوم الثامن من تموز سنة ١٦٦٨ . وكانت ترقيته في دير قنوبين المبارك . وكانت حالة اساقفة طائفتنا ومطارينها في تلك الايام غير ما هي اليوم وذلك لان البلاد لم تكن بعد قسمت الى ابرشيات معروفة بحدودها منفصلة عن بعضها ومستقلة لسبب الفقر وقلة الامن في سائر الجهات وجرياً عَلَى قديم العوائد . وكان الاساقفة يأخذون اسم الكراسي ولا يرتبطون بخدمة الابرشية التابعة الاسم ولا يعقدون مع كنيستهم ذاك الاقتران الروحي المرموز عنه بالخاتم وما كان سكنهم في وسط رعيتهم وشعبهم ولا كانوا يعنون بسياسته وتدبيره . بل كانوا يقيمون في احد الاديار او في الكرسي البطريركي وكان السيد البطريرك يوجههم كل سنة الى الرعايا ويسلمهم منشور البركة ويفوض اليهم امر الزيارة القانونية وتثبيت الاحداث وجمع النورية اي العشور . ولم يجرِ بخلاف هذه العادة سوى مطارنة قبرس الذين جعلوا اقامتهم في الابرشية حتى اواخر القرن السادس عشر . ولما عقد المجمع اللبناني قُسمت الطائفة الى ثمان ابرشيات وفصلت بحدود ثابتة وامر المجمع الرعاة ان يستلموا ويتولوا تدبيرها ويقيموا ضمن حدودها . ومع كل هذا التشديد والالحاح لم تتلاشَ الصعوبات ولم تنفذ رسوم المجمع المذكور التي ما برح الكرسي الرسولي ساهراً على تتميمها الى ايام المطوب الذكر البطريرك يوسف حبيش ذي الهمة العالية فازال

ما كان باقياً من الصعوبات وشاهد قبل موته النظام الذي نحن عليه الان

واما المطران اسطفانس فبعد قبوله درجة كمال الكهنوت وتسقيفه عَلَى كرسي لفقوسية [١] او نيقوسية لم يهتم بوجود دير لسكناه ولا بجمع مال ينفقه في تكريم مقامه وتعزيزه تجاه عيون العالم بل نهض حالاً كالعبد الامين الصالح للمتاجرة بوزنات سيده وذهب منفذاً من قبل البطريرك لزيارة ابناء الطائفة واخذ يتجول بين رعايا الجبة والزاوية وعكار مجتهداً في امر خلاصهم · ثم ابحر الى قبرس [٢] رعيته الخصوصية وشرع بتوزيع الاسرار المقدسة وبتعليم الشعب وباصلاح ما لزم اصلاحه بكل الغيرة والنشاط الذين فطر عليهما · ومكث في قبرس الى سنة ١٦٧٠ مقتفياً آثار رسول الامم لا يضن بنفسه لاجل خير ابنائه · ولا يستصعب تعباً في سبيل الخير · وقد اسعد الله كاتب هذه الترجمة بان يتقفى آثار الدويهي في قبرس عام ١٩٠٢ ويعثر عَلَى بعض كتابات سطرتها يده الطاهرة عَلَى الكتب البيعية ذكراً للخلف واحتفاظاً ببعض الاعمال المبرورة التي اتى بها في تلك الاونة · وكان محرر هذه الاحرف يترقب جميع الفرص ويسأل كل من قابله ويخفق قلبه فرحاً عند وجود شيء من هذه الاثار ومنها كتابة بخط يد المطران اسطفان عَلَى شحيم قديم محفوظ الان في لفقوسية عند حضرة الخورفسقفوس يوحنا شيرللي النائب الاسقفي وهذا الكتاب

---

١ · لفقوسية اي البيضاء (والافقسية غلط) وتعرف ايضاً باسم نيقوسية والاتراك اطلقوا عليها اسم الشاهر اي المدينة

٢ · لم نجد تاريخ سفره الى قبرس

كان سابقاً في كنيسة مار رومانس في قرية ڤونو في الجزيرة وسكان هذه القرية كانوا كلهم موارنة اما الان فانهم من طائفة الروم وليس للموارنة في المحل المنوه به سوى الكنيسة وبعض اوقاف تتبعها · والكتاب المذكور اوقفه عَلَى كنيسة مار رومانس ابرهيم ابن الخوري جرجس الترتجي من قرية كليبيني تلميذ مدرسة راونّا ورومية ارسله بواسطة رفيقه الياس بن حنا بن الياس من بيت مبارك من بطحا في كسروان [1] الذي درس معه في راونّا ولما اقفلت مدرسة راونا سنة ١٦٦٤ انتقل كلاهما الى رومة · وابرهيم هذا عاد الى قبرس سنة ١٦٦٩ وسيم قسيساً من يد المطران اسطفان الدويهي في السابع من شهر ايار من السنة المذكورة على مذبح القديس رومانس المشار اليه ورقد بالرب في الشهر عينه سنة ١٦٩٣ · وكتب ابرهيم بيده بالايطاليانية عَلَى الشحيم السابق ذكره تاريخ سيامته من يد المطران اسطفان وينعته بمجد الطائفة المارونية [2] · وفي اخر الشحيم الاسطر الاتية بخط يد صاحب هذه الترجمة ·

ܐܣܛܦܢܘܣ ܡܛܪ̈ ܡܣܟܝܢܐ ܕܩܘܦܪܘܣ

فلما كانت سنة ١٦٦٩ ربانية انا الحقير بين الرؤَساء اتيت الى زيارة هذه الجزيرة المحروسة التي أوئتمنا عليها وفي شهر اذار المبارك ثبتنا اهل

---

١ · ويوحنا والد الياس المذكور ذهب الى رومة مع الاب جوان باطشتا كرتي اليسوعي سنة ١٦٣٩ ولم يثبت في الدعوة الاكليريكية بل خرج من المدرسة واستوطن البندقية وتزوج فيها ·

٢ · Splendore dellaNazione maronita

قرية بولوس [١] محبة المسيح · وفي هيكل مار رومانس رسمنا شمامسة بالترتيل والبوابيه شماس حنا بن مركو وجرجس ولد خرسطفروس الله يباركهم وينشيهم في ربح الوزنة الي اقتبلوها · ولله المجد دائماً ابداً »

ولما زرنا قرية غمبلين [٢] وهي على بعد ساعة من دير مار الياس مطوشي وسكنها مسلمون بعد ان كانوا كلهم موارنة في القديم وجدنا في كنيستها المهجورة طبليتاً كرسه المطران اسطفان اثناء زيارته لهذه الرعية في شهر اذار سنة ١٦٦٩ وحملناه كذخيرة ثمينة قدمناها لغبطة ابينا وسيدنا البطريرك الياس الحويك كأثر فاخر من احد سلفائه العظام · وعثرنا علَى كتابة اخرى لصاحب الترجمة وهذا نصها : في سنة ١٦٦٩ م حضرت انا الحقير في المطارنة المطران اسطفان الدويهي الهدناني مطران جزيرة قبرس لزيارة اولاد رعيتي الموارنة الكائنين في جزيرة قبرس والى اهالي قرية اصوماتو في اليوم الثالث عشر من اذار المبارك من السنة المرقومة المحروسين من الله وثبتناهم في ميرون الخلاص والله يثبتهم في امانته · ورسمنا عيسى ولد مخائيل شماساً مرتل وبواب والمولى ينور عقله ويرشده الى الدرجات العالية لبنيان بيعته »

ومما يدل علَى نزاهة اسطفانس وفضيلته انه لم يترك لنا ذكراً لرسالته الى حلب ولا لاعماله في قبرس حاسباً ذاته كقول الانجيل عبداً بطالاً

---

١ · كذا · والصحيح فونو كما سبق — ارجح ان الدويهي كان يجهل اليونانية او انه لم يتقن درسها

٢ · وهي : كمبيلي او غمبيلي

رغماً عن احتمال المشقات الجسيمة والاخطار · وفي غضون جولانه في لبنان وحلب وقبرس ماكان يغفل دقيقة عن البحث في تواريخ البلاد وخصوصاً تواريخ الطائفة وعن فحص الكتب الكنائسية وغيرها طمعاً بما تخبيء بطون الاوراق وزوايا المصاحف القديمة · وقد عثرنا في قبرس عَلَى مخطوطات تاريخية قديمة اثبتها في كتبه بحروفها حباً بالتدقيق · لانه شرع من ذلك الوقت بجمع التواريخ المشهورة عند كل من يهمه معرفة احوال هذه البلاد في الايام الغابرة

ومن حين ارتقائه الى الدرجة الاسقفية اخذ يكتب بيده الطاهرة رتب الشرطونية معتمداً عَلَى النسخ القديمة الصحيحة اقتداءً بالاحبار القديسين والاباء الابرار خوفاً من ان يلمّ من استعماله كتباً غير منقحة او غير مضبوطة الاستخفاف بالدرجات المقدسة · واراد ايضاً ان يملأ قلبه من معاني الرتب النفيسة ليفيضها في قلوب الذين ينتدبهم الله عَلَى يده الى الدرجات المقدسة وان يعرف قدر السلطان الرهيب الذي صار به خليفة الرسل وقهرمان المسيح وخادم الروح القدس وراعي رعاة شعب الله المختار · وهذا الكتاب محفوظ الى اليوم في الخزانة البطريركية · وهو بقطع الثمن وفي صدره الاسطر الاتية : « هذه شرطونية المعلم الفريد والراعي السعيد المشهور بالعلم والعمل الصالح ذكره البطريرك اسطفانس بطرس الانطاكي بركة صلواته تحفظنا »

وعلى الصفحات التي في اول الكتاب اسماء الذين قبلوا الدرجات المقدسة من يد البطريرك اسطفانس الدويهي من شهر ايار سنة ١٦٦٩

الى ٥ نيسان ١٧٠٤ اي من زمن ذهابه الى قبرس الى بعض ايام قبل وفاته [1]

وفي مصحف قديم نسخة كسبر الغريب القبرسي اول تلامذة المدرسة الرومانية واحضره الدويهي من قبرس واتى بذكره كثيراً في كتاب

---

١ · وهذا الكتاب كله بخط يده كما يتضح من الصفحة ١٨ حيث كتب :

ܘܩܪܝܐ ܢܨܠܐ ܥܠ ܐܣܛܦܢܘܣ ܚܣܝܪܐ ܕܟܬܒ

ܐܝܟ ܝܕܥܬܗ · تعريبه : فليصلِ القاري لاجل اسطفانس الحقير الذي سطر حسب معرفته · ومن الصفحة ٢٦٩ حيث يقول : ܫܠܡ ܕܪܓܐ

ܕܦܛܪܘܢܘܬܐ ܕܐܦܝܣܩܘܦܐ ܐܝܟ ܕܐܫܟܚܢܝܗ ܟܕ ܗܘܐ

ܒܟܕ ܒܬܫܪܝ ܩܕܡ ܫܢܬ ܐܚܣܚ ܡܫܝܚܝܬܐ : ܥܠ

ܐܝܕܐ ܐܣܛܦܢܘܣ ܡܝܛܪܦܘܠܝܛܐ ܕܓܙܪܬܐ ܕܩܘܦܪܘܣ

· اي : كملت رتبة شرطونية الاساقفة كما وجدناها وكان ذلك في ٢٤ تشرين الاول سنة ١٦٦٨ مسيحية على يد الحقير اسطفانس مطران جزيرة قبرس · » ومن الصفحة ٣٢٣ حيث يقرأ : ܫܠܡ ܒܥܘܕܪܢܗ ܕܡܪܝܐ ܘܐܠܗܐ ܫܘܒܚܐ ܒܫܢܬ ܐܠܦ ܘܫܬܡܐܐ ܘܫܒܥܝܢ

ܡܢ ܡܘܠܕܗ ܕܡܪܢ ܒܒܣܪ ܒܝܪܚ ܐܕܪ ܒܝܘܡ

ܬܡܢܥܣܪ ܒܗ · ܨܠܘ ܥܠ ܐܣܛܦܢܘܣ ܚܛܝܐ ܒܪ

ܡܝܟܐܝܠ ܡܢܝܚܐ ܐܕܘܝܗܝ ܐܗܕܢܝܐ · تعريبه : كمل بعون الرب ولله المجد · في سنة الف وستمائة وسبعين من ميلاد الرب بالجسد في شهر اذار في اليوم الثامن عشر منه · صلوا لاجل اسطفانس الخاطي ابن المرحوم مخائيل الدويهي الاهدني · »

الاحتجاج [١] ثلاث رسالات بخط يد المطران اسطفانس الدويهي بالحرف السرياني الواحدة من البابا ادريانس السادس الى البطريرك شمعون تاريخها ١٥٢٢ والثانية من البابا بولس الثاني الى البطريرك بطرس ابن حسان بتاريخ ١٤٦٩ والثالثة من البطريرك موسى الى البابا بيوس ارابع بتاريخ ١٥٦٤ وفي اخر هذه الرسالة علق الدويهي هذه العبارة : « هذه الثلاث رسالات وجدتهم انا الحقير مطران اسطفان سنة ١٦٦٩ ربانية في شهر اذار بقرية مربين [٢] في كتاب نسخه الخوري لوقا القبرسي قاصد سيدنا البطرك الى عند حضرة بابا رومة سنة ربانية ١٥٦٨ » وعَلَى كتاب صلوات كان سابقاً في كنيسة قرباصيا اوقرباشا [٣] وُجدت هذه الكلمات: « قرأ في هذا الكتاب الحقير في الرؤساء اسطفان الدويهي من اهدن مطران قبرس سنة ١٦٦٩ مسيحية في ٢٦ من شهر شباط المبارك في ايام سيدنا البطرك جرجس . »

هذا ما وفقنا الله الى الوقوف عليه من آثار اسقفية الدويهي عَلَى لفقوسية . اما علامتنا فلم يُشر الى ذلك في رسالته الى الاب بطرس مبارك سوى بهذه العبارة الوجيزة : « في العودة (من زيارة الاماكن المقدسة)

---

١ . يشتمل هذا السجل على الكتابات المنفذة من الكرسي الرسولي الى الموارنة واجوبة بعض البطاركة وغير ذلك .

٢ . لعله يريد مرتين وهي قرية قديمة غربي دير مار الياس مطوشي هجرها الموارنة وخربت . او مركين (والقبرسيون يسقطون الكاف للتخفيف) وهي مزرعة باقية حتى اليوم في حوزة الموارنة وملكهم وهي على مسافة نصف ساعة من اصوماتو

٣ . قرية صغيرة مارونية بقرب اصوماتو ايضاً

مسكنا البطرك المرحوم وقدمنا الى درجة المطرنية عَلَى افقسية [1] قبرس فزرناهم وتعبنا فيهم جهدنا . »

في اليوم الثاني عشر من نيسان سنة ١٦٧٠ يوم سبت الحواريين وعشية الاحد الجديد انتقل الى جوار الرب البطريرك جرجس ابن الحاج رزق الله البسبعلي بعد ان قاسى مشقات عظيمة وعذابات اليمة من جور الحكام غير المؤمنين وفرّ هارباً من الاضطهاد وقطن في دير مار شليطا مقبس فوق قرية درعون . وحدث في تلك الايام وباء ثقيل يسميه البعض داء الجذام وغيرهم الطاعون فشا في البلاد منذ ١٦٦٨ وانتشر في ايالة طرابلس والشام وحلب وقيل انه امات في حلب مابة واربعين الفاً وفي الشام خمسة وسبعين الفاً وعدداً كبيراً في طرابلس ولبنان [2] فسمح الله ان يكون البطريرك المذكور من جملة المصابين وبعد ان احتمل امر [3] الاوجاع وتطهرت نفسه بنار الامراض الزمنية والمحن قضى اجله في الدير المذكور . ولسبب المرض الذي ابتلاه الله به خاف سكان الدير ان يدفنوه داخل كنيستهم فوضعوه في قبر قديم مصنوع في صخرة بجانب الكنيسة المرقومة الى جهة الغرب والقبر باقٍ الى يومنا هذا . وكان البطريرك جرجس رجلاً مهاباً شجاعاً كريم النفس عالماً حكيماً وروى الدويهي انه كان ماهراً في اللغة العربية والسريانية والتركية . وكانت مدة رياسته على الكرسي الانطاكي اثنتي عشرة سنة وثلاثة اشهر واثني عشر يوماً الا

---

١ . راجع ص ٤١ حاشية ١

٢ . راجع تاريخ الازمنة في السنين المشار اليها

ان جور اعدائه سلب منه الراحة واضطره الى الهرب من بلد الى آخر وتكبد لذلك خسائر كبيرة ومصارفات فوق طاقته فترك عَلَى الكرسي ديونًا غير قليلة كما قال الدويهي الذي خلفه في البطريركية

وقد امر الدويهي ان يحفر عَلَى قبره هذا التاريخ احياءً لذكره عند الخلف واكراماً للمكان الذي رقدت فيه عظام اب الطائفة ورئيس احبارها : ܬܫܒܘܚܬܐ ܠܐܠܗܐ • ܐܬܬܢܝܚ ܒܩܒܪܐ ܗܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܦܛܪܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܡܪܘܢܝܐ ܡܢ ܒܣܒܥܠ • ܒܫܢܬܐ ܡܫܝܚܝܬܐ ܐ̄ܬ̄ܪ̄ܥ̄ ܐܡܝܢ ܡܚܐ · المجد لله · تنيح بهذا القبر جرجس بطرس بطريرك انطاكية الماروني من بسبعل سنة ١٦٧٠ مسيحية في اليوم الثاني عشر من نيسان



الفصل الثالث

في انتخابه بطريركاً وجلوسه على كرسي انطاكية وفي ما عرض له من الصعوبات والمقاومات

١٦٧٠ — ١٦٧٤

كان انتقال البطريرك جرجس من حياة الرجا الى عالم الحق في غيبة المطران اسطفان وليس بيدنا دليل على انه بلغه خبر وفاته في قبرس · واتفق ان شدة وطأة الطاعون منعت مطارين الطائفة واساقفتها واعيانها عن الاجتماع لانتخاب خلف له في البطريركية وكان في غضون ذلك ان المطران اسطفان اتم رسالته في قبرس وزيارة الرعية وبرح الجزيرة عائداً الى لبنان فنزل في قوف اي مركب وقدم الى طرابلس [1] فصادف في

١ · قد رأينا ان نثبت هنا وصف مدينة طرابلس نقلاً عن جبرائيل الصهيوني الاهدني و يوحنا الحصروني المارونيين في كتاب وضعاه باللاتينية عنوانه : في بعض المدن المشرقية الخ ص ٥٤ وما يليها

« طرابلس من اقدم المدن السورية · · · واسمها (المدن الثلاث) مشتق من المدن التي كانت مركبة منها في القديم · موقعها على مسافة ميل واحد من البحر فوق اكمتين بعضها يرتفع متدرجاً على تلال رائقة المنظر والقسم الاخر في السهل الذي يمتد امامها · ومن جهة البحر ارض فسيحة تزين المدينة وتفيض عليها الخيرات وفي هذه البقعة عدد وفير من اشجار التوت وجنائن الاترنج والرمان وقصب السكر · ومن الناحية الاخرى المطلة على لبنان بساتين الزيتون الكثيفة وفيها الاثمار اللذيذة وهذه البساتين على مسافة خمسة عشر ميلاً في الطول وثمانية اميال في العرض واشجار الزيتون المذكورة سبب ثروة اهل المدينة · وفي وسط هذه البقعة نهر عذب يقسمها

المدينة عند نزوله مكاري الكرسي فسلمه امتعته وتوجه تواً الى قنوبين فوجد هناك المطران جرجس حبقوق البشعلاني والمطران جبرائيل البلوزاني والمطران بولس الدويهي وجمعاً حافلاً من الاوجه والاعيان فبلغوه خبر وفاة راس الطائفة وكان بلغه هذا النبأ بالتواتر عند نزوله الى البر الا انهم لم يجتمعوا بحسب الرسوم لانتخاب بطريرك جديد حتى توفي القس انطونيوس الرزي الذي كان وكيل دير قنوبين [1] وقد اعاقهم عن الاجتماع بوقته خوفهم من وطأة الوباء لان القس انطونيوس المذكور

شطرين متساويين ومصدر مياهه في لبنان وتتوزع مياؤه على البساتين وتفيض الخصب على ضفتيه . وبعد خروجه من المدينة يسقي البساتين التي في اسفلها ويمتزج بالبحر المالح على بعد ميل واحد . ويجوز في المدينة ايضاً ماء ينبوع آخر وهذا الينبوع في سفح جبل لبنان وتسير مياؤه في قناة الى المينا على مسافة ميل واحد وتحيي سكان المينا . وطرابلس مشهورة بطيب فاكهتها على اختلاف انواعها وبكثرة الخمر والزيت والحنطة وسائر الحبوب . ومن اخص الاثمار التي تنبت في حدائقها الموز . وليس للمدينة اسوار بل لها على شاطيء البحر ابراج مربعة الشكل منيعة وعلى احدى الاكام قلعة حصينة ويخبر اهل المدينة ان الافرنج بانوها . اما ما يجعل مدينة طرابلس في مكان من العز والاهمية فهو كونها مجتمع التجار واليها تفد البضائع الثمينة من جميع انحاء البر والبحر ومنها تصدر الى الاقطار الشاسعة . الخ

١ . انطونيوس ابن سركيس الرز من بان ارسله البطريرك يوسف حليب العاقوري برفقة عبد الغال اخيجان مع موسى البشراني وحنا ابن عويضه الغزيري وصافي القديسي من شننعير سنة ١٦٤٦ . وبعد رجوعه من رومة ترهب في دير قنوبين وخدم البطريرك جرجس في الكتابة . ولما توجه البطريرك المذكور الى كسروان جعله وكيلاً على كرسي قنوبين فاصابه الوباء واختطفه في شهر ايار سنة ١٦٧٠

اصيب به

ان التأخر في الشؤون الكبيرة يفتح ابواب الخلاف والنزاع والمناظرات التي لا طائل تحتها . ولا نعلم تماماً ما حدث في تلك الاونة بعد فروغ الكرسي البطريركي انما الذي نعرفه هو ان بعض الحكام الزمنيين ارسلوا كتابات للمطارين والرهبان ووجهاء الطائفة يبدون لهم بها استعدادهم للمحافظة عَلَى عوائدهم القديمة المقدسة ويستنهضونهم الى انتخاب خلف للبطريرك جرجس دون خوف من محذور . فكتب الباشا حاكم طرابلس ما نصه :

اعلام الى سائر المشايخ والاعيان بناحية جبة بشري بوجه العموم . هو انه بلغنا انتقال البطرك جرجس بدير قنوبين[1] فيلزم الى بطرك مكانه . بوصول هذا المرسوم اليكم تنظروا الى رجل من اهل الدين ويكون اهل علم عندكم معتمداً عليه والذي تفهمه اختياريتكم[2] ويقع عليه الاتفاق في ما بين ربة[3] دينكم ويكون له اهلية تامة لذلك تقيموه بطركاً ويعمل استمالة وطيبان خاطر الى سائر الرعايا ويطيب خاطرهم من العمار والاصلاح كما جرت العوائد القديمة وتكونوا طيبين الخاطر من سائر الوجوه وتعلمون ذلك وتعتمدونه غاية الاعتماد . حرر سنة واحد وثمانين والف في ٢ محرم »

وهذا مكتوب آخر من رجل لم نعرف سوى اسمه

---

١ . يريد بطرك دير قنوبين

٢ . الشيوخ

٣ . ارباب الدين ورجاله

بعد السلام عَلَى المطارنة والقسوس وسائر اعيان جمعية الموارنة بناحية الجبة وفقهم الله تعالى

وبعده الذي نخبركم به ان رهبان دير قنوبين بناحيتكم ارسلوا يذكرون لنا ان بطركهم مات ومرادهم يتوقف عليهم لاجل اصطلاح ديرهم بطرك كجاري عادتهم وطلبوا منا ان نحرر لكم مكتوبنا هذا بخصوص ذلك فالمراد انكم تقيمون عَلَى الدير المذكور من تعتمدون عليه برية دينكم كجاري عوائدكم القديمة وتكونون طيبين الخاطر من سائر الوجوه ما عنكم ولا عن الدير تخلي بكل ما يلزم · تعلمون ذلك والسلام

الفقير محمد جاويش

ومهما كان من مسبب لهذه الكتابات فبعد انتقال القس انطونيوس المشار اليه سابقاً اجتمع المطارنة والاعيان وغب المداولة والابتهال الى الله قرروا انهم لا يقيمون بطريركاً عليهم غير المطران اسطفانس فلما درى بذلك هبت في نفسه شعائر القديسين وتمثلت لعينيه صورة الاحبار الفضلاء الذين رسموا اقوال الانجيل باعمالهم الطاهرة وظهروا كالكواكب النيرة في سماء بيعة المسيح · وتذكر الآباء الذين حسبوا كل شيء كالزبل ليربحوا ربهم وفروا الى البراري هرباً من مجد العالم الغرور · فهرب المطران اسطفانس واحتجب عن اعين الناس · غير انه لم ينل امنيته واضطر الى قبول البطريركية ووظيفة راعي الرعاة · وانتشر الخبر فملأ القلوب فرحاً وهلل الشعب تهليلاً وكان يوم انتخابه وجلوسه من ابهج الاعياد وابهاها

الا ان الفرح لم يكن بدون كدر ولا ذلك اليوم البهي بدون غيوم

وسبب هذه الاكدار هو انه كانت العادة من قديم الايام ان وجوه الطائفة يحضرون انتخاب البطاركة كما انه كان لهم يد في تعيين الاساقفة والمطارين وهذه العادة تسلمها الموارنة من اجدادهم والقاري لا يجهل انها كانت مأنوسة ليس فقط عند الطوائف الشرقية بل ايضاً في الغرب عند الامم المسيحية جميعها الا انها أُلغيت عندهم قديماً وحافظ عليها الشرقيون والى اليوم يجري عليها بعض مواطنينا . اما في طائفتنا فقد ابطلها المجمع اللبناني وحفظ حقوق الانتخابات المذكورة للرؤساء الروحيين اي البطاركة والمطارنة والاساقفة الذين وضعهم الروح القدس في البيعة ليدبروها ويسوسوها وهذا هو عين الصواب . والعادة المشار اليها كانت مستحسنة في الاعصار الاولى لما كانت الشعوب ذات غيرة عَلَى الدين ثم اضحت سبباً للخصام والنزاع لما دبت المآرب البشرية والروح العالي في نفوس المسيحيين فصار تدخل اهل العالم واصحاب القوة في امور الكنيسة تعدياً عَلَى سلطان غيرهم ومبدأ شرور كثيرة كما خبر ذلك غيرنا في اوقات شتى . فلاجل هذه الاسباب وخلافها حكم الاحبار الاحبار الرومانيون بابطال العادة المنوه بها فاطعنا امرهم ورضخنا لارشاداتهم

وكان في الايام التي كلامنا فيها مقدم الطائفة ووجهها وعينها الشيخ نادر الخازن المعروف بابي نوفل الذي لاجل احساناته العميمة وغيرته عَلَى الدين كتب اليه البابا اسكندر السابع رسالة فخيمة مدح فيها اعماله وتقواه [1] ومنحه لقباً شرفياً وسماه كوَاَلِيرِ رومانياً سنة ١٦٥٦ . ثم انعم

١ . هذه الرسالة اثبتها طابع تاريخ الازمنة ص ٢٣١ ونسبها غلطاً الى الشيخ

عليه ملك فرنسة لويس الرابع عشر بفرمان شريف ووكل اليه القنصلية في بيروت وجرى ذلك سنة ١٦٥٩ عَلَى يد المطران اسحق الشدراوي العالم الشهير الذي ترك لنا خبر سفرته الى فرنسة في كتاب المعلم والتلميذ[١] وصادقت الدولة العلية عَلَى وظيفة ابي نوفل المنوه بها بفرمان شاهاني تعطف به عليه السلطان محمد الرابع بتاريخ ١٠٧٤ هجرية · وكان ابو نوفل متفرداً بالذكاء والفطنة · ولاجل منزلته الرفيعة وغيرته في سبيل الصالح العام استاء من اقامة البطريرك الجديد دون مشورته وحضوره · ولو عرف مناقب البطريرك المنتخب لما برّأه تمسكه بالعوائد القديمة مهما كانت من لوم المؤرخ · لكنه بعد زمان يسير ادّى له واجب الطاعة وبالغ في اكرامه لما شاهد فيه ذكاء العقل وعلامات القداسة وروى البعض[٢] ان البطريرك اسطفان قدم اليه الى كسروان واكتسب رضاه برقته واتضاعه

ان وداعة البطريرك اسطفانس اخفت عن معرفتنا خبر ما وقع بعد انتخابه فقال البعض انه حصل عَلَى رضا ابي نوفل حالاً وانه وجه قاصده الى رومة في اواخر فصل الصيف سنة ١٦٧٠ · والصحيح ان البطريرك اسطفانس اتى الى كسروان واخمد بمشهد فضائله نفور الشيخ نادر واحلافه ودليل ذلك تاريخ الرسالة التي كتبها الدويهي للبابا اقليمس العاشر بطلب التثبيت والباليوم وهي محفوظة في السجلّ الذي جمعه ورتبه

حيدر اذ لا وجود لاسم حيدر في الاسرة الخازنية وقتئذٍ لكن الناقل قرأ حيدراً بدلاً من نادر في اللاتينية كما تأكد لنا ذلك من معاينة الكتابة الاصلية

١ · راجع مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ ص ٩٣٩ وما يليها

٢ · المقاطعة الكسروانية ص ٩٤

الدويهي نفسه فهذه الكتابة صادرة عن دير مار شليطا مقبس في شهر اب سنة ١٦٧١ . ويستدل ايضاً ان سفر القس يوسف شمعون الحصروني الى رومة كان سنة ١٦٧١ من كتابة ورديان القدس [١] التي سنوردها ان شاء الله

وكان انتخاب اسطفانس الى البطريركية في اليوم العشرين من شهر ايار المبارك سنة ١٦٧٠ وفي اليوم الثاني والعشرين صارت حفلة ترقيته في كنيسة دير قنوبين . وبعد ارتقائه السدة البطريركية الانطاكية عَلَى ما ذكرنا استدعى الشماس يوسف بن بربور الحصروني [٢] وسامه قسيساً وارسله الى رومة ليقدم باسمه الطاعة للكرسي الرسولي ويلتمس من رئيس الاحبار التثبيت ودرع الرياسة جرياً عَلَى عادة سلفائه المغبوطين . وسلمه

١ . ورديان لفظة ايطاليانية Guardiano ومعناها الناظر او المحافظ وهو رئيس رهبان مار فرنسيس المعروفين برهبان القدس ويدعونه اليوم الكستود

٢ . هو نعمه او نعمة الله ابن الخوري يوسف (وفي رواية : الخوري يعقوب) الحصروني ذهب الى رومة ابن عشر سنين وبعد ان اتم دروسه برح المدينة العظمى في ٢١ تشرين الاول سنة ١٦٦٨ وعينه البطريرك كاتباً عنده فمكث في هذه الوظيفة الى ان رقاه البطريرك اسطفان الى القسوسية على مذبح سيدة قنوبين في ٢٦ ايلول سنة ١٦٧٠ . ولنا كلام فيه نثبته في الاتي ان شاء الله . قيل عنه : كان في سيرته طاهراً وبمضمون سريرته ظاهراً ٠٠٠ الف كتاباً مفيداً في علم الذمة يتضمن الامور اللازمة للمؤمن لتدبير سيرته وخلاص نفسه وهو كتاب صغير الحجم كبير الفائدة لخص فيه قواعد الاداب الدينية وجعله باربعة وعشرين باباً . وله رسالة جدلية الى احد ابناء الطائفة الملكية . نشرها الخوري مخايل غبريل في تاريخ الكنيسة الانطاكية

مطارين الطائفة واعيانها اوراق الانتخاب والتماس التثبيت كما هي العادة الى يومنا هذا • ولم يتمكن البطريرك الجديد من ارسال قاصده خالاً بعد ارتقائه لانه اضطر ان يأتي كسروان اولاً هرباً من جور الحكام الذين كانوا في الجبة وثانياً لاجل الوقوف علَى خاطر ورضا الذين كانوا اجهروا عدم قبوله لهذا المنصب السامي • وبعد ان بلغ امنيته وفاز بالمقصود همَّ باجراء المقتضيات الرسميـــة مع الكرسي الرسولي كما يستدل من تاريخ الكتابات الاتية • وسلم الى القس يوسف شمعون رسالة باسمه للاب الاقدس جمع فيها درر المعاني وافصح بالتعبير عن تعلقه بالسدة الرسولية وهذه هي بحروفها كما دونها في السجل المعروف باسمه وهنا يرى القاري كيف ان الفصاحة تقوم بصدق شعائر القلب وارتفاع المعـاني لا بسبك الكلام ورنة الالفاظ :

الى جناب الاقدس في الكملاء والمطوب في الفضلاء اب الاباء ورئيس الروساء سيدنا وتاج روسنا الحبر الاعظم ومدبر بيعة الله الانخم مار اقليميس العاشر [1] الجالس علَى الكرسي الروماني الطاهر • خليفة بطرس السليح [2] ونائب علَى الارض للسيد المسيح • اسطفانس الهدناني بطرس المنتخب بطريركاً على مدينة الله انطاكية وما يليها • الوف تقبيلات وافيات وتسليمات صافيات

---

١ • كان انتخابه في ٢٩ نيسان سنة ١٦٧٠ ودبر شؤون الكنيسة الكاثوليكية الى اواخر تموز سنة ١٦٧٦

٢ • لفظة سريانية تعريبها الرسول

من اراد يكسر عطشه فليقصد ينبوع الماء الجارية · ومن اشتهى يريح سفينته من العواصف فليرسيها في مدينة الراحة · والله سبحانه وتعالى قد اثر منذ البدء بكرسي رومية دون غيره في سائر الآفاق ليكون عنده ينبوع حكمة الخلاص لكل مضطرم اذ هو بنفسه طلب لاجل ان لا ينقص ايمانه وشيد اركان بيعته عَلَى الصفا الثابتة لتكون بيت ملجأ لكل تائه · فالى هذا نبع الحكمة الكائن برومية العظمى يجب ان يسرع كل عطشان · وفي هذا مينا الامان يستريح كل مسافر فيجدا لنفسها حياة وخلاصاً · يقول ايوب الصديق : [1] الذهب والفضة لها معادن ومسابك يؤخذان منها والحجار الكريمة لها اماكن توجد فيها · واما الحكمة اين توجد واين هو مستقرّ المعرفة · كأنه يقول ان الحكمة الطبيعية لها ارباب والقضايا البشرية لها سادات · اما حكمة الله ومعرفة بيعته التي هي اساس الحق وعاموده اين توجد · زعم اريوس ان حكمة الله عنده وكذلك نسطور وديسقورس وبيروس وسائر شيع الاراطقة الملحدين ان معرفة الحق في كنائسهم لكن كذَّبهم النبي [2] جميعاً لان الغمر قال ليست فيَّ ونطق البحر انها ما هي معي · بل ان الله علم طريقها وهو يعرف مكانها · يريد ان ما احد من البرايا استدل عَلَى معرفة الحق الا الذي اهتدى من الله · فلما سأل السيد المخلص تلاميذه : [3] ماذا يقول الناس عني انا ابن

---

١ · ايوب : ٢٨ : ١·

٢ · ايوب ٢٨ : ١٤

٣ · متى ١٦ : ١٣ وما بعد

البشر · فجاوبوه : قال البعض انك ارميا والبعض ايليـا ام واحد من الانبياء ولم يستدل احد منهم عَلَى الصواب الا سمعـان الصفا الذي قبل الرؤيا من العلا ونادى قائلاً : انت هو المسيح ابن الله الحي · لموضع ذلك بعد ما طوبه قال له : انت الصخرة وعَلَى هذه الصخرة ابني بيعتي وابواب الجحيم لن تقوى عليها · قد حنق عدو جنسنا واخرج من ابواب الجحيم ضد كنيسة بطرس ملوك الكافرين وشيع اليهود وجنود الغير مؤمنين وجوقات المبدعين فلاطموها لكن لان اساسها عَلَى الصخر الثابت لم يقووا عليها بل هلكوا الاريوسيون وفنوا الديسقوريون ودثرت جميع الشيع المضادة · وكنيسة بطرس لم تتزعزع · فاض بحر النفاق واستعبد بموجه كل من كان خارج سفينة بطرس · واما هي فوحدها وصلت الى مينـا الخلاص · بسبب ذلك الملة المارونية منذ بدء الكنيسة لم تزل طائعة لكرسي قداستكم الطاهر · ومن حين قبلت علامات الايمان من الرسل القديسين لم تزل في وسط الكفار والمبدعين خاضعة طائعة لسننكم · وهم بشبه الخراف الانجيلية [1] صاغيين اذان قلوبهم ليسمعوا صوت الراعي الصالح ويتبعوكم · فيجب عَلَى عناية وحلم قدسكم ان مثل راس الرعاة تحولوا وجه حنيتكم اليها · واذ هي مشتتة من الذئاب الكاسرة ومبددة بين سياجات المبدعين تنادوها بصوتكم الكريم وتدعوها باسمهـا فلم تزل تقتفي اثركم ·

ومن جهتنا نحن تلميذ قدسكم وتربية كرسيكم نعلم ابويتكم المطوبة ان

١ · يوحنا ١٠

سالفنا البطريرك جرجس بطرس الانطاكي انتقل بالوفاة الى رحمة الله الدائم فاجتمعوا اخوتنا المطارين المكرمين واولادكم روأساء الديورة واعيان شعبكم الماروني والزمونا اذ نحن غير مستحقين ان نتخلف عليه في كرسي انطاكية المقدس كما هو واضح من رسالتهم وختوماتهم الواصلة الى بين ايادي قدسكم · فالان ايها الاب الاقدس ٭وذا نحن قائمين بين ايادي شرفكم وناصتين لكلامكم وطالبين تعاليمكم · فنسأل قدسكم انه كما امركم رب الرعاة قائلاً لكم باقنوم بطرس الطوبان : فانت عاود ثبت اخوتك[1] يكون حسن نظركم علينا وتشرفونا بارسال البركة مع التثبيت والدرع الحبري كما جرت العادة بين سلفائكم وسلفائنا الذين انتقلوا الى رحمة الله · وكان في خاطرنا ان نجي نحن باقنومنا نتشرف بنظركم الكريم ونقبل ايديكم الطاهرة ونتبارك من فم قدسكم لكن احاطت بنا قوة الظالمين وشتتوا رعايانا وطردونا من مواطنا · بسبب ذلك بعثنا ولدكم القس يوسف الحصروني حتى يرمي لكم الطاعة باسمنا · املنا بقدسكم جزيل الرحمة ان تشملوه بحنيتكم ولا يدع حلمكم انه يحتاج لاحد وترسلوه عاجلاً الينا لاننا في استنظاره ومهما عملتم معه ومع هذا الكرسي الانطاكي ومع ملتكم المارونية من الخير هو لكم عند الله سبحانه وتعالى · ولم نزل طالبين من كرم الباري ان يمد في ايام قداستكم ويوأيد دولتكم ويحفظ في الامان والسلام تحت اجنحة رحمته وتحت كنف عنايتكم الكنيسة الرومانية واولادها سائر الكنائس التي في اربع افاقات العالم · وبعد رمي المطانيات نقبل اياديكم

١ · لوقا ٢٢ : ٢٣

المقدسة ·

حرر في دير مار شليطا مقبس في بلاد كسروان في اربعة وعشرين خلت من شهر اب سنة ١٦٧١ ربانية »

وبيدنا صورة تحرير من رئيس رهبان القديس افرنسيس في القدس الشريف الى البابا اقليمس العاشر ومن التاريخ الذي في اخره يستدل ايضاً كما سبق القول ان معتمد البطريرك اسطفانس لم يتوجه الى رومة لطلب التثبيت الا سنة ١٦٧١ · وهذه صورة الكتابة المشار اليها نقلاً عن اصله اللاتيني المحفوظ بخط الدويهي في ورقة بالية

« الى الطوباوي الاقدس ابينا بالمسيح وسيدنا الحبر الاعظم اقليمس العاشر · من الحقير الاخ ثيوفيلس نولا ورديان جبل صهيون المقدس

اننا في هذه الانحاء المشرقية المنتشر عليها ظلام الضلال والارتقات لسنا نعرف نحن عبيد قداستكم اللاتينيين امة اخرى (غير الشعب الماروني) اختنا بالايمان وشريكتنا بالطاعة وناصرتنا بالعمل : وامتثالاً لقول الذي اوصانا ان نحب الجميع ولكن بالخصوص بني الايمان قد تعلقنا بالامة المارونية من صميم فؤادنا حتى صرنا نفرح باقبالها كما لو كان لنا ونحزن لبلاياها · وجعلنا تعزيتنا وسلوانا في عرض مصائبنا لاب الجميع ورئيس الكل · انه قد بلغني في العام المنصرم ان بطريرك هذه الطائفة بعد ان قاسى اهوالاً خارقة العادة ومظالم شتى واضطهاداً لا يطاق اضطر ان يهرب من لبنان[1]

١ · من المعلوم ان كسروان كان يعرف قديماً بالبلاد الخارجة ويليها الفتوح شمالاً ثم البلاد الداخلة وهي لبنان في عرف تلك الايام

الى مقاطعــة كسروان البعيدة وقضى اجله في وسط الشدائد ٠ الا ان بشرى ما جرى بعد ذلك خفف علينا ثقل الحزن وهو ان مطران قبرس اسطفانس الاهدني الذي قدم سابقاً الى زيارة الاماكن المقدسة وكان قدوة الزائرين و كثيرون من اخوتنا عرفوه وشهدوا بما الفوا فيه من سعة المعارف وطهارة السيرة واصابة الرأي قد انتخبه عموم الطائفة و رفعوه الى المقام البطريركي السامي ٠ وكنت ارجوان يأتيه التثبيت من قداستكم بوقت قريب ٠ غيرانه ورث من سلفه الاضطهاد ومشقاته مع الدرجة البطريركية العالية ٠ لا بل ان حمله ثقل من الديون المتروكة عَلَى الكرسي وشدة الظلم جعلته ان يهرب الى حيث كان سالفه و يترك شعبه ٠ فصار بنو رعيته تائهين في البلاد كالغنم بين الذئاب الخاطفة ٠ وقد علمت وتمزقت كبدي من هذا الخبر ان البطريرك المذكور باقٍ في المنفى في وسط ضيقات كبيرة وانه لم يرسل احداً بعد لطلب التثبيت من قداستكم لكنه مستعد ان يوفد قصاداً بفرصة قريبة ٠ واذ انه ليس بوسعي ان ارافقهم بذاتي اصحبتهم برسالتي هذه مقبلاً بكل خشوع اقدامكم المقدسة ويا ليتني اتمكن من المثول بذاتي بين يديكم ٠ فاترجى حلمكم ان تتكرموا بالتعزية وتمدوا يد المساعدة الى خادم مثل هذا مخلص الطاعة للكرسي الرسولي المقدس وقد رضع في صباه لبان العلوم والايمان من الينبوع الروماني ٠ وتشفقوا على هذه الرعية الكاثوليكية لان انكسار شوكتهـا مضرّ جداً بشرف اسم الكنيسة الرومانية

تحرر في دير المخلص المجيد [١] في ثالث يوم من اذار سنة ١٦٧١ »

من هذه الكتابة النفيسة يتضح جلياً ان البطريرك اسطفانس حال ارتقائه الى السدة البطريركية لقي مع الديون الباهظة التي تركها سلفه المتوفي صعوبات من قبل الحكام وابناء الطائفة نفسهم : هذا كان ميراثه في البطريركية شأن كل الذين تُعطى لهم المقامات العالية في البيعة . والى بعض ذلك تشير كتابة متصرف طرابلس التي اثبتناها قبلاً . ثم عظمت البواعث حتى انه اضطر ان يهرب الى كسروان وكان وقتئذ كبلاد غريبة في عين الموارنة لانهم بعد ان سكنوه في القديم [٢] وُحرق ونُهب استوطنه المسلمون وبعد ذلك اخذ النصارى يرجعون اليه رويداً ويشغلون اراضيه الجدباء لما اعترائهم الضيق والاضطهاد في وطنهم الحقيقي الذي هو الى شمال نهر ابرهيم . ومن جهة اخرى تيسر لاسطفانس المجيء عند الشيخ ابي نوفل الخازن لازالة ما كان حصل له من الغيظ بعد انتخاب البطريرك الجديد . ووقوع هذا المجي اثر تعيين الشيخ المذكور من السلطان سليم العثماني حاكماً عَلَى مقاطعة كسروان ومزارعها [٣] . وترقية الشيخ ابي نوفل

---

١ . نرجح انه حرره من بيروت لان دير الفرنسيسكان فيها كان على اسم المخلص . وتاريخ هذه الكتابة كما يرى القاري يسبق تاريخ رسالة الدويهي الانفة الذكر

٢ . هذا راي بعض المؤرخين وذهب غيرهم الى ان الموارنة لم يستوطنوا كسروان قبل القرن الخامس عشر . راجع النبذة النفيسة التي وضعها سيادة المطران يوسف دريان في المردة والجراجمة واورد في ذيلها البراهين التي ترجح وجود الموارنة قديمًا في كسروان

٣ . هذه المزارع تعرف اليوم بالقاطع وتتبع قضاء المتن

الى مثل هذا المنصب دليل لنا عَلَى ان كل ما كان يلحق الموارنة من الاضطهاد والضيق انما كان بغير علم الدولة العلية ولا يسوغ ان ينسبه المتأخرون الا الى اشخاص فطروا عَلَى الظلم وسفك الدما وارتكاب جميع المنكرات بحسب ما تسوقهم اهواؤهم وتولوا تدبير الرعايا بلا اهلية ولا فضل · وسنتعرض في موضع آخر لذكر شيء من مآثرهم السمجة لا حباً بالتنديد بالماضي بل خدمةً للحق وايضاحاً لحالة هذه الديار اللبنانية في تلك الايام الغابرة التي نتمنى من صميم القلب ان لا تعود اليها

واذا سأل سائل لماذا كتب وردبان الاماكن المقدسة الرسالة المثبتة آنفاً نجيب ان رئيس اديار القديس افرنسيس في الارض المقدسة استمر طويلاً وسيط رؤساء الطائفة المارونية في المراسلة مع الكرسي الروماني المقدس وكان الاحبار الرومانيون بناءً عَلَى التماس بطاركتنا امروه قديماً ان يوجه في كل فرصة بعض رهبانه الغيورين الى لبنان ليحملوا للموارنة عربون البركات الرسولية ويرشدوهم ويعلموهم حقائق الايمان ويثبتوهم في الدين القويم الكاثوليكي · وكان مقر رئيس رهبان مار افرنسيس وجنسه ولغته تمكنه من مقابلة الزائرين من الافرنج وتجارهم وسفر رهبانه الى اوربا ومجيء غيرهم الى المشرق كان طريقة امينة لايصال المكاتبات الى مرجعها · ومن الاسباب التي حملت الرهبان اللاتينيين عَلَى الاهتمام بهذه الطائفة وقضاء مصالحهم رابطة الدين ومشاطرة المصائب وقد كنا وقتئذٍ في كل المشرق الطائفة الوحيدة الطائعة لكرسي رومة والمتحدة مع الغربيين باتحاد الدين الشديد · الى غير ذلك من الاسباب

وبعد ان أعدت الكتابات السابق ذكرها توجه الخوري يوسف شمعون قاصداً رومة العظمى وكان سفره في اواخر الصيف سنة ١٦٧١ . ودخل ام المدائن في اليوم العاشر من شهر تشرين الاخر من السنة المذكورة . وغب وصوله شرع في المخابرات بخصوص تثبيت البطريرك واخذ الباليوم . واذ كان عَلَى ذلك ورد من لبنان كتابات ووشايات اعاقته وابعدت اجل الرجوع . ولا جرم ان عدو البشر ومبغض الخير لما رأى فضائل اسطفانس وقدَّر الحسنات التي كانت مزمعة ان تجري على يده والنفوس التي كانت مزمعة ان تخلص بعنايته حرَّك ضده بعض الحسودين وحملهم عَلَى المعارضة في انتخابه وطلب انزاله من المقام البطريركي . ولعمر الحق ان الذنب كله ليس عَلَى الشيطان بل عَلَى مطاوعيه وهم كثيرون في العالم واكثر من سائر الامكنة في هذه الديار التعيسة فان الذل حصل فيها من الاستعباد . والذل يلد الضعف . والحسد نتيجة الضعف في النفوس . لذلك ترى ضعف الاخلاق وقلة المروءة عند الكثيرين وترانا حسودين لا نطيق الخير اذا صنعه غيرنا وعاد عليه بالثناء وحسن السمعة . هذه الخلال برهان سديد عَلَى ضعف العقل والارادة لان العاقل اذا شاهد الصلاح اعترف به ولو كان في الدّ اعدائه واذا رأى الحسنات اجتهد ان يعملها ويضاهي الاخرين باعماله ولا يحزن لخير القريب حتى ولو حلَّ الثواب والمدح عَلَى غير اهله . اما نحن الشرقيين فقد حسبنا الحكمة امثالاً نوردها ونهذّ بمعانيها وجعلنا الفضل في النجاح واكتفينا من الشرف بالمراتب . فلم نهتم بادراك الخصال الحميدة وامتلاك الصفات الجوهرية

والمناقب الخفية التي بها يتميز الالماس من الزجاج والدر من الصدف والعلم الحقيقي من الثرثرة والفضيلة من التظاهر بهـا ٠ وفطرنا عَلَى المؤامرة والدسائس واجزنا الوسايط اية كانت اذا ما اوصلت الى الغاية ٠ فبئس التربية وبئس الاخلاق ٠ وهذه العوائد الذميمـة لم تنحصر برجال العالم بل ولجت قدس الاقداس واستولت عَلَى كثيرين من الذين اتخـذوا الاحتقار شرفاً والاتضاع رتبةً وخدمة الله وحده غاية فلا يستغرب القاري ان لم نتمالك عن بث هذه الخواطر اذ رأينا اناساً لم يحفل باسمائهم التاريخ ولم يحفظها قاموا عَلَى جهبذٍ كالدويهي وارادوا ان يضعوا تحت المكيـال سراجاً لا بل كوكباً انار الشرق باشعة نوره الساطع ولسنا ندري ما كانت حجتهم عليه هل وجدوا افضل منه قداسةً او اوسع منه معرفةً او اشد منه غيرةً ونشاطاً ٠

وليست هده التهمة رواية وهمية ٠ قال سمعان عواد : ان البعض من المطارنة والاعيان اجتمعوا واعترضوا على رسامته واحدثوا سجساً عظيماً في الطائفة كلها ومن جراء ذلك اقتضى ان القس يوسف الحصروني يمكث في رومة مدة طويلة من الزمان ٠ ولما اطلع الدويهي عَلَى ذلك ارتاب في دعوته وظن ان الله لا يريده في هذا المنصب السامي واكتفى بهذه الاشارة والمقاومة ليضحي بذاته مطهراً لله وللناس نبـالة مقاصده وقداسة رغائبه ووداعة روحه الطاهرة ٠ فكتب لقاصده ان يرجع دون التثبيت ٠ ولا شك انه وطد العزيمة عَلَى التنزل عن البطريركية ٠ وما كان الامر سوى امتحان من الله كتجربة ابرهيم او بطرس الرسول لما اوشك ان يغرق في

الامواج التي امره المسيح ان يمشي عليها . لانه لما اراد ان يختم رسالته لم تُطبع صورة الخاتم ولم يلصق الحبر بالقرطاس . فحاول ذلك ثلاثاً ولم ينجح فحسب الامر آية ان ارتقاءه كان من قبل الله وطأطأ رأسه مطيعاً. وروت بعض النسخ انه ارسل كتابه غير مختوم . وبعد ان امتحنه الله واظهر للجميع نزاهته وسمو فضائله انعم عليه البابا اقليمس العاشر ببرآة التثبيت وكان ذلك بتاريخ ٨ اب سنة ١٦٧٢

واليك تعريب البرآة الرسولية المحفوظة في اصلها الى اليوم في خزانة الكرسي البطريركي

اقليمس الاسقف عبد عبيد الله

الى الاخ المحترم اسطفانس الاهدني مطران نيقوسية سابقاً المنتخب بطريركاً انطاكياً عَلَى الطائفة المارونية السلام والبركة الرسولية

اذ اننا بتدبير نعمة الله الذي بعنايته الغير المدركة يرتب سائر الامور رُفعنا الى هذه الدرجة الرسولية دون استحقاق يؤهلنا اليها ننظر الى سائر كنائس العالم ونبذل انعطافنا الابوي في امر سياستها كان من اللائق ان ننظر خصوصاً في امر الكنائس التي لا راعي لها لنكل تدبيرها الى رعاة اكفاء كما يشتهي قلبنا كي يقودوا في طريق الخلاص الشعوب الموكولة اليهم بكل تيقظ وبكل عناية وسهر ويرشدوهم ويحسنوا سياسة ما يخص هذه الكنائس من الخيرات الزمنية ويزيدوها ما امكنهم . فالكنيسة البطريركية الانطاكية المارونية كان يرأسها ما دام حياً الطيب الذكر البطريرك جرجس من بسبعل الذي وفى حق الطبيعة المائتة وانتقل من

هذه الحيوة خارجاً عن البلاط الروماني · وقد فقدت بموته راعيها ومعزيها · فاجتمع حضرة اخوتنا المطارين والاساقفة واولادنا الاعزاء اكليروس الطائفة حسب عادتهم واتفقوا عَلَى انتخابك او ترشيحك بطريركاً عليهم وعَلَى سائر الطائفة المارونية وانت ارسلت ملتمساً ان نتنازل ونثبت الانتخاب او الترشيح الواقع عَلَى شخصك · وبما انك توليت سابقاً تدبير كنيسة نيقوسية وقمت بها خير قيام املنا ان الرب يعطيك المعرفة والارادة والقدرة لتدبر في سبيل الخلاص كنيسة البطريركية الانطاكية وتحسن سياستها · ونحن بقوة اسطرنا هذه نحلك ونريد ان تكون معتوقاً في المستقبل من كل حرم ورباط ومن سائر الاحكام الكنسية والتأديبات والقصاصات اذا كنت تحت طائلة شيء منها · سواء كانت صادرة من الشرع او من شخص ولأي علة كانت بموجب امرنا الذي اصدره مجمع نشر الايمان الذي كلفناه بفحص عريضتك · وبكتابتنا هذه بعد استشارة اخوتنا المحترمين كرادلة الكنيسة الرومانية المقدسة قد ثبتنا بالسلطان الرسولي الانتخاب او الترشيح الواقع عَلَى شخصك كما تقدم واقمناك بطريركاً وراعياً للكنيسة البطريركية الانطاكية الآنف ذكرها · وسلمناك تدبير وادارة الكنيسة البطريركية الانطاكية المذكورة بكمالها في الروحيات والزمنيات · ونرجو من مُعطي النعم وموزع الجزاء ان يرشدك في جميع اعمالك الى ان تصون الكنيسة البطريركية الانطاكية من المضرات بسهرك واجتهادك وتحميها من الاعداء فتنمو في الروحيات والزمنيات · فاقبل عَلَى عاتقك نير الرب بنشاط واجتهد في التدبير والسياسة بغيرة وامانة وحكمة لتفرح الكنيسة

البطريركية اذ ترى ذاتها بيد رئيس ماهر ومدبر ساهر فتحصل انت على الجزاء الابدي وتحوز بركتنا ورضانا ورضا الكرسي الرسولي

ثم نأمر بكتابتنا هذه الرسولية اخوتنا المحترمين الاساقفة معاونيك واولادنا الاعزاء كهنة الديوان البطريركي والاعيان الذين ضمن حدود هذه البطريركية والاكليرس والشعب الطائع لهذا الكرسي ان يكرمك الاساقفة كالاعضاء للرأس وان يعتبرك كهنة الديوان اباً لنفوسهم وراعياً لها . ويقدموا لك الطاعة والاكرام الواجب بالاخلاص لتأخذ النعمة بينك وبين معاونيك مآخذها المرضية فيمكننا ان نمدح بالرب اخلاصهم . وليقبلك جمهور الاكليرس بما يجب لنا وللكرسي الرسولي المقدس من الاحترام وليظهروا لك التوقير ويرضخوا لارشاداتك واوامرك بوداعة ويسيروا بموجبها . وليقتبلك الشعب كأب نفوسهم وراعيها وليقدموا لك كل الاكرام ويصغوا لارشاداتك واوامرك العائدة لخلاصهم بخضوع فيكونوا حقيقةً بنين مخلصين وتكون لهم اباً حنوناً وتفرحوا بذلك جميعكم وعلَى الاعيان الذين ضمن حدود الكرسي الانطاكي ان يحترموك ايضاً الاحترام الواجب ويحفظوا الامانة المألوفة ويخدموك الخدمة المعتادة ويفيوا ما لك عليهم من الحقوق . ومن خالف ذلك واشهرت عليه القصاص القانوني نثبت حكمك عليه ونجبره بمعونة الرب على تقديم كفارة لاثمة . ونرغب اليك ان تبرز باقرب ما يكون صورة الايمان التي سيأتي بيانها وتعد بالامانة الواجبة حسب منطوق الصورة التي في طي هذه البراءة ويكون ذلك لدى احد المطارين او الاساقفة وترسل كلا

الصورتين الى هذه الحاضرة ضمن الوقت المعين ولا ترتد الباليوم قبل ان يتم ذلك . اما صورة الايمان فهي هذه : انا اسطفانس الاهدني مطران نيقوسية سابقاً المنتخب بطريركاً انطاكياً على الطائفة المارونية اؤمن ايماناً ثابتاً واعترف اجمالاً وافرادياً بكل ما يحواه قانون الايمان الذي تستعمل تلاوته الكنيسة الرومانية المقدسة اي اني اومن باله واحد اب قادر على كل شيء صانع السماء والارض كل ما يُرى وما لا يُرى . وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد .. (الى اخره كما في القانون النيقاوي) .. ثم احترم واقبل كل المجامع العامة الاتي بيانها : اعني المجمع النيقاوي الاول واعترف بكل ما حدده ضد اريوس اللعين اي ان سيدنا يسوع المسيح هو ابن الله ومولود من الاب ... والقسطنطيني الاول (وهو المجمع المسكوني الثاني في العدد) واعترف بما قرره ضد نسطوريوس .. والخلقيدوني (وهو الرابع بين المجامع) واعترف بما حدده ضد اوطيخي وديسقورس اللعين ذكرهما ... والقسطنطيني الثاني (وهو المجمع الخامس) .. والقسطنطيني الثالث .. والنيقاوي الثاني .. والقسطنطيني الرابع (وهو الثامن في العدد) واعترف ان فوتيوس شجب عدلاً وان القديس اغناطيوس رُدّ الى كرسيه بالحق . واني احترم واقبل سائر المجامع المنعقدة بامر الحبر الروماني والمثبتة بسلطانه وبالخصوص المجمع الفلورنتي ... احترم ايضاً واقبل المجمع التريدنتي واعترف بكلما حدده وقرره ...

ثم اني اقبل واعترف بكل ما تعترف به وتقبله الكنيسة المقدسة

الرومانية . وكل الانشقاقات والارطقات التي ترذلها هذه الكنيسة وترفضها وتحرمها انا ايضاً ارذلها وارفضها واحرمها . ثم اني اعد تحت اليمين بالطاعة الحقيقية للحبر الروماني خليفة الطوباوي بطرس زعيم الرسل ونائب يسوع المسيح معترفاً ومقراً دون اكراه بهذا الايمان ايمان البيعة الكاثوليكية التي لا يستطيع احد ان يخلص خارجاً عنها وبمعونة الله احفظه واعترف به في المستقبل بكماله وتمامه الى آخر رمق من حياتي واحمل الذين تحت سلطاني والذين اتولى امرهم عَلَى حفظه وتعليمه ونشره بحسب امكاني . انا اسطفانس الاهدني اعد هذا بالقسم : فليساعدني عَلَى ذلك الله وهذه الاناجيل الطاهرة [1]

ثم بعد ذلك اي في بحر شهر كانون الاول انعم الحبر الاعظم السابق ذكره عَلَى يد معتمد البطريرك اسطفانس بالباليوم اي درع كمال السلطان الحبري . والباليوم نسيج من صوف يُجمع حول العنق فيطوقه ولهذا الطوق طرفان ينزل احدهما عَلَى الصدر والآخر عَلَى الظهر يزينهما صلبان سود . وصوف هذه الدرع يؤخذ من حملين ايضين يقدمهما قانونيو مار يوحنا لاتران كل سنة للحبر الاعظم ويُبارك عليهما في كنيسة الشهيدة اغنس يوم عيدها [2] ثم يُعنى بتربيتهما ورعايتهما راهبات القديس لورنسيوس ويُجز صوفهما يوم خميس الاسرار ويُنسج دروعاً توضع يوم

١ . اعطي بقرب القديسة مريم الكبرى سنة ١٦٧٢ للتجسد الالهي في اليوم الثامن من شهر اب . السنة الثالثة لحبريتنا

٢ . في ٢١ كانون الاخر

عيد مار بطرس عَلَى قبره المعروف بشهادته وتبقى هناك الى ثاني يوم العيد ولذلك يقال انها اخذت عن جسد القديس بطرس [١]

وفي الرسالة الثانية التي وجهها الحبر الاعظم للبطريرك اسطفان بخصوص الباليوم المشار اليه يشير اولاً الى تثبيته على الكرسي الانطاكي كما تقدم ثم يتكلم عن الدرع ويقول : « امـا اليوم فقد طلب الباليوم باسمك المعتمد الذي ارسلته لدينا ولدنا العزيز يوسف الحصروني قسيس الكرسي الانطاكي بما يليق من الاحترام . فاجبنا طلبك واخذنا الباليوم عن جسد القديس بطرس الرسول وسيحمله اليك معتمدك الانف ذكره ليلبسك اياه الاخوان المحترمان مطران العاقورا [٢] ومطران حلب [٣] اي ان المذكورين او احدهما يقلدانك (او يقلدك) اياه بموجب الصورة الاتية ويقبلان (او يقبل) منك باسمنا وباسم الكنيسة الرومانية قسم الامانة كما هو مذكور ادناه . ولك ان تلبسه في الكنيسة البطريركية المومى اليها في الايام المعينة في الانعام المعطى من الكرسي الرسولي لهذه الكنيسة فقط . ونوصي اخوتك ونناشدك ان يكون الرمز طبق المرموز وان تحفظ في الباطن ما تحمل علامته خارجاً اي ان تمارس التواضع والعدل بنعمة الرب الذي يعطي الجزاء ويوزع المواهب لان هذه الفضائل تحفظ حافظها وترشده . وان تُعنى كل العناية متكلاً عَلَى الله بنمو الكنيسة

١ . راجع مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ ص ٦٢٥

٢ . اي المطران جرجس حبقوق البشعلاني

٣ . المطران جبرايل البلوزاني

البطريركية التي صارت لك عروساً في الامور الروحية والزمنية ·
وبكتابتنا الرسولية نأمر المطرانين المشار اليهما او احدهما ان يقلداك (او
يقلدك) الباليوم بموجب الصورة الاتية ويقبلا او يقبل احدهم منك
باسمنا واسم الكنيسة الرومانية عهد الامانة لجاري العادة وترسل انا
باقرب ما يكون عَلَى يد قاصدك صورة الامانة المذكورة بكتابة مفتوحة
ممهورة بخاتمك · اما صورة تسليم الباليوم فهي هذه : لاكرام الله القادر
عَلَى كل شيء والطوباوية مريم البتول والقديسين الرسولين بطرس
وبولس وسيدنا البابا اقليمس العاشر والكنيسة الرومانية المقدسة وكنيسة
الكرسي الانطاكي للطائفة المارونية الموكولة اليك نسلمك الباليوم المأخوذ
عن جسد القديس بطرس وهو علامة كمال الرياسة الحبرية لتلبسه ضمن
كنيستك في الايام المعينة في الانعامات الممنوحة من الكرسي الرسولي · — اما
صورة اليمين التي تقسمها فهي هذه : انا اسطفانس الاهدني مطران
نيقوسية سابقاً المنتخب بطريركاً انطاكياً عَلَى الطائفة المارونية اكون من
هذه الساعة وما بعد اميناً وطائعاً للطوباوي بطرس وللكنيسة الرومانية
المقدسة ولسيدنا البابا مار اقليمس العاشر ولخلفائه الشرعيين ولا اوافق لا
بالمشورة ولا بالموافقة او بالفعل على قتلهم او قطع عضو من اعضائهم او عَلَى
القبض عليهم عنوة · واذا اطلعوني عَلَى سرهم شفاهاً او بواسطة قصادهم وكتاباتهم
فلا ابوح به لاحد بمعرفتي اذا كان لهم من ذلك مضرة · واني اساعدهم عَلَى
المحافظة على الرياسة الرومانية وعَلَى مملكة القديس بطرس بالمدافعة عنها
ضد كل انسان · واني اقبل قاصد الكرسي الرسولي في ذهابه وايابه

واكون له معيناً في الحاجات · واذا دعيت الى المجمع سأحضر الا اذا اعاقني مانع شرعي · واني سأزور الاعتاب الرسولية كل خمس سنوات بذاتي او بواسطة رسول من قبلي الا اذا رُخص لي بخلاف ذلك ولا ابيع املاك الكرسي البطريركي ولا اهبها ولا ارهنها ولا اضعها تحت ولاية احد ولا اتخلى عنها باي نوع كان دون استشارة الحبر الروماني · واني احفظ البراءة الصادرة سنة ١٦٢٥ في ما يخص تسليم املاك الكنائس الصغيرة التي تحت ولايتي · فليساعدني الرب وهذه الاناجيل الطاهرة (١)

اما القس يوسف شمعون الحصروني فلم يرجع الى الشرق حالاً بعد الحصول عَلَى براءة التثبيت والباليوم لكنه استمر في رومة منتظراً منتهى فصل الشتاء وقدوم ايام الربيع خوفاً من اخطار البحر المريعة · وقبل ان يبارح حاضرة الكثلكة العظمى منحه الاب الاقدس اقليمس العاشر رسالة اخرى اراد ان تكون للبطريرك الماروني ولشعبه المختار عربون اهتمامه الابوي وانعطافه الجزيل وحمايته الخصوصية لهذه الطائفة وهذا تعريبها :

اقليمس البابا العاشر

ايها الاخ المحترم السلام والبركة الرسولية

ان محبتنا الابوية لك وللطائفة المارونية الجزيلة التقوى لم تسمح لولدنا العزيز يوسف الحصروني الذي وجهتموه الينا لاجل طلب التثبيت

---

١ · اعطي برومة بقرب القديسة مريم الكبرى في ٢ كانون الاول سنة ١٦٧٢ وهي الثالثة لحبريتنا

ان يعود اليكم دون ان نصحبه بعبارة الاستمالة نحوكم ونحو كل الخاضعين للكرسي الرسولي في جهاتكم . وقد حركنا حبنا لطائفتكم العزيزة الى ان نوصي بها غيرتك اذ انك راعيها . ولكوننا نسهر دائماً عَلَى حفظها نأمر تقواك ان تعنى بنشر عبادة الله في القطيع الموكول اليك امره . فاذا عكفت باجتهاد عَلَى اتمام هذا العمل الرفيع الشان تكون قمت باعباء الوظيفة التي تشرفت بها . ونحن كلما سنحت الفرصة نبلغك تمام رضانا بكتابات خصوصية . واننا ننتظر من سمو فضائلك اثمار سرور غير زائلة وعَلَى هذا نعانقكم انت وكل المؤمنين بالمسيح الذين تحت ولايتك ونعدكم جميعاً بمدّ حمايتنا اليكم في تلك الاقطار ومن صميم فؤادنا نمنحكم البركة الرسولية .

اعطي برومة بقرب القديسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في اليوم العشرين من ايار سنة ١٦٧٣ وهي الرابعة لحبريتنا »

وفي تاريخ سنة ١٦٧٣ ، ايضاً سلم الحبر الاعظم اقليمس العاشر الى القس يوسف الحصروني المذكور رسالة باسم الشيخ نوفل الخازن يمدح بها سعيه المتواصل في نشر الايمان الكاثوليكي ويظهر له الانعطاف والاجلال [١]

وفي مسودة تاريخ الازمنة : سنة ١٦٧٢ (والصحيح ١٦٧٣) كانت عودة قاصدنا القس يوسف بن بربور من رومة في ٦ من تشرين الاول وجاء بالتثبيت لنا والكوليرية الرومانية لاشبينا الشيخ ابي قنصوه واخيه

---

١ . تاريخ الطائفة المطبوع ص ٢٤٣

الشيخ ابي ناصيف الخازنيين . »

فاتنا ان نقول ان البطرك اسطفان لفرط حبه واعتباره للمدرسة الرومانية ولاجتهاده في تهذيب اكليروس الطائفة اخذ يسعى منذ يوم ارتقائه السدة البطريركية في امر نجاح المدرسة المذكورة وفي سنة ١٦٧٠ بلغه ان المدرسة في حاجة الى تلاميذ فارسل اليها حالاً مع فرا جوان من معاملة البيا'منت [١] الذي كان حبيساً في دير مار اسيا تحت حصرون ستة اولاد وهم يعقوب الحصروني ابن الخوري حنا عواد وسنتكلم عنه فيما بعد ان شاء الله . وجرجس بن سركيس من بيت عبيد من اهدن [٢] وجرجس بن مناع الذي انتقل الى جوار ربه في دير مار يوحنا ريشميا سنة ١٦٩٠ . وابرهيم بن خيرالله بن جحوه الغزيري [٣] ويوسف

١ . في شمالي ايطاليا

٢ . ثم دخل الرهبنة اليسوعية وتوفي في مدينة رومة وهو المعروف بجرجس بنيمين وهذا خرج من المدرسة سنة ١٦٨٣ وسيم قسيساً على سيدة الحارة السفلى في اهدن في اليوم السابع من تشرين الاخر ولما توفي المطران بولس الدويهي اقيم اسقفاً على كرسي اهدن وبنى اقبية ومساكن في قلعة زغرتا لسكن الرهبان وتعليم الاولاد

٣ . وهذا برح المدرسة سنة ١٦٨٤ وسار الى ريشميا واعتنى ببناء دير مار يوحنا الذي اقامه في تلك الاونة الشيخ ابو صابر من القرية المذكورة . وترهب فيه وسيم كاهناً سنة ١٦٨٥ وترأس على الدير المذكور كما يشهد بذلك التاريخ الذي فوق باب الكنيسة القديمة . ثم تولى ايضاً رياسة دير صير بعد تسليمه دير مار يوحنا للرهبنة اي بعد عودته من حلب . ثم سافر الى رومة مع مخائيل المطوشي القبرسي وسعى بالاشتراك معه في حفر احرف سريانية للطبع ونشرا سوية في جبل فيسكون الشبية وخدمة القداس ومزامير الصلوة ورجع الى سورية سنة ١٧٠٠ وسنة ١٧٠١ توجه الى حلب مع الخوري بطرس التولاني الشهير

بن اسكندر القرطباني الذي بعد عودته الى لبنان سيم قسيساً عَلَى مذبح سيدة قنوبين سنة ١٦٨٧ [١] · اخيراً عبدالله بن باسيل البجاني من بيت شباب وهذا تزوج وسيم كاهناً عَلَى القرية المذكورة واجتهد كثيراً في ارشاد النفوس وتعليم الاولاد وجدّد كنيسة القرية ثم صار اسقفاً عَلَى طرابلس واسمه بين آباء المجمع اللبناني غير انه لم يحضر المجمع بذاته لعجزه وتوفي في تشرين الثاني سنة ١٧٣٦

وسنة ١٦٠١ ارسل البطريرك اسطفان مع معتمده القس يوسف شمعون الحصروني ولدين لحساب وقفية ابن شلق العاقوري [٢] وهما بطرس بن سليمان مبارك من بطحا وصافي بن بولس القديسي من شننعير · فهذا الاخير اتقن علم الهيئة وبعد رجوعه الى لبنان سار الى قرية بعقلين وكرس حياته لتعليم الاحداث الا ان الله لم يطل عليه زمن الامتحان فاعتراه حمى خبيثة اذاقته الردى بظرف اربعة ايام فاسف عليه كل من عرفه وكانت وفاته في شهر ايلول سنة ١٦٨٨ [٣]

---

١ · عينه البطرك اسطفان كاتباً في الكرسي · وكان لين العريكة ومثال الطاعة كما يخبر عنه البطريرك اسطفان · وفي العشرين من ايار سنة ١٦٩٣ اصيب بالوباء في قنوبين وانتقل الى راحة الابرار

٢ · ان نصر الله (وفي رواية رزق الله والاولى اصح) ابن شلق العاقوري وقف متروكاته لاقامة مدرسة للموارنة في راونّا وساعده على اتمام هذا المشروع الكردنال كبرني محامي المدينة وسنة ١٦٦٤ أُلغيت هذه المدرسة وضبط المجمع المقدس وقفية ابن شلق وتعهد بدفع ما يلزم لتربية ولدين من الطائفة في مدرسة رومة زيادة عن الذين كانت المدرسة تقوم بتربيتهم

٣ · عن تاريخ تلامذة رومة للدويهي

اما بطرس مبارك الذائع الصيت فكان من قرية بطحا بقرب غسطا في كسروان وابوه القس سليمان مبارك الذي ترهب مع بنيه الاخرين في دير مار سركيس ريفون واخواه المطران يوسف الذي استولى عَلَى البطريركية ولم يثبت فيها لما انزل منها البطريرك يعقوب عواد . والمطران جبرائيل مبارك . وكان مولد بطرس في شهر حزيران سنة ١٦٦٣ ومكث في مدرسة رومة الى عام ١٦٨٥ وفيه عاد منها مع الخوري يعقوب عواد في شهر كانون الاول . وسنة ١٦٨٧ اقامه البطريرك اسطفان قساً عَلَى مذبح قنوبين وولاه خدمة النفوس في قرية غسطا . فقام بهذه الوظيفة احسن قيام . ثم بعد ذلك اي سنة ١٦٩١ ارسله البطريرك المذكور الى رومة لقضاء امور الكرسي الانطاكي وفصل الخلاف الواقع مع رهبان القدس . وارسل معه تلاميذ الى المدرسة . وبعد ان قضى مدة في رومة ومهد الصعوبات التي كان كلف بازالتها ذهب الى مدينة فلورنسا قبل رجوعه الى المشرق فاحبه امير المدينة قزما الثالث المادشي ومسكه واكرمه واستأذن البابا بأبقائه عنده وسلمه تدبير المكتبة المعروفة باسم اسرته في المدينة المذكورة ثم امره بتحسين الاحرف التي كان سعى بحفرها فردينند المادشي للطبع في اللغات الشرقية فلبى امره واجاد في كل ما ندب اليه لانه كان جامعاً بين معرفة اللغات العبرانية والسريانية والعربية واللاتينية واليونانية وبين معرفة العلوم الطبيعية والالهية .

وحاز عَلَى اكرام عظيم من الاميرة حنة — ماريا — الويزا ابنة قزما

الثالث وهي من اشهر نساء ذلك العصر لما كانت عليه من الذكاء والاريحية واخذت تحت ظل حمايتها كثيرين من اهل العلم والادب فكانت تثني عَلَى بطرس مبارك في كل النوادي والمجتمعات الادبية · وسنة ١٧٠٠ عينه الامير قزما المشار اليه معلماً للغات الشرقية في مدينة بيزا ووكل اليه شرح الكتاب المقدس · فنال في التدريس شهرة عظيمة حتى ان الملوك والامراء والعلماء كانوا يتحدثون بمعارفه ويثنون عليه ويفاخرون بصداقته · كما يشهد بذلك اسطفان عواد السمعاني في مقدمة المجلد الثالث من تآليف مار افرام [١] · وسنة ١٧٠٧ في شهر تشرين الثاني استماح الاذن بالدخول في الرهبنة اليسوعية · وكان قبل انخراطه في السلك الرهباني اوقف ماله عَلَى الطائفة المارونية واقام لها مدرسة في قرية عينطورا تسلم تدبيرها الاباء اليسوعيون واستمرت بيدهم الى ملاشاة الجمعية سنة ١٧٧٣ وحينئذٍ عادت للطائفة · وبعد ان كمل زمن الابتداء في رومة عينه البابا في عدد فاحصي الكتب اليونانية المقدمة للطبع وعوّل الجميع عَلَى قوله ورأيه · وكان اثناء ذلك يدرس الكتاب المقدس ويعظ ويرشد بعض اديار الراهبات ويزور المسجونين ويباشر نحوهم اعمال الرحمة بانواعها · ثم انه بايعاز الكردينال كويريني امره الاب فرنسيس رتزاب عام الرهبنة اليسوعية ان ينقل تآليف مار افرام الى اللاتينية فامتثل امره وشرع في العمل باجتهاد ونشاط · وحرَّم عينه النوم والراحة ولم يشفق على ذاته في خدمة الدين والعلم · وكان ابتداؤه بهذا المشروع سنة ١٧٣٠ فنشر المجلد الاول والثاني

---

١ · ص ١٣

ولما باشر الثالث اعتراه مرض عضال وانتقل الى الراحة الابدية والسعادة الخالدة في شهر ايلول سنة ١٧٤٢ وكان عمره نحو ثمانين سنة · كان سامي العقل قوي البنية رقيق الطبع محبوباً من كل من عرفه ورعاً في خدمة الله تعالى · وله غير ترجمة مار افرام ترجمة كتاب المنائر والمحاماة للدويهي وبعض كتب طقسية نقلها من اليونانية الى اللاتينية ومقالتان اخريان رداً علي بعض كتبة الافرنج [١]



---

١ · عن تاريخ تلامذه رومة للدويهي ومقدمة المجلد الثالث من تآليف مار افرام للمطران اسطفان عواد السمعاني · — راجع ايضاً مكتبة الجمعية اليسوعية المجلد الاول ص ١٢٩٥ — ١٢٩٨ Baker et Sommervogel, Biblioth. de la Compagnie de Jésus.

الفصل الرابع

في اهم ما جرى في اوائل بطريركية البطريرك اسطفان

(١٦٧٠ — ١٦٧٥)

ان البطريرك اسطفان بعد ارتقائه السدة البطريركية غادر حالاً قنوبين كما اشرنا وقدم الى كسروان وسكن في دير مار شليطا مقبس · وهذا الدير من اقدم اديار المقاطعات التي الى جنوبي نهر ابرهيم · وفي التقليد ان احد الافرنج بناه في عهد الصليبيين ثم انه لما خرج الافرنج من هذه الديار وزحفت عساكر المسلمين من الشام وطرابلس عَلَى بلاد كسروان واحرقتها وهدمت ابراجها واديارها وكنائسها لم ينجُ من ايديهم سوى الدير المذكور · روى البعض ان ذلك صار باعجوبة منعت العساكر عن تدميره · ومن المحتمل ان موقع هذا المعبد في وسط الاحراج حجبه عن اعين الناس · ومما يثبت قدمه ما وُجد الى شرقي الدير الحالي في عهد قريب من اثار بنايات ومسكوكات شتى من ايام ملوك الروم · [1] وكان خراب كسروان المنوه به في اوائل القرن الرابع عشر وقد ذكر ذلك عدد من المؤرخين

وسنة ١٦٢٨ في عهد البطريرك يوحنا بن مخلوف وولاية الامير فخر الدين المعني الذي نشر عَلَى الجبل لواء الامن والعدل حملت الغيرة القس يوحنا بن القس يوسف بن المحاسب من قرية غسطا عَلَى تجديد هذا الدير وساعده في هذا العمل المبرور اهالي القرى المجاورة اي غسطا ودرعون

١ · راجع مجلة المشرق عام ١٩٠٢ عدد ١٢ و ١٥ · الخ

وبطحا وعجلتون وعشقوت كما يشير التاريخ الموضوع فوق باب الكنيسة وهذا نصه بالحرف : « كملت عمارة هذا الدير المبارك مار شليطا في ايام سيدنا البطرك يوحنا الانطاكي في تاريخ سنة الف وستماية وثمانية وعشرين مسيحية . بيد المعلم نقولا الشامي . وكان المعتني الخوري المحاسب والخوري عطيا والخوري فرح والقرى المذكورة : غسطا ودرعون وبطحا وعجلتون وعشقوت . » اه

ومنذ تلك الاونة صار هذا الدير ملجأ بطاركة الطائفة كلما وقع عليهم الاضطهاد من حكام الجبة . فالبطريرك يوسف حليب قضى فيه مدة وفيه توفي ودُفن البطريرك جرجس البسبعلي كما قلنا . وكان مما يحبب اليهم هذا الدير ويرغبهم في الاقامة فيه جوار المشايخ آل خازن الذين استوطنوا في بادىء امرهم عجلتون وصاروا في عهد الامير فخر الدين وخلفائه سوراً للدين ولرؤسائه في هذه الجهات

وقد مرَّ بنا التنويه بمجيء البطريرك اسطفان الى دير مار شليطا بعد انتخابه حالاً للوقوف عَلَى خاطر الشيخ ابي نوفل . ومنه سافر الى رومة الخوري يوسف شمعون الحصروني لطلب التثبيت ودرع الرياسة من الكرسي الرسولي .

واثناء وجود البطريرك في كسروان اخذ يجد في تعزيز الطائفة وترقية احوالها في هذه المقاطعة التي صارت مع مرور الايام مقر رياستها ومركز تدبيرها الروحي . كما انه لم يكفف عن التنقيب في تواريخها وفحص الكتب والعوائد لينقحها ويصححها ويجري ما كان واجباً اجراؤُه .

ثم انه اذ رأى عيباً في بناء كنيسة الدير امر بتجديدها كما يشهد بذلك تاريخه في اخبار سنة ١٦٧٢ وكما تنبئنا الكتابة الموجودة في حائط الكنيسة المذكورة وهذا نصها : ܒܫܡ ܐܠܗܐ (بسم الله) : سنة ١٦٧٢ ربانية تجدد هذا الهيكل المقدس في ايام سيدنا البطرك اسطفان الانطاكي والشيخ ابي نوفل واولاده المكرمين وبعناية ابن المحاسب الخوري سركيس · وكان البنّا القس جرجس [١] · اه · اما الخوري سركيس المشار اليه بهذه الكتابة فقد توفي في ٢٧ تشرين الاول سنة ١٦٨١ · قال عنه الدويهي في معرض كلامه عن حوادث تلك السنة : « كان رجلاً عابداً ديّناً سمحاً فادخل سيرة النسك في كسروان واقتنى للدير عقارات كثيرة · وكتب بخط يده مجلدات عديدة وكان يعطي الفتاوى بامر الرؤساء · وكانت له هيبة وكرامة عند جميع الناس حتى صار قدوة صالحة لكل الرهبان بالخضوع والعبادة والرحمة والمحبة وكان كل يوم يصلي المسبحة ويقرأ بعض فصول من الكتب العتيقة والجديدة ولا يقيم القداس الا قريباً من الظهر · ولما طعن في السن ترك الرياسة لابن اخيه القس حنا · وكان يسير صباحاً الى القفر وينفرد هناك للصلوة وقراءة الكتب ويتغذى بكل ما يقدم له [٢] » · اه

ولما كان دير مار شليطا منعزلاً عن منازل اهل العالم منفرداً وسط

---

١ · القس جرجس الاميوني واصله من طائفة الروم · وهو الذي جدد بناء دير مار سركيس راس النهر سنة ١٦٩٠

٢ · عن التاريخ المطبوع ص ٢٤٩

البرية محاطاً بالغابات والصخور التي من شأنها اصلاح الهواء وتطييب المناخ امر البطريرك اسطفانس ببناء منزل يأتوي اليه البطاركة اذا قدموا تلك الناحية ويجدون فيه شيئـاً من الراحة والامن التي سلبها من الجبة حكام تلك الايام المضطربة وحسب اسطفانس ان وجود البطاركة في كسروان يكون سبيلاً لتقدم الطائفة ونجاحها · والمنزل الذي بناه باقٍ الى يومنا بجانب الكنيسة الى جهة الشرق وهو عبارة عن قاعة كبيرة على عواميد ولها نوافذ ضيقة الى الخارج وبناؤها يدل عَلَى ما كان عليه ساكنها المغبوط من اصفرار اليدين وضيق الحال · ويتبع هذه العلية السكرستيا والقبو المجاور لجهة الشمال والحجرة القائمة عَلَى سطح القبو · فاذا مرّ احد ورفع طرفه عند الزاوية الشرقية رأى كوة صغيرة كان النور يدخل منها الى حجرة من حق ان نقول فيه بسبب جهده وجدّه في خدمة العلم والطائفة ما نرتله عن الاباء في صباح صلوة السبت : ܘܣܡܝܐ ܗܘܝ ܥܝ̈ܢܐ ܡܢ ܩܪܝܢܐ ܕܟܬܒܐ اي عميت عيونهم من المطالعة في الكتب · ومن هذه الحجرة الصغيرة كان يغني الخلف بمؤلفاته العديدة ومن هذه الحجرة كان يعمر بمثله وسيرته الملائكية سكان الدير ·[1]

وفي غضون اقامته في دير مار شليطا استدعى الخوري البردوط لوقا القرباصي تلميذ مدرسة رومة ورقاه الى الاسقفية على كرسي لفقوسيـة بقبرس وجرى ذلك في اليوم العاشر من كانون الاول سنة ١٦٧٢ وعاونه

---

١ · مجلة المشرق : مقالة الاب ابرهيم حرفوش في اديار كسروان · اول اب سنة ١٩٠٢ ص ٦٩٦ ·

في الرسامة كلٌّ من المطران جرجس حبقوق [١] والمطران جبرائيل البلوزاني . والمطران لوقا المذكور اخذه تلميذاً الى رومة الاب بطرس المطوشي القبرسي الماروني اليسوعي سنة ١٦١٤ . وسنة ١٦٢٧ أُرسل الى رومة قاصداً باسم الطائفة لدى البابا اربانس الثامن وتعب في الجزيرة جهده وبقي في خدمة النفوس ثلاثاً واربعين سنة الى ان اختاره البطريرك اسطفان ورقاه الى الاسقفية كما قلنا فلم يُطل الله بعمره بعد ذلك ووافاه الاجل سنة ١٦٧٣ وبموته اصيب الموارنة في قبرس باهانات عظيمة واستولى احد الحكام الظالمين عَلَى املاك الكرسي وقاسى بنو طائفتنا من جرى ذلك ما لا يوصف من الجور والاستبداد

لم نطلع تماماً عَلَى تاريخ عودة البطريرك اسطفان من كسروان الى قنوبين . والمؤكد عندنا ان ذلك كان في اواخر عام ١٦٧٢ وانه اقتبل البراءة الرسولية في اواخر سنة ١٦٧٣ ولبس الدرع المقدس في كنيسة كرسي قنوبين حسب الرتبة المألوفة عندنا

وفي سنة ١٦٧٤ في شهر تموز حدث امر نادر المثل في تلك الاعصار الا وهو قدوم سفير ملك فرنسة لويس السابع عشر الى هذه الديار وزيارته دير قنوبين وبطريرك الطائفة المارونية التي اخذها الملك المذكور تحت حماية دولته بكتابة شهيرة صادرة عام ١٦٤٩ . وكان ان الملك لويس المشار اليه الذي ملأ اسمه اقطار المسكونة وطار ذكره الى اقاصي المعمور لما وقع ذلك الخلاف العظيم بينه وبين الدولة النمساوية اخذ يعقد المعاهدات

---

١ . وقرأت بخط الدويهي : والمطران يعقوب وهو المطران يعقوب الرامي

ويستميل الممالك الى صوبه ليفرد خصمه ويضعفه ويذلله · وهذه الغاية نهته الى تجديد المحالفة التي كانت عقدت قبلاً بين الدولة العثمانية وملوك فرنسه سلفائه · وكلف بهذا الامر رجلاً يُعرف بمركيز دي نوانتل[١] انفذه معتمداً من قبله الى السلطان محمد الرابع سنة ١٦٧٠ · والمركيز المشار اليه كان من ادباء عصره مولعاً بدرس اخلاق الامم وبالبحث عن آثار الاقدمين خصوصاً الطوائف المشرقية · ولاجل ذلك بعد تجديد المعاهدات السياسية والتجارية الموكولة اليه اخذ يطوف البلاد الشرقية ويحج المعاهد العادية مدوناً كل ما نظره مكلفاً بعض المصورين باخذ رسم اهمه · مبتاعاً كل ما رآه ذات قيمة عند اهل العلم والفنون · فجمع تحفاً لا يعادلها ثمن وانفق بيد سخية ثروة اجداده في وجه المعارف والفنون · فهذا الميل الغريزي وهذا الولع الشريف جذباه نحو البلاد السورية · فزار القدس الشريف[٢] والقبر المجيد وسائر الاماكن المقدسة وعزم بعد ذلك على التوجه الى الديار المصرية الا ان الظروف لم تُتح له ذلك واضطر ان يعود الى القسطنطينية · فعرج في طريقه على صيدا ثم طرابلس ومن هذه الاسكلة صعد الى دير قنوبين وزار ارز الرب · وقد خبّر في كتاباته الى

---

١ · اسمه الكامل: Charles - Marie - François Olier, marquis de Nointel et d'Angervilliers

٢ · وفي ذهابه الى القدس كتب من صيدا للشيخ ابي نوفل الخازن يطلب منه شيئاً من الحجارة المنقوش عليها اسماك او غير ذلك من الحيوان والنبات والحجارة المنقوشة · راجع تاريخ الطائفة المارونية ص ٢٤٤ و ٢٤٦

(اخطأ ناشر الكتاب بقراءة اسم السفير اوتيسه · والحقيقة اوليه كما روينا)

وزير ملك فرنسه تفاصيل رحلته ووصف ما لقيه من الاكرام والحفاوة من الموارنة اكابر واصاغر خصوصاً من الاكليرس وعن زيارة دير قنوبين وبطريرك الموارنة وكان ذلك في شهر تموز سنة ١٦٧٤ . [١] وكان قنوبين ديراً رحباً رغماً عن موقعه في بطن الصخور الشاهقة وكنيسته مغارة يبلغ طولها خمسة وعشرين قدماً بعرض عشرة ونيف . داخلها نظيف جداً مذابحها مزينة لكنها مظلمة بسبب وجود قلالي قدامها وكان فوق بابها ثلاثة اجراس لم يكن غيرها في المشرق كله . وباقي الدير يشتمل عَلَى قلاية البطريرك وهي حقيرة ضيقة مكانها فوق الدهليز الذي يؤدي الى الكنيسة وقلالي أُخر للرهبان ومستودعات للحنطة والزيت والخمر وغير ذلك مما يلزم لمصروف الدير . وقدام البناء السابق ذكره سطح فسيح وفي آخره الطريق الى مغارة البارة مارينا . وفي منحدر الجبل كثير من اشجار الكرم والزيتون والتوت وغيرها . وفي اسفل الوادي النهر المقدس وصوت امواجه المزبدة تسبح الله ليلاً ونهاراً [٢]

فاكرم البطريرك اسطفان ضيافته وعمل ما في وسعه من الترحيب والحفاوة به جرياً على شريعة الضيافة المقدسة واعتباراً للملك العظيم الذي كان يمثله ومحافظةً عَلَى العلائق التي بين فرنسة والطائفة المارونية من قديم الاجيال . ولا يليق بنا ان نعرض هنا عن الاشارة الى حكمة رؤساء

---

١ . راجع خبر اسفاره : Voyages du Marquis de Nointel, par A. Vandal ; p. 153

٢ . رحلة دي لاروك (مجلد ١) ص ٤٢

هذه الطائفة لانهم قرنوا بين محبة الافرنسيين المؤسسة عَلَى وحدة الدين وبين الامانة الوطيدة لسلاطين هذه البلاد وحسبهم مديحاً ان يقال ان العلاقات مع الافرنج عريقة في القدم واستمرت دون ان تغيرها الحدثان · وفي كل الظروف والاعصار لم يستطع احد ان يتهم الموارنة بابداء ادنى حركة او اشارة يستدل منها عدم الانقياد لولاة الامور· فثباتنا على مبادي الوداد وطاعتنا لملوكنا الشرعيين رغماً عن تقلبات الدهر وجور بعض الحكام لأمرٌ نفاخر به كل سكان هذه الديار

قال المركيز دي نوانتل في الرسالة المشار اليها آنفاً : انه لم يكن ليأخذه ملل من مشاهدة الشعب الماروني ونقاوة طويته وسلامتها · وانه لما جلس عَلَى مائدة البطريرك ونظر حوله كهنة الكرسي الافاضل تخيل له انه بين الرسل في علية صهيون · وتذكاراً لزيارة قنوبين امر احد المصورين الذي كان يصحبه بأن يرسم عَلَى صحيفة احدى شلالات نهر قديشا تحت الدير المذكور · [1] ثم من قنوبين صعد لزيارة الارز برفقة السيد البطريرك فتبعهما جمهور الاكليرس والشعب · وطلب السفير ان يُقام مذبح في وسط تلك الغابة العجيبة لتقدم عليه الذبيحة المقدسة تمجيداً للعزة الالهية التي بعنايتها حُفظت تلك الاشجار اثراً للاعصار السالفة ورمزاً لقدرة الله تعالى وابديته التي لا توصف · وكان البطريرك ينظر باندهاش الى خشوع

---

١ · اسفار المركيز السابق ذكره ص ١٩٣ · — وقد افادنا المسيو بوب مستشار سفارة فرنسا في الاستانة وهو من رجال العلم الخبيرين بتاريخ الشرق ان الصور التي صنعت تلاعبت بها الايدي ولم يكتشف سوى ثلاث او اربع منها

السفير الافرنسي وطفق ينعت باطناب الامة الافرنسية التي تحمل وتلد بنين مثله اجتمع فيهم الذكاء والتقوى والدين والدنيا . وفكر البطريرك بماذا يذكر الشعب الماروني لدى الملك لويس الرابع عشر الذي اخذه مراراً تحت حماية دولته فرأى ان يقدم له هديةً ما لا تفوق امكان المهدي وتليق بمقام المهدى اليه . فاخذ قطعة من قلب خشب الارز وقدمها لينحت فيها تمثال للملك العظيم ويكون خشب الارز بصلابته وعدم فساده رمزاً لمملكة فرنسة الشريفة

ولما كان السفير المذكور في دير قنوبين رقى البطريرك اسطفانس الخوري البرديوط بطرس بن مخلوف من قرية غسطا الى درجة الاسقفية عَلَى مدينة لفقوسية بقبرس بمعاونة المطران جرجس حبقوق والمطران يعقوب والمطران بولس الدويهي والمطران يوحنا التولاني مطران صيدا وبحضور قناصل وكهنة وجمع غفير من الشعب وكان ذلك في اليوم الرابع من تموز سنة ١٦٧٤ . ولنا في هذا الحبر العالم الغيور كلام نؤجله

وقد وجدنا في مصحف قديم بخط القس يوسف القرطبي كاتب اسرار البطريرك اسطفان بيتين في السريانية مع ترجمتهما نظماً باللاتينيةُ والخط يشبه خط بطريركنا المغبوط فظنتهما أثراً لزيارة السفير المذكور :

« ܠܠܘܝܣ ܐܡܝܪܐ »

ܦܣܐ ܘܪܕܐ ܕܝܗܒ ܡܡܠܟܐ ܣܘܦܝܐ ܠܟ

ܦܣܝܐ ܠܐܪܙܘܗܝ ܘܪܐ ܠܡܠܟܘܗܝ ܘܝܗܒ ܠܟܡܠܟ

وباللاتينية :

Dat Syria en flores, lauros, palmasque: vigori Palmas, et capiti lauros, floresque decori.

يعني : ان سوريا تقدم لك [1] زهوراً وغاراً وسعف نخلٍ . فالنخل لقدرتك والزهر لزينتك والغار (اكليل) لراسك

والسفير المذكور بعد رجوعه الى طرابلس توجه الى حلب وعاد الى القسطنطينية

واذا امعنا النظر في احوال وطننا في تلك الاونة وجدناها مشوشة مضطربة من شدة الظلم ومن استبداد بعض الحكام وحسدهم بعضهم بعضاً فكانوا لا يستريحون ولا يدعون البلاد تعرف الراحة . والباعث علَى ذلك موقع لبنان بين ايالة طرابلس وصيدا وقسمته الى معاملتين الشمالية تابعة طرابلس والجنوبية تابعة صيدا وانحصار الحكم وتدبير الامور في يد بعض الاعيان دون غيرهم او بعض الاسرات دون غيرها كآل حمادة في المقاطعة الشمالية وآل معن في الاخرى . وعلة الاضطراب انما كانت مطامع بعض الافراد واطلاق الحرية لهم باجراء ما شاؤا . فكان ابن حمادة مثلاً او غيره يصرف الاموال السلطانية في الجاه والغزو والانتقام فيقوم عليه رئيسه ويطالبه بها فيشهران السلاح ويركبان ويتبعهما الشعب فينهبون ويحرقون كل ما وجدوا في طريقهم . حتى اذا استظهر احدهم اسر خصمه وذويه وبنيه وغرمه دفع المال المتأخر ودفع مثله قصاصاً لقاء ما تكلف المنتصر

---

١ . يخاطب السفير كما تشير هذه العبارة : ܠܠܘܐ ܐܠܐ ܚܒܐ

في الحملة عليه . واحياناً كنت ترى بعض افراد العشائر المشار اليها لاجل الاستيلاء عَلَى زمام البلاد يعرض عَلَى صاحب الايالة مبلغاً من المال اعظم من الذي يؤديه خصمه ويغتصب المنصب او يشتريه ويفرض عَلَى الرعية اموالاً فوق طاقتها ويثقل عليها المطاليب ويفقرها . هذه العوائد السمجة جعلت الدواء اعني الحكم والحكام شراً من الداء فعظم الخراب وبهظت الضرائب عَلَى الشعب . وربما انتصر للمستعصي احد روساء القبايل اللبنانية وامتد الخطب الى كل البلاد وهكذا الى ما شاء الله

واحياناً كان الامناء الموكول اليهم جمع الاموال السلطانية يأخذون اضعاف المرتب ويضايقون المساكين وينكبونهم حتى اذا آيسوا من الرحمة نشروا لواء العصيان كما صرح بذلك السلطان سليم في الفرمان الذي به يحيل الى الشيخ ابي نوفل الخازن مقاطعة كسروان وبكفيا وغزير .[١] واذا فحصت وجدت اسباب الحركات والحروب في القديم صادرة غالباً عن مثل ما قلنا . كان اهل هذه الديار التعيسة اخذوا على ذواتهم تدمير القائم فيها بدلاً من ان يجدّوا ويتعاونوا لتتوفر حولهم اسباب الراحة والامن

من ذلك ما جرى في الجهة الشمالية بين حسن باشا متسلم طرابلس وبيت حماده كما اورده الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٥ . ركب الباشا عَلَى آل حماده لسبب تأخر المال المطلوب منهم . وبعد ان طاردهم بعسكره الى رأس الجبل فوق افقا في شهر ايار صارت هدنة بينهم فاستدعاهم في ٢٧

---

١ . تاريخ الطائفة المطبوع ص ٢٤٢

تموز الى وليمة وفتك بالبعض منهم فهاج آل حماده كالدبابير التي خرب وكرها كما يقول الدويهي · ووثبوا عَلَى نصارى بلاد جبيل ونهبوا وحرقوا وقتلوا كل ما وقع تحت يدهم · ثم نهبوا قرى بلاد البترون والجبة فهرب الناس الى المدن القريبة وصار ضيقٌ عظيم عَلَى النصارى · وكان الحماديون يلقون القبض عَلَى اعيان القرى في الفتوح وبلاد جبيل ويضعونهم في السجون ويطلبون اليهم ان يفتدوا انفسهم بدفع المال اللازم لتكملة ما كان متأخراً للدولة · وعند وقوع مثل هذه الكوارث كان يلحق بالكرسي البطريركي وسكانه اضرار جسيمة وكثيراً ما اضطر البطاركة الى الهرب من وجه الظالمين والى الاستغاثة بعدالة الباب العالي كما سنذكره في مكان آخر ·

وبين اواخر عام ١٦٧٤ واوائل عام ١٦٧٥ غادر البطريرك اسطفان دير قنوبين وتوجه الى كسروان الى دير مار شليطا طالباً في جوار الشيخ ابي نوفل نادر الخازن وجه هذه المقاطعة وعلمها ومقدمها وعينها شيئاً من الراحة التي حرمه اياها آل حماده · ولم ندرك من اخبار اعماله اثناء اقامته هذه في دير مار شليطا سوى خبر بعض الرسامات التي اجراها ونذكر منها نزراً لافادة القاري : في ٣ شباط سنة ١٦٧٥ رقى الشماس يوحنا ابن المحاسب الى درجة القسوسية عَلَى دير مار شليطا · ويوحنا المذكور صار فيما بعد مطراناً عَلَى عرقا ودير مار شليطا (٧ ايلول ١٦٩٨) وتولى رياسة الدير المشار اليه وتدبيره ومات سنة ١٧١٢ في اليوم السادس من كانون الاول كما يشهد بذلك تاريخ قبره المحفوظ في حائط كنيسة مار شليطا ·

وفي ٥ اذار اقام القس انطون الباني بردوطاً عَلَى مار الياس انطلياس . وفي ١٣ ايار من السنة عينها سام القس انطونيوس من بسبعل بردوطاً عَلَى سيدة بسبعل

وفي ٢٩ حزيران رقى الى درجة القسوسية الشدياق ايوب من عشقوت وهو من رهبان دير مار شليطا

وفي ١٤ تموز رقى الى المطرنية عَلَى كرسي طرابلس الخوري البردوط يوسف شمعون الحصروني بمعاونة المطران جرجس حبقوق البشعلاني والمطران جبرائيل البلوزاني . وجرى ذلك بحضور الشيخ ابي نوفل واولاده واولاد عمه والشيخ ابي شديد حبيش وشعب كثير . وحضر هذه الحفلة نحو من ثلاثين كاهناً وكثيرون من روساء الاديار . وقد ذكرنا سابقاً يوسف شمعون الذي نحن بصدده الان في كلامنا عن طلب التثبيت للبطريرك اسطفان وانفاذه الى رومة لتقديم الطاعة لحبر الاحبار ورأس الكنيسة الكاثوليكية . وحسبنا ان نقرظه بما قال فيه البطريرك اسطفان في معرض كلامه عن تلامذة مدرسة رومة : « يوسف نعمة (او نعمة الله) بن بربور الحصروني كان ابن عشر سنين (لما ارسل الى رومة سنة ١٦٥٥) وبعد ما اكمل علوم الفلسفة واللاهوت خرج من المدرسة في ٢١ تشرين الاول من شهور سنة ١٦٦٨ . خدم في اليازجية عند البطريرك جرجس (البسبعلي) ثم عندنا . وبعد ما رفعناه لدرجة الكهنوت سنة ١٦٧٠ في ٢٦ من ايلول سفرناه الى رومة الى البابا اقليمس العاشر لاجل العادة وطلب التثبيت . وبعد ما قضى مصالحنا وعاد بسنتين

سماه بردوطاً (في كانون الاخر سنة ١٦٧٤) على سيدة قنوبين ثم مطراناً عَلَى مدينة طرابلس سنة ١٦٧٥ في ١٤ من تموز في دير مار شليطا . صنف كتاباً عن علم النية (الذمة) لتهذيب الكهنة [1] وجاهد كثيراً في زيارة الرعايا في الوعظ وارشاد الشعب وتعب قدامنا في نسخ الكتب التي جمعناها والتي الفناها بكل حرص واجتهاد [2] ثم قضى اجله بكل ثناء في دير قنوبين واوقف عليه جميع مخلفاته وانتقل الى شركة الرعاة الصالحين في الحادي عشر من كانون الاول سنة ١٦٩٥ . ذكره مخلد . » اه

لله دره من كلام نفيس وتقريظ يفوق رونقاً اطراء الخطباء واقاويل الشعراء لكونه مبنياً عَلَى صدق الاعمال الحسنة . ولا ادري ماذا يجب ان نعتبر هنا ونمدح . أنزاهة يوسف شمعون وفضيلته وجهاده في خدمة الطائفة والبطريركية ام ما تكنه عبارة الدويهي من الاقرار بفضل وغيرة لم يعرفا الكلل . او من نغبط الاول لكونه استحق تقريظاً كهذا من فم حبرٍ كأسطفانس . او الثاني لوجدانه معاونين مثله تعبوا امامه في حقل الخير وخدموا باخلاص افكاره ومقاصده الصالحة

في ١٥ اب رقي الى درجة القسوسية الشدياق بطرس من بيت المقوم

---

١ . وهو كتاب صغير لخص فيه قوانين التهذيبات اللاهوتية وجعله اربعة وعشرين باباً . وعثرت له على رسالة الى احد ابناء الملة الملكية نشرها الخوري مخائيل غبريل في اخر تاريخ الكنيسة الانطاكية

٢ . راجع ما قلناه عن شرح الشرطونية للدويهي في مجلة المشرق سنة ١٨٩٩ . ص ٦٤٠ وما يليها .

من درعون عَلَى سيدة حراش[1]

في غرة ايلول رسم قساً عَلَى مذبح سيدة اليمونة الشدياق رزق الله من بيت ثابت من اليمونة

وفي تلك الاونة اي في ٢٦ نيسان سنة ١٦٧٣ توفي في مدينة رومة العظمى الشماس يوسف فتيان الحصروني الذي صحب الدويهي في سفره الى رومة . وفي سجلات الكرسي البطريركي صورة الوصية التي كتبها قبل موته وتاريخها ١٠ شباط ١٦٧٣ وفيها يطلب ان يدفن جسده في كنيسة القديس يوحنا الانجيلي كنيسة المدرسة المارونية ويوصي لابنة اخيه هيلانة امرأة داغر من حصرون بثمانين ريالاً . ولرجل روماني صديقه بعشرين ريالاً . وترك لكنيسة المدرسة مبلغ ثلاثمائة ريال لينفق ريعها في تجهيز الكنيسة المذكورة وتقديم ما يلزم لخدمة الجلال الالهي وترك عماراً لاولاد نمرون نقولا ومرهج وحنا اصدقائه . واقام وريثاً عاماً عَلَى متروكاته المدرسة المذكورة بشرط ان يفتح رئيسها نزلاً لضيافة الموارنة الفقراء الذين يأتون رومة ويقدم لهم كل ما يلزم من اكل وشرب وفراش غير انه لما كان قدوم مثل هولاء الزائرين الى المدينة المذكورة امراً نادراً طلب ان يُنفق ريع وقفه المشار اليه في شراء كؤوس ومباخر وغير ذلك من الآنية المقدسة لتوزع عَلَى كنائس لبنان الفقيرة حسب طلب السيد البطريرك . وقد وجدنا في دفتر حسابات الدويهي ذكر هذه التوزيعات من وقفية يوسف فتيان . وقد قرأت بخط الدويهي ان القس يوسف

١ . المقاطعة الكسروانية ص ٧٣

شمعون عند رجوعه من رومة مع التثبيت والباليوم اتى ببدلة وتاج وسبع كؤوس من ريع وقفية الحبيس سركيس الرزي ويوسف فتيان ·

والبطريرك اسطفان أرّخ وفاة رفيقه بهذه العبارة : في ٢٦ نيسان كانت وفاة الشماس يوسف بن فتيان الحصروني في رومة واوقف جميع ماله للطائفة · الله ينيح نفسه » فاي فؤاد لا يذوب حنيناً الى هولاء الموارنة

وكان البطريرك اسطفان في وسط التجارب والترحل من مكان الى آخر لا يسهو عن خير ابنائه الروحي وفي بحر سنة ١٦٧٥ التمس من البابا اقليمس العاشر تمديد غفارين اليوبيل العام الذي منح في تلك السنة فاستجاب البابا التماسه ومنحه والمطارنة والشعب الماروني الغفارين المشار اليها لتكون لهم سلواناً في الكوارث والشدائد



الفصل الخامس

تابع اخبار ما حدث في عهد بطريركية اسطفان الدويهي
(١٦٧٦ — ١٦٨٢)

ان من يطالع تواريخ تلك الايام تأخذه الحيرة من كثرة المصائب والبلايا التي انزلها الله عَلَى اهل هذه البلاد · انما يجب عَلَى القاري ان يلاحظ عادة المؤرخين الذين يسهبون في الاخبار المفجعة الاليمة ويضربون صفحاً عن النعم · هكذا الانسان يحسب النعمة واجبة لطبيعته ولا يطيق حمل المصائب وان تكن خفيفة · ومع ذلك لا ننكر ان الشدائد كانت تفوق الخيرات وتدفع الناس الى اليأس · ولا زلنا نقول ان مبدأ القلق وعلة سلب الراحة من الجبل حكامه وضغائنهم وتقلباتهم مع ارياح الكبرياء والطمع او بعبارة اخرى تطلب المناصب والسيادة وهو ما يسمونه اليوم حب الوظائف · قال الدويهي في تاريخ سنة ١٦٧٦ ان حسن باشا لما تقرر عَلَى ايالة طرابلس ولّى بعض الاعيان عَلَى بلاد جبيل والبترون وجبة بشري ونزع الحكم من بيت حماده · الا انه اتاه الامر بالمسير عَلَى تركمان البجدلة وفي غيابه قام آل حماده عَلَى الذين نصبهم في المقاطعات المار ذكرها فقتلوا منهم واسروا وسلبوا · ولما رجع حسن باشا وعلم بما كان قد جرى غضب وزحف بالرجال الى بلاد جبيل واوقع بالمتمردين اشد العقوبات واحرق قراهم · وبعد رجوع العسكر جاء مشايخ بيت حماده واضرموا

نيران الانتقام في اماكن شتى وكانت ايام شديدة عَلَى الفلاحين · واظهر الله غيظه عَلَى الناس لقاء قبائحهم وفشا الطاعون والجدري وفتكا بالاطفال خصوصاً لان الله لا يرضى الا بالضحايا الطاهرة النقية

وفي اواخر هذه السنة في ٢٣ تشرين الاخر توفي في القسطنطينية صدر وزراء الدولة احمد الكبري وكان تولى الوزارة بعد ابيه محمد باشا الكبرلي الذي تسلم ايالة طرابلس سنة ١٦٥٣ واعطى المقدم علي حماده مقاطعة البترون والشيخ احمد بن عباده مقاطعة الجبه ثم دُعي الى منصب الوزارة الفخيمة بعد تنزيل مراد باشا سنة ١٦٥٦ · والوزير احمد الذي اتينا بذكر وفاته هنا قدم الى الشام سنة ١٦٦٠ بسبب الشكايات التي كانت رفعت الى الباب العالي على الامراء الشهابيين وجمع عساكر لمحاربتهم فسعوا باستعطاف خاطره ومنعوا اشهار السلاح عليهم · وهو الذي فتح جزيرة اكريت وجدد المعاهدات القديمة مع دولة فرنسة التي اشرنا اليها · وكان مهيباً حكيماً ساس الممالك العثمانية سنين طويلة وكان له في التدبير الباع الطويل ولعب في مرسح السياسة دوراً ذا اهمية · وخلفه في الوزارة قرا مصطفى باشا فبدّل النواب في جميع الايالات وارسل الى طرابلس محمد باشا · وهذا عند قدومه كتب البلاد عَلَى آل حماده وردّهم الى العزّ والاستبداد

ولكي يفهم القاري اخبار تلك الاعصار رأينا ان نلخص هنا تاريخ الاسرة الحمادية الشيعية لوجود اسمهم في كل حادث

روى المؤرخون الثقات ان آل حماده قوم من العجم من مدينة

بخارى · وكان جدهم حمادة من بعض اهلها ونشأ فيها واشتهر ثم اراد الخروج عَلَى سلطان تلك الديار فوجه اليه السلطان جيشاً وقتل من تعصب له وفرّ حمادة باهله وعشيرته وقدم الى جبل لبنان وحلّ في قهمز [١] في صرود كسروان بالقرب من لاسا · وتفرق بنوه في جبة المنيطره ووادي علمات واستلموا الحكم في الهرمل والجبة والضنية ووقع خلاف بينهم وبين الامراء آل عساف حكام غزير الى ان زال بقتل بعض اقاربهم وجوزي القاتل وهو احدهم بالولاية عَلَى بلاد جبيل وسكن في جاج · ثم احتالوا عَلَى بيت الشاعر المتولين بلاد البترون ونزعوا منهم الحكم واخذوه وعظمت صولتهم ·

ثم لما توفي سرحان حماده في ايليج في وادي ميفوق اختلف اولاد حسين وهم اسماعيل وابرهيم وعيسي · فاخذ ابرهيم [٢] وعيسى مقاطعة جبيل والفتوح ونقل اسماعيل من ايليج الى صرود الجبال وسكن في قرية لاسا وبنى فيها داراً ووضع عليها هذا التاريخ :

بسم الله الرحمن الرحيم

شيَّد مكاناً اسمعيل شيخ في النسبِ

حاز المكارم واضحى باعَلَى الرتبِ

داس المنايا افراداً ثم بالجملِ

---

١ · وتلفظ ـَقمِز·

٢ · عثرنا على قصيدتين للمطران جرمانوس فرحات يرثي بها ابرهيم حماده وقد نشر المشرق احداهما اما الاخرى فانها لم تطبع بعد

اسمعيل حماده سبع الغاب والكرم

(الف ومائة واربع وخمسين)[1]

وتقدم اسمعيل على سائر الحكام وكان الجميع يهابونه ويخافونه ونفذ امره حتى حلب فبلغ وقتئذٍ الحماديون من العز اعلاه

اما دخولهم جبة بشري فكان عَلَى اثر تغيير الحكام والاحوال في تلك الناحية فقام وجوه البلاد وطلبوا من سرحان حماده ان يوجه اليهم احد ابناء اسرته ليكون حاكماً عَلى الجبة فوجه معهم ابن عمه احمد المكنّى ابا زعزوعة لانه كان صغير السن . وصار الاتفاق عَلَى ان الشيخ احمد المذكور يحكم البلاد ويكون امره نافذاً مطاعاً في كل شيء ما عدا ثلاثة اشياء : الدين والعرض والدم . واستلم احمد الحكم في اواسط القرن السابع عشر اي نحو سنة ١٦٥٥ . وسلك بالعدل وفرح به الكبير والوضيع . وخلفه في الحكم ابنه حسين سنة ١٦٧٧ واقتفى آثار والده ومات عن ولدين احدهما حسين المشطوب والاخر ابو محمد عيسى . فعيسى خلف اباه في الحكم . وكان عالي الهمة مجتهداً في ما فيه عمران البلاد وسيأتي الكلام عنه في حياة البطريرك اسطفان ومات مقتولاً في دير مار جرجس حماطورا من شديد الناصر سنة ١٧١٤ في الثاني والعشرين من اذار .

واستمر الحماديون في الحكم عَلَى البلاد الى ان استفحلت دولتهم واستغوتهم السيادة واستباحوا سائر المنكرات فقام عليهم الشعب وبعد مواقع كثيرة نزعوا منهم الحكم واخرجوهم من البلاد

---

[1] ١٧٤١ م .

وكان تقدم آل حماده سبباً لشرور كثيرة حتى في ايام عدلهم وسلوكهم عَلَى موجب القوانين والشرائع لان وجودهم في اعالي لبنان جذب اليها كثيرين من الشيعيين من البقاع فاستوطنوا جبة المنيطرة وقرى صرود كسروان وجبيل وغيرها ونشروا في البلاد روح القتل والنهب جرياً عَلَى عوائد الاصقاع الهمجية التي نشأوا فيها . ومن قلّب الاوراق القديمة الباقية من تلك الايام لا يجد فيها سوى ذكر افعالهم السيئة . وفي سنة ١٦٧٧ قتل متاولة فاريا بعض اشخاص من مزرعة كفرذبيان فعاقبهم الامير المعني واحرق ضيعتهم وامر بقطع اشجارها . وفي عام ١٦٨٢ قتلوا احد رهبان مار عبدا هرهريا . وفي سنة ١٦٨٣ قتلوا اربعة اشخاص من غسطا وراهباً آخر من رهبان مار عبدا وثلاثة من مزرعة كرذبيان . وسنة ١٦٨٤ كبسوا عشقوت وقتلوا احد عشر نفساً ونهبوها وعادوا الى مقامهم غانمين مطمئنين . فركب ابن معن عليهم وخرب بلادهم ثم ارسلت الدولة جيشاً في اثرهم فهزموهم وقطعوا اشجارهم ورفعوا عن البلاد ثقل وطأتهم (١)

فمن لا يشعر عند ذكر هذه الحوادث فقط بالضيقات الشديدة التي كان يتقلب فيها سكان الجبل . ومن لا يعلم ان مصائب البنين يكون

١ . عن دفتر صغير بخط الخوري عون نجيم من غوسطا راهب دير مار شليطا . هذا انتقل الى مار سركيس ريفون عند اولاد عمته بني سليمان مبارك الذي ترهب مع اولاده في الدير المذكور سنة ١٦٧٠ واقتبل الكهنوت معهم . وابناه يوسف وجبرائيل نالا درجة الاسقفية . وتوفي الخوري عون المذكور في ريفون سنة ١٦٩٦ في ١٣ اذار . وقد نسخ بيده عدداً من الكتب

تأثيرها في الاباء اكثر منه فيهم وعليه فمن يقدر يصف اضطراب نفس ذاك الاب الحنون البطريرك اسطفان عند مشاهدة الخراب والخوف والضيق حول بنيه وليس من يجير ويدفع يد المعتدين

وفي تراكم البلايا والهموم اصيبت الاسرة الخازنية بل الطائفة كلها برزية مفجعة . الا وهي وفاة الشهم الكريم الهمام ذي الايادي البيضاء الشيخ نادر الخازن المعروف بابي نوفل . ولا نرى بدأً من تلخيص ترجمته هنا احياءً لذكره لانه كان ركن البلاد ومحامي الدين . ولم يترك فرصة الا وقدم فيها للبطريرك اسطفان الاكرام والاعتبار . وساعده في الاعمال الخيرية وخدم الطائفة خدمةً مأثورة بنفوذه وماله . ان الشيخ نادر الملقب بابي نوفل كان ابن خازن بن صقر بن ابرهيم ابن الشدياق سركيس الخازن . ويروي التاريخ ان الامير فخر الدين المعني لما سافر الى اوربا سنة ١٦١٣ وكل الى ابي نادر خدمة حريمه وتدبير ارزاقه فاستمرت هذه العادة في ايام المعنيين والشهابيين ان يولوا على ديارهم الخوازنة ويعهدوا اليهم نقل بيوتهم ونسائهم متى لزم الامر . ومن ذلك لُقب المشائخ آل خازن بحافظي سر بيت معن . وسنة ١٦١٥ حكم ابو نادر مقاطعة كسروان وسنة ١٦١٨ ولاه الامير فخر الدين علَى بلاد جبيل والبترون وغيرها . ولا نعرف له ولداً سوى نادر . تزوج نادر بابنة الشيخ معتوق حبيش ورزق منها ولدين نوفل واسد . فنوفل (ويُدعى الاول) مات وامه في قلعة صمر جبيل من زلزلة حدثت وهدمت البرج الاوسط من القلعة المذكورة . واسد توفي في صغره . ثم تزوج نادر ثانيةً ورزق فياض

(ابا قنصوه) ونوفل (الثاني وهو ابو ناصيف) وخازن (الذي قتله فياض اخوه) وطربيه (وهو ابو ظاهر) وخاطر . وبعد موت زوجته الثانية اخذ امرأَة من بيت الدهان وولد له منها علم (ابو النصر) وقيس (ابو كنعان) وسليمان الذي لقب بابي علي من حادثة جرت له في الشام .

وسنة ١٦٣٣ قبض عَلَى ابي نوفل مع الامير حسين بن فخر الدين في قلعة المرقب حيث كانا اختبأَا واخذ الامير فخر الدين نفسه وكاخيته ابو نادر في قلعة نيحا في الشوف وأُرسل بعضهم الى حلب والبعض الى دمشق . اما ابو نوفل فهرب من حلب ووالده ابو نادر افتدى نفسه بدراهم . اما الامير فخر الدين فأُرسل الى اسطنبول وقُتل مع بنيه . وخلفه في حكم البلاد ابن اخيه الامير ملحم . وبعد موت الامير فخر الدين انكسرت شوكة آل خازن وجار عليهم بعض ولاة الامور . فذهب ابو نادر واخوه فاضل ابو خطار وابنه نادر الى الكراندوكا فرديندو الثاني في فلورنسا وكان ذلك سنة ١٦٣٥ . ورجعوا بعد سنتين اي بعد ظهور الامير ملحم المعني واستظهار القيسية عَلَى اليمنية . وسنة ١٦٤٧ في غرة تموز توفي ابو نادر الخازن وخلفه في خدمة الامير ملحم ابنه نادر ففاق اباه بنفوذه ومداركه ووكل اليه الامير جباية الاموال الاميرية من كل الجهات ومن سائر اصحاب المقاطعات التي في عهدته . وسنة ١٦٥٦ انعم عليه البابا اسكندر السابع بالكوليرية الرومانية وان يتقلد سيفاً ويعمل مهامين من ذهب . وسنة ١٦٥٩ انعم عليه ملك فرنسه بقنصلية بيروت وعُهدت اليه ايضاً قنصلية البندقية . وسنة ١٦٧١ احال السلطان محمد الرابع مقاطعة

كسروان ومزارعه الى عهدة ابي نوفل واولاده

وقد اتخذ ابو نوفل مواهب الله ونعمه الزمنية وسيلة لعمل الخير وتعزيز الدين فبنى الاديار وأسس الكنائس ودفع الضيم ما استطاع عن ابناء طائفته واقتبل الرهبان الافرنج عند قدومهم الى لبنان وعضدهم في المشروعات الخيرية . فكم مرة فتح باب بيته للبطريرك اسطفان وكم جرّد سيفه لرد يد الظالمين وكم من الاديار اقامها وضمن لها البقاء في مستقبل الايام بما وقف عليها من العقار . وكم من المساكين عالهم واقرهم في مواطن الامن لما بددهم جور اعدائهم فعلى مثل هذا يحق ان تسخى العيون بعبراتها وبمثله يفتخر الاعقاب حاسدين من سلفهم

قد مر الكلام عن ابي نوفل وكيف انه اغتاظ من انتخاب البطريرك اسطفان دون مشورته وكيف انه لما عرف بالاختبار قداسة هذا الحبر وسمو ادراكه وحكمته ونزاهته واستقامته بذل امامه كل ما كان في وسعه احتراماً لشخصه الممتاز وغيرةً منه عَلَى الدين الكاثوليكي المقدس وعَلَى الطائفة . ولهذا اطلنا الكلام فيه . ثم رأَينا ان نثبت هنا بعض ابيات من زجلية يصف بها قائلها غزوات المتاولة (ويسميهم العوجان) عَلَى بعض قرى كسروان لان هذه الابيات تدل عَلَى مكان الشيخ ابي نوفل في اعتبار القوم ومنزلته في قلوبهم . قال الشاعر [1] :

بسنة الف وستماية * وثمانين ربانية * الرب يتمم الرعية *

ونقل ابا نوفل يا اخوان

---

١ . واظن ان المؤلف هو الخوري عون نجيم الذي سبق الكلام عنه ص ١٠٠

في شهر اب كان الافتقاد * بثاني عشر يوم ياأجواد * من الله الرب خالق العباد
وتيتّم بلاد كسروان

ياحيف عليه كان رجل جيد * بالكرم والسيف كان عنيد * وكل من يضادّه كان يكيد
وينتصر عَلَى العدو اين ما كان

وبعقل وفطنة كان كامل * وخير وحسنة كان فاعل * ووصايا ربه قابل
وحافظها بكل ما امكن

هذا تأبين الشعب وصوته صوت الحق

وفي تلك الغضون انتقل البابا اقليمس العاشر الى جوار راعي الرعاة الصالحين والى مجازاة الاحبار النشيطين بعد ان دبر كنيسة الله الجامعة ست سنوات ونحو ثلاثة اشهر اي من ٢٩ نيسان سنة ١٦٧٠ الى ٢٢ تموز ١٦٧٦ . وقام بعده لرياسة البيعة المقدسة عَلَى الكرسي البطرسي اينكنتيوس الحادي عشر وكان انتخابه في ٢١ ايلول من السنة المذكورة آنفاً . فحرر له البطريرك اسطفان مقدماً لقداسته فروض التهاني وعبارة الطاعة والاكرام باسمه واسم الطائفة كلها وبالفرصة ذاتها عرض عَلَى مسامعه الشريفة حاجات الكرسي البطريركي وحالة الشعب الماروني . قال [١] :

عنوان الرسالة

« الى الاب الاقدس والاناء المختار المقدس خامس المبشرين الابرار وثالث عشر الرسل الاطهار خليفة بطرس السليح ونائب السيد المسيح

١ . اثبتنا هذه الرسالة على اصلها

جليل الثنا والقدر · اينوشنسيوس الحادي عشر الوف تقبيلات وافيات وتسليمات صافيات [١] »

بيعة الله المفرقة في اربع افاق المسكونة والمجموعة من قبائل الارض ولغاتها كما ان السيد المخلص بدمه الكريم استرجعها من عبودية الشيطان وبالماء الزكي اغسلها لتكون له عروسة بهية لا دنس فيها ولا سيئة · كذلك غير ممكن ان يخليها من حسن عنايته الابوية ولا ان يهمل بشيء يسير مما يخص تدبيرها وثباتها ونشرها الى غاية الدهور الزمنية · واذا كان نحن الاشرار نتغاير عَلَى املاكنا ونصب يدينا ونرتب لها امناء ومناظرين يسهرون هجعات الليالي عَلَى اصلاحها · كم بالحري رب المجد الذي هو اصل النعم وينبوع كافة الخيرات يقيم روءساء ومدبرين على غرسة نعمته الذين منذ البدء خلقهم على صورته والزم البرايا باسرها بخدمتهم · وفي اخر الازمنة عندما ضلوا عن معرفته وتعبدوا للخطية انحدر بالرحمة من علو سمائه ومدّ يده عَلَى عود الصليب لاجل استفكاكهم وهبط بروحه الى الهاوية حتى وجد الخروف الضال فنشله باستحقاق الامه وعاد به مسروراً الى حظير مجده · فمن يتوهم عليه ان بعد ذلك يهمل بخلاصه ام انه يقفل باب الرحمة بوجهه ام انه يترك الذئاب الخاطفة تنهشه وتبدد شمله · ولذلك يشهد كتاب الانجيل الطاهر الذي يحوى قوة الله انه حين اثر بصفوة بطرس لرعاية خرافه الناطقة سأله ثلاث دفعات ان كان يحبه اكثر من رفاقه · وعندما استقر بذلك امام الثالوث الاقدس كرر عليه الامر ثلاث

١ · هذه العبارة مستعارة من كتابات الحكام والامراء في تلك الاعصار

دفعات قائلاً : ارعَ لي خرافي . ارعَ لي نعاجي . ارعَ كباشي . ليحقق
له ان رعاية الانفس لا تحق الا لذوي المحبة الصادقة والامانة الواثقة .
وكما ان بطرس في تجريدة العسكر جرَّد سيفه وحده وقام باذاء كافتهم
لمعضدة معلمه . كذلك وحده استوجب النيابة وان تكون له ولخلفائه خاصةً
مفاتيح الحل والربط عَلَى كل بيعته . فتلك القرعة السعيدة التي انحدرت
عَلَى بطرس من السماء بلغنا الان انها بعد انتقال اقليمس الى رحمة مولاه
استقرت عليك ايها الاب البار والاناء المختار . ولذلك بالفاظ التسابيح
والتهاليل والتماجيد والتراتيل نقدم لله الاب الشكر والثناء الذي من لدنه
تهبط كل عطية كاملة وموهبة صالحة . الذي ليس عمق لاحكامه الطاهرة .
ولا قياس لغزير مودته الباهرة لجنس البشر الذي ينزل الاعزاء عن
الكراسي ويرفع المتضعين الى اجلّ المراتب . واذا كان صحيحاً انه ليس
سلطان الا وهو من قبل الله الذي يسلطه نقمةً عَلَى الذين يعملون الشر
ومدحةً للذين يصنعون الصالحات . فماذا نقول عن الذي اصطفاه الله
بنعمته وجعله اسطوانة الايمان برحمته الذي سأل من اجله ان لا ينقص
ايمانه وسلمه المفاتيح واوعده ان باب الجحيم لن تقوى عليه كما هو قدسكم
الذي انتخبتم بطلبات البيعة وبقرعة الاطهار وباستقرار الروح لتكون رب
البيت ورأس الرعاة ومدبر النعم وخازن الاسرار وواضع السنن ومالك
بيدك مفاتيح الملكوت اذ لا يقدر الانسان يأخذ شيئاً الا ان يُعطى من
السماء . ولذلك نشكره شكراً دائماً الذي جمّل بيعته بدعوة قدسكم .
نحمده الذي نصبكم منارة لزوال (لازالة) البدع ونمجده الذي ارانا

(الراعي) الصالح الذي يبسط علينا نور وجهه · فنسأله يؤبد دولتكم ويرزق لسعادتكم طمأنينة الخاطر مع ثوب العافية سنين مديدة واعوام عديدة · وكنت عزمت عَلَى نفسي بالقدوم حتى اتبارك من قدسكم واهني غبطتكم بالدرجة السامية والسلطنة العالية لكن ما قدَّر الله من كثرة الضنك والاضطهاد الحادث عَلَى شعبكم الماروني وخاصة في هذه السنوات الثلاث رأوا من المحن والمشقات ما لم يره شعب اسرائيل من الفراعنة · فان ضياع كثيرة خلت وبعض ديورة احترقت والكنائس انهجرت وتقتل شعب كثير والباقي تفرقوا بين الامم الغريبة من تغيير الحكام وقساوتهم · ثم دخلت هذه السنة بالجرد والزحاف حتى غطوا وجه الفلك والارض · ثم تبعهم القحط والغلا حتى زادت الاسعار خمسة اضعاف عما كانت اولاً · لكن احكام الباري غير مدروكة ومهما يجينا من جانبه مقبول عَلَى الراس والعين · وما قصدنا بهذه الاخبار تكدير خاطركم الشريف لكن لتأخذوا بطرف نظركم الكريم ملتكم المارونية المشتتة بين الملل الغير طائعة · ومثلما الرسول جاثٍ عَلَى ركبتيه كان يسأل اهل افسس يتأملوا دعوة الله اياهم وما كان عرضها وطولها وعلوها وعمقها كذلك نحن باركين عَلَى الارض نسأل قدسكم تتأملوا دعوتكم فان روح القدس ما اختاركم عَلَى رومية واوربا وحدهما اذ لا يحتاج الاصحاء للطبيب · لكن عَلَى جميع النصرانية وخاصةً عَلَى الذين هم في الاطراف الذين اعداء الايمان يطلبون نهشهم وسلبهم وقتلهم كما يشهد الكتاب ان العمالقة كانت تلصلص شعب اسرائيل فيسلبون ويخطفون ويقتلون الذين

كانوا من الجوع ومشقة الطريق قصروا عن ارفاقهم · وبنظركم العام وبحلمكم الابوي تتبصروا بالرحمة والرأفة علَى كرسينا وكنائسنا وكهنتنا الذين تحت عبودية البربر فلم يزالوا منذ الزمان القديم طائعين لسنتكم وداعين لقدسكم بالدوام والبقاء والعلو والارتقاء · ولكن في هذا الزمان العسير من زيادة الظلم بقي حالهم على العدم · فنسأل غزير جودكم لاجل حب السيد المسيح وآلام المخلص ان تجعلوا نظركم علينا وتعاملونا بسواب[1] مطران من خاصتكم وتجعلوا لكرسيكم الانطاكي مدخولاً سنوياً حتى نقدر نقوم في هذه الخدمة التي أوئتمنا عليها · اذ بين جميع ملل الشرق ما احد طائع لشريعتكم سوانا ولا نحن ممقوتين بازائد الا بسببكم · والواصل الى تقبيل اقدامكم اخونا المطران بطرس مطران الافقسية المكرم هو يخبر قدسكم بسائر احوالنا فان رسم خاطركم الشريف تشملوه بنظركم الكريم وتفضوه بالعاجل حتى يعاود لرعيته ومهما تفضلتم به علينا ترسلوه معه حتى لا نزال قائمين بهذه الحملة · ونحن وشعبنا خاضعون على الاقدام نطلب لقدسكم طولة العمر وفضاوة البال

تحريراً في بلاد كسروان في ٨ من شهر ايلول المبارك سنة ١٦٧٩ ربانية[2] · تلميذكم الحقير

اسطفانس بطرس بطريرك انطاكية

---

١ · اي مثل

٢ · قد عثرنا على النسخة الاصلية لهذه الرسالة بخط الدويهي وتاريخها من دير مار شليطا في ١٠ تشرين الاخر سنة ١٦٧٦ ويذكر فيها القس يوسف مونس الذي كان تعين ليحملها الى رومة ولا نعلم ما منعه عن السفر وقتئذٍ وعليه لم توجه

ان بين وفاة البابا اقليمس وتاريخ هذه العريضة نحو ثلاث سنوات وسبب ذلك صعوبة المواصلات ومشقة الاسفار من المشرق الى اوربا كما لا يجهل القاري اللبيب · وزد على ذلك ان المطران بطرس مخلوف حامل هذه الرسالة لم يبحر من هذه الديار الا في العام التابع اي سنة ١٦٨٠ · واخذ معه ثلاثة اولاد الى المدرسة الرومانية وهم تلميذه مخائيل القبرسي من مطوشي[1] والتلميذ الثاني مخائيل بن نعيمه الاهدني من بيت اميه وهذا بعد رجوعه من المدرسة خدم اسكلة طرابلس وتوفي عام ١٦٩٨ والثالث توما القدسي بن موسى من حصرون :

قد نوهنا باكدار الاسفار وصعوبة المواصلات عموماً في تلك الايام بين المشرق واوربا فكانت المراكب العوبة الامواج والعواصف وكان

قبل سنة ١٦٧٩ كما ذكرنا مع المطران بطرس مخلوف · وفي الاصل عبارات اسقطها الدويهي · وسنأتي بذكرها في مكان اخر ·

١ · كانت مطوشي (واللفظة يونانية تعريبها الدير ومنها الامطوش او الانطوش) قرية مارونية عامرة فيها ثمان كنائس وموقعها بقرب دير مار الياس للرهبان اللبنانيين وبقاياها الان اثار حقيره ورمة كنيسة تعرف بكنيسة مار ماما

وهذا خرج من المدرسة سنة ١٦٩٣ فسامه البطريرك اسطفان قسيساً على سيدة الكفريات في قبرس في ١٠ نيسان سنة ١٦٩٤ · ثم سنة ١٦٩٦ عاد الى رومة وجهز مطبعة مع الخوري ابرهيم الغزيري في جبل فيسكون وطبعا فيها بعض كتب · ومخائيل ترك مصاحف عديدة منسوخة بيده بالحرف الكرشوني خصوصاً من تآليف البطريرك اسطفان كما سياتي عند الكلام عن هذه التآليف

والكفريات تعرف عندهم بكفالو بريسو اي راس النبع من النبع الذي في راس القرية حذاء كنيسة مار انطونيوس المارونية · اما كنيسة السيدة فقد استولى عليها الروم في اواسط القرن الثامن عشر وهي بيدهم الى يومنا هذا

الانسان اذا اراد السفر الى الغرب وردّه الريح صوب الشرق اضطر ان ينتظر انقلاب الهواء . واذا وُجد وسط المياه وهبت الرياح بوجهه اعادته عنوةً الى حيث كان وليس ما يدفع قوتها ولا ما يخمد هياجها . وما كان الملاحون ليجسروا عَلَى الابتعاد عن الشطوط خوفاً من غدراتها ولذلك كانت الاسفار طويلة مخيفة مزعجة وكان المسافر يخاطر حقيقةً بحياته ولا يرجو السلامة الا من عناية الباري ورحمته . وقد اصاب العرب بقولهم عن البحر ان الداخل اليه مفقود والخارج منه مولود . وزد على ذلك رداءة الانسان فانها في كل الاجيال قد فاقت قساوة العناصر الهيولية واختلق رجال السوء شروراً تهون عندها اخطار الامواج والعواصف . فصار البحر المتوسط مكمناً يصطاد فيه الناس بعضهم بعضاً ويقودون فريستهم الى الذل والعبودية وكلاهما امرّ من كاس المنون . ومن القديم بدأ العرب سكان الجزيرة في المغرب بهذا الافتراء عَلَى الانسانية وعَلَى الحرية واخذ قرصانهم يطوفون البحور لهذه الغاية كما يطوفها الصيادون لاصطياد السمك . فاغتاظ الافرنج من هذه الاعمال البربرية ونهض بعضهم وخصوصاً فرسان مالطه وعاملوا المغربيين بما سبقوا اليه فتفاقمت الشرور ووقعت الخسارة والاذى على المساكين والمتاجرين والمسافرين . فكان العرب يصطادون الافرنج والافرنج العرب ويستخدمون كل الذين قبضوا عليهم في الاشغال الشاقة ويستعبدونهم رقيقاً . فمنهم من كانوا يُكلفون بقذف المراكب والقيود في ارجلهم تمنعهم من الفرار او الارتماء في الامواج طمعاً بالنجاة ولو بالموت . ومنهم من كانوا ينقبون المعادن او

يباشرون غير اعمال شاقة ولا اجر لتعبهم سوى القوت القشف ·
واخرون كانوا يخدمون مواليهم في دورهم او حوانيتهم · والبعض كانوا
يفتدون انفسهم بالمال الكثير · فهذه الفواحش وهذا الافتراء على الانسانية
حمل بعض القديسين عَلَى تأسيس جمعيات لفداء الاسرى الذين كانت
هذه حالهم حتى ان بعضهم كالقديس منصور اسلم ذاته للعبودية وتغلل في
سلاسل الاسرى طوعاً واحتمل الرق والأسر حباً بخلاص القريب

اوضحنا كل ذلك لا رغبةً في اطالة الحديث بل ليفهم القاري ما
جرى للمطران بطرس مخلوف في سفره هذا الى رومة فانه والتلامذة الذين
كانوا معه وقعوا في ايدي المغربيين وأُسروا وقيدوا الى طرابلس الغرب ·
ولا حاجة بعد ما قلنا الى وصف ما ذاقوا من الهوان والكآبة والخوف
الذي اعتراهم عند هذا المصاب · ولا جرم انهم يئسوا من النجاة اذ لا
دراهم بيدهم فيفتدوا نفوسهم ولا منقذ يدافع عنهم ويأخذ بناصرهم في تلك
البلاد الشاسعة · فالتجأوا الى الرب القدير الذي بسط الارض والبحار
وكوّن العناصر وقبض بيده قلب الانسان · وتوسلوا الى تلك التي يدعوها
النصارى نجمة البحر وفادية الاسرى · فارسل الله لانقاذهم رجلاً ايطالياً
من مدينة مسينا في جزيرة صقليا اسمه ليونرد السمين [1] وكان موكولاً
اليه في مدينة طرابلس الغرب امر الاسرى المسيحيين نخلصهم وبذل في
انقاذهم نحو ثلاثة اكياس دراهم كما يقول الدويهي · وابتاع لهم ثياباً
وهيأ لهم محلاً في احد المراكب المسافرة الى ايطالية واعطاهم زاداً

---

١ · لعل الدويهي نقل بهذا الاسم علماً ايطالياً مثل : Grosso

للطريق · ولاجل هذه المروءة والغيرة عَلَى المساكين والغرباء وخصوصاً لاجل صنيعه هذا مع مطران وتلامذة مارونيين اجزل مكافاته البابا اينكنتيوس ناهيك عما حسب له من الاجر والثواب عند الرب القدير الذي قال طوبى للراحمين · طوبى لفاعلي الخير

هذا كل ما انتهى الينا من هذا الحادث · وربما نطق الاسرى بالعربية شفع بهم وخفف مصابهم · غير ان التلميذ توما القدسي لم ينجُ الا بشفاعة قوية من لدن والدة الله وبعناية خصوصية من الباري تعالى وتبارك « المكتفل تدبير تلاميذ المدرسة » كما يقول البطريرك اسطفان · لانه بعد اسره مع الاخرين وضعوه في قلعة المدينة ولاجل حسن خلقه بذل البغاة جهدهم لاخراجه عن الدين فكانوا تارة يتوعدونه بعذاب النار وتارة يغرونه بالنساء فصانه الرب كما حفظ الفتيان في اتون بابل ودانيال في جب الاسد · وانقذه من القلعة ليونرد المار ذكره · وكان دخوله رومة في التاسع من اذار سنة ١٦٨١ بعد رفاقه بزمان غير يسير · ودرس فيها مدة عشر سنين ثم بعد رجوعه سامه البطريرك اسطفان قسيساً عَلَى مغارة الصلب التي كانت لنا في القيامة المقدسة [1] في اليوم الثامن والعشرين من شهر اذار سنة ١٧٠٠

اما المطران بطرس والتلميذان اللذان نجوا معه فكان دخولهم الى رومة العظمى في شهر ايلول سنة ١٦٨٠ · وحال وصولهم اقتبلهم الاب الاقدس بانعطاف ابوي انساهم مرائر الطريق ومشقاته · ورفع المطران

---

١ · سنعود الى ذكرها ان شاء الله

بطرس الى الحبر الاعظم رسالة البطريرك التي اثبتناها وتهاني الطائفة المارونية جمعاء . فتعطف البابا بقبولها وانفذ الى البطريرك مع رسوله المذكور الكتابة الاتية :

« انكنتيوس البابا الحادي عشر الى الاخ المحترم اسطفانس البطريرك الانطاكي .

ايها الاخ المحترم السلام والبركة الرسولية

« ان الكتابة التي رفعتها الينا عَلَى يد الاخ المحترم بطرس دوميط (١) مطران نيقوسية بمناسبة ارتقائنا الى الحبرية العظمى شملنا منها سرور عظيم لاننا وجدنا فيها عبارة طاعتك الثابتة الدائمة وطاعة طائفتك المارونية الجزيلة التقوى التي لا يتزعزع ايمانها . وبالاستمالة الابوية نشمل طائفتك باسرها وانت قبل الجميع بكل ما عندنا من عواطف الحب . ونرغب ان تعلموا وتتأكدوا اهتمامنا الخصوصي بتدبير شؤونكم وان بعد الشقة لا يمنع من ان تكونوا دائماً نصب اعيننا كما سنثبته لكم بالبرهان كلما سنحت الفرصة. وقد ارسلنا لك الان شيئاً غير جدير بالذكر علامة رضانا كما ستعرفه من اخينا المذكور الذي اقتبلناه بسرور . ونأمل انك تتخذ من ذلك سبيلاً للجدّ في تتميم واجبات وظيفتك الرعائية بكل غيرة ونشاط وتثبيت الشعوب الذين تحت ولايتك في الصبر عَلَى الشدائد التي يكابدونها لاجل الاعتراف بالايمان الكاثوليكي بفرح الروح ناظرين الى الثواب العظيم جداً الذي

---

١ . انظر ما سياتي عنه

سندركه في السماء ..» [١]

اما عربون الرضا الذي اشار اليه الاب الاقدس في رسالته فهي كمية من الدراهم. وقد قرأنا باي الحاح طلب منه البطريرك اسطفان المساعدة له ولكرسيه الانطاكي ملتمساً من حلم حبر الاحبار ان يعتبر هذا الكرسي والبطريرك الجالس عليه مثل كرسي احد اساقفة البلاط البابوي ويساعده علَى القيام بعبء وظيفته الثقيلة وعلَى خدمة الايمان الكاثوليكي في هذه الاصقاع بثبات ونشاط. وقد عثرنا علَى وريقة وعليها بخط يد الدويهي بالايطالية ما تعريبه:

« اسطفان بنعمة الله بطريرك انطاكية.

اني استلمت بواسطة المطران بطرس دوميط المحترم مطران نيقوسية [٢] من السيد فوسطو [٣] وكيلنا في رومة ثلاثمائة وسبعة ريالات ونصف وهو المبلغ الذي تكرم به الاب الاقدس انكنتيوس الحادي عشر الحبر الاعظم اسعافاً لهذا الكرسي الانطاكي المقدس. حرر في قنوبين في ١٠ كانون الاول سنة ١٦٨٢.» [٤]

بما انا فرضنا علَى ذاتنا رواية كل ما اتصل بنا عن الذين خدموا الطائفة

---

١. «اعطي في رومة بقرب القديسة مريم الكبرى تحت ختم الصياد في ٢٣ تشرين الاخر سنة ١٦٨٠ وهي الخامسة لحبريتنا.»

٢. وهذه العبارة مع اسم المطران ضُرب عليها

٣. يريد مرهج بن نمرون الباني الذي اقامه الدويهي وكيلاً له وللطائفة لدى الكرسي الرسولي وبقي في هذه الوظيفة الى موته سنة ١٧١٢

٤. والواضح ان هذه الكتابة صورة وصل بالدراهم التي ارسلها الاب الاقدس مع المطران بطرس

والدين في عهد البطريرك اسطفان وحفظ ما عثرنا عليه من آثارهم بما امكن من الترتيب رأينا ان نلخص هنا ترجمة المطران بطرس المذكور بعد ان تكلمنا عن ذهابه الى رومة ومقاساته الوان المشقات في سفره

هو بطرس بن دوميط من بيت مخلوف [١] من غسطا • ذهب الى رومة سنة ١٦٣٩ • وكان ذلك انه لما قلّ عدد التلامذة في المدرسة الرومانية حضر الى لبنان جوان باطشتا كرتي من الرهبنية اليسوعية لطلب تلامذة • فارسله البطريرك جرجس بن عميرا الى كسروان لدى المطران يوسف بن حليب العاقوري [٢] فانتخبا خمسة عشر ولداً من كسروان وصيدا والجبة وغيرها وكان بينهم بطرس المذكور • فبعد ان درس العلوم الابتدائية وقضى ثلاث سنوات في درس الفلسفة وسنة في درس الالهيات اخذ يهتم بما فيه فائدة للطائفة ونقل الجزء الشتوي من المتعيد الى اللاتينية لنيل الاجاذة بطبعه وعاد الى الوطن سنة ١٦٥١ في اليوم السابع من تشرين الاول ولبس اسكيم الرهبنة في دير مار شليطا مقبس [٣] وسيم قسيساً فيه وسنة ١٦٦٨ ذهب الى رومة مع الخوري الياس عويضة الغزيري ليهنئا البابا اقليمس باسم البطريرك والطائفة ولما رقي الدويهي الى البطريركية استدعاه وجعله كاتباً عنده وفي سنة ١٦٧٤ في اليوم الرابع من تموز رفعه الى الاسقفية علَى كرسي قبرس بعد وفاة المطران لوقا بحضور سفير ملك

---

١ • واصل هذه العائلة من اهدن

٢ • وهو الذي اسس دير حراش • ثم صار بطريركاً فيما بعد

٣ • لم نتحقق امر انتقاله الى دير اخر •

فرنسة كما قلنا · فاجهد نفسه في تدبير تلك الرعية وزارها ثلاث مرات كما وجدناه مسطراً عَلَى حائط كنيسة مار رومانس في الجزيرة المذكورة· وكابد كثيراً من معارضة الروم فيها وتعديهم على حقوق الموارنة · وكان الله حكم عليه بالنصب انى حل واورده موارد الاهوال اينما امّ · ففي سنة ١٦٨٠ لما ارسله البطريرك الى رومة اسره المغربيون كما مرّ آنفاً وقاسى كثيراً الى ان نجا من يدهم وانقذ الاولاد الذين كانوا معه· وسنة ١٦٨٢ في اليوم العاشر من ايار كان رجوعه الى لبنان يصحبه الشدياق بطرس التولوي · وقضى حياته في اعمال الصلاح والبرّ وكان يساعد البطريرك اسطفانس في تأليف الكتب ونسخها وفي سياسة الطائفة · وعني كثيراً بتأسيس الاديار وتجهيزها ليقوم اهلها بتمجيد الله ويتفرغوا لعمل الخير · وجمع قصص القديسين في مجلدين كبيرين ثم اختصرها بشكل سينكسار لتقرأ عَلَى المؤمنين في الكنائس ووضع في السريانية ميامر وتشمشات عديدة · ولم نطلع عَلَى حقيقة تاريخ وفاته والمرجح انه مات بعد الدويهي

ومما يجدر بنا ذكره من حوادث تلك الايام انه سنة ١٦٧٦ ذهب الى رومة مع فرا[1] توما من رهبان مار افرنسيس انطوني بن حنا ذكيّ من قرية اسوماتس في قبرس واخوه فيلبي وكلاهما دخلا الرهبنة اليسوعية بعد ان قضيا في المدرسة المارونية ست سنوات · اما فيلبي فمات في رومة واخوه انطونيوس بعد الابتداء وانهاء دروسه صار كاهناً وارسل الى دير عينطورا سنة ١٦٩٨ وكان مثالاً صالحاً بقداسته وسيرته الرهبانية وعمر طويلاً

---

١ · فرا لفظة ايطالية تعريبها اخ

وحضر المجمع اللبناني سنة ١٧٣٢

وسنة ١٦٨٢ تبعه الى رومة اخوه الصغير اسطفان الا انه بعد درس الفلسفة وعلم الذمة [١] رجع برفقة مخائيل المطوشي لمرض اعتراه في عينيه ·

وسنة ١٦٨١ في بيرمون عيد القديسين بطرس و بولس كان تأسيس دير حريصا لرهبان مار افرنسيس بعناية البادري بطرس امارينو ليكون لهم ملجأً في لبنان اذا ثارت عليهم التجارب والمحن في القدس · وتعين الدير المذكور مدرسةً للرهبان المذكورين سنة ١٦٩٩ · ثم جدد بناؤه على ما هو الان عام ١٧٧٩ [٢] ·



---

١ · عبارة قديمة لعلم الشرائع الدينية و يعرف الان « باللاهوت الادبي »

٢ · راجع المقاطعة الكسروانية ص ٩٦ وما يليها

الفصل السادس

تابع اخبار الحوادث التي جرت في عهد البطريرك اسطفان

(١٦٨٣ — ١٧٠٣)

ان اضطراب الاحوال وجور حكام الجبة الحماديين عَلَى ما سبق لنا الكلام حمل البطريرك اسطفان عَلَى الانتقال من قنوبين الى كسروان لرابع مرة في حبريته . ولم نطلع عَلَى موضوع الخلاف بينه وبين آل حماده [١] لكن ما نعلمه من اناة البطريرك وصبره عَلَى النوائب يسوغ لنا ان نقول انه اقتضى لفراره من الجبة وهجر كرسيه المحبوب جوراً لا يطاق . وكان خروجه من الجبة وقدومه الى كسروان في وسط الشتاء في ابان المرافع . وفي اثناء اقامته في دير مار شليطا توفي المطران بطرس بن القس ابرهيم الاهدني [٢] وكان في زيارة الرعية في قرية البهلولية وهي الى شمال مدينة اللاذقية . وفي اليوم السادس من حزيران يوم عيد العنصرة اقام البطريرك خلفاً له على كرسي صيدا القس يوسف بن القس سليمان مبارك من قرية بطحا في كسروان . ويوسف المذكور كان ترهب مع والده واخوته في دير مار سركيس ريفون في ارض عجلتون [٣] وجرت سيامته بحضور

---

١ . راجع رحلة دلاروك ص ٤٤ و ٤٥

٢ . وهو من رفاق الدويهي في رومة وقد سبق ذكره

٣ . هكذا يعرفه المعاصرون

المطران جبرائيل البلوزاني والمطران جرجس حبقوق البشعلاني الذي كان مستقراً في دير ريفون والمطران بطرس مخلوف والمطران يوسف شمعون الحصروني والشيخ ابي قنصوه وشعب اكثر من ان يحصى · وقد قرأنا علَى كتاب شرطونية نسخها المطران يوسف مبارك المشار اليه[١] خبر تسقيفه بخط يده وفيه يقول: « وكان حاضراً مع قدسه الشريف (المطارين الذين ذكرناهم انفاً) · · · وثلاثة عشر كاهناً وشدائقة وشمامسة وشعب كثير مع حضرة الشيخ ابي قنصوه الذي عمر لنا هذا الدير المعمور مار سركيس ريفون في بلاد كسروان الذي نحن قاطنون به مع والدنا القس سليمان بن الشدياق سمعان بن مبارك وخالنا الخوري يوسف واخينا القس سركيس وابن خالنا القس اندراوس واخينا الشدياق جبرائيل[٢] واولاد خالنا الخوري عون (نجيم) واخيه القس مخائيل وباقي الرهبان الساكنين معنا في هذا الدير المعمور · الله يحفظنا واياهم من فخاخ الشيطان · » اه·

الا ان البطريرك لم يلبث طويلاً في كسروان لعدم الاتفاق بين مشائخ هذه الناحية · فقام في اليوم التاسع والعشرين من شهر آب تذكار قطع راس يوحنا المعمدان وتوجه نحو الامير احمد المعني حاكم الشوف الى قصبة دير القمر مقر الحكام المعنيين · واستأجر البطريرك من الامير المذكور قرية مجدل معوش · وكان في القديم سكان هذه القرية والقرى التي بجوارها من المسلمين فوقعت بينهم الفتن وكثر القتلى الى ان اجمع

---

١ · وهذا الكتاب محفوظ في خزانة الكرسي البطريركي

٢ · صار اسقفاً في اوائل القرن الثامن عشر

رأيهم عَلَى بيع القرية والخروج منها فاشتراها الامير علي ابن الامير فخر الدين باثني عشر الفاً وسلمها للنصارى (١٦٠٩) ولما بلغ البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني حلم الامير المذكور وتقدم بعض الموارنة المقيدين في خدمته بادر اليه في السنة المشار اليها وسكن مجدل معوش وبنى فيها كنيسةً وداراً . فاقتفى الدويهي اثاره واقام في القرية المذكورة سنتين . وعطر تلك الناحية بعرف فضائله وانارها باشعة حكمته وصنع الله عَلَى يده بعض معجزات سنذكرها في باب اخر ان وفق الله . وحسبنا الان ان نقول انه كان يدخل العمران في الاماكن التي كان يقدم اليها . ففي مدة اقامته في مجدل معوش جدد كنيسة السيدة التي الى غربي القرية وما زالت باقية الى يومنا وبنى مسكناً له ولمن تبعه [١] . وشمل نظره ابناء الطائفة الموجودين في تلك الجهات بحالة الذل والفقر وعززهم وعلمهم بامثاله الصبر والنشاط والجد وكل الفضائل البشرية مقرونة بخوف الله . ولما كان يعلم ان الاديار الرهبانية يجد الشعب في جوارها الانس والامن استهم الشيخ اباصابر من ريشميا [٢] بتتميم بناء الدير الذي شرع في تشييده في القرية المذكورة وهو اقدم دير في تلك الناحية . وكانت ريشميا ولا تزال الى اليوم من اهم القرى المارونية فرقى لها عَلَى كنيسة مار قرياقس برادطة وقسوساً تعزيزاً لسكانها تجاه الامم الغربية .

---

١ . يُعرف ان موقع هذا المسكن كان في جوار كنيسة السيدة المار ذكرها

٢ . جدّ العائلة التي تعرف باسمه الى الان

وبعد ان صرف نحو ثلاث سنوات في مجدل معوش [١] قدم اناس من الجبة بكتابات من آل حمادة الى الامير يقدمون بها للبطريرك الخضوع التام ويعدونه بالقسم انهم لا يعودون يخلفون بشروطهم معه ولا ينكثون العهود · فرجع واياهم وكانت عودته في اواسط عام ١٦٨٥ · وبمروره في كسروان امر بترميم كنيسة مار عبدا عَلَى نهر الكلب وتبعها لدير ماشليطا مقبس ·

وفي السنة المذكورة ١٦٨٥ جرى في رومة العظمى احتفال باهر لمرور المائة سنة عَلَى مدرستنا الرومانية · وليس من يجهل ان السعيد الذكر البابا غريغوريوس الثالث عشر لوافر غيرته عَلَى نشر الايمان الكاثوليكي ومحبته للطائفة المارونية المشتتة في ديار الكفر ما بين الامم امر بطاركة الطائفة [٢] ان يرسلوا تلامذة مارونيين الى ام المدائن ليردوا منهل العلم ويتهذبوا بالسيرة الاكليريكية حتى اذا عادوا الى اوطانهم يجهدوا انفسهم في سبيل خدمة الله تعالى وخلاص القريب وينشروا بين الامم انوار العلوم وارج الفضايل المسيحية · فارسل البطريرك سركيس الرزي عشرة شبان فامر الحبر الاعظم ان ينزلوا في مدرسة «النيوفيط» او الحديثين في

---

١ · وجدت على نسخة كتاب الاسرار للمطران يوسف شمعون نقلها الشدياق يوسف من اهدن (ويلقب ذاته بابن اخ البطرك اسطفان) في ايلول سنة ١٦٨٥ ما حكايته : وكان فراغه (في ٦ ايلول) في مجد المعوش في بلاد الدروز وكانت الضيعة في يد عمي البطرك : اعطاه اياها الامير احمد ابن معن ثلاث سنين كل سنة بار بمائة غرش · وفي نصف شهر آب رجع البطرك الى الدير المعمور قنوبين ٠٠٠ اه ·

٢ · مخائيل وسركيس الرزي

الدين · ولما كثر عدد تلامذة الموارنة هناك امر بنقلهم الى المنزل الذي اقامه في المدينة للزوار الموارنة وعهد في تدبيرهم الى الاباء اليسوعيين · وبعد وفاة الحبر المذكور قام البابا سيكسطس الخامس الشهير وعين لهذه المدرسة دخلاً يكفي خمسة عشر طالباً مع من يلزم للقيام بتدبيرهم وخدمتهم [١] ·

فبعد مرور قرن كامل عَلَى تأسيس هذه المدرسة الشهيرة اي يوم عيد القديس يوحنا الانجيلي شفيعها الحبيب وهو اليوم الثاني بعد الميلاد في ٢٧ كانون الاول سنة ١٦٨٤ زين التلامذة كنيسة المدرسة وهيكل الرسول المشار اليه بالشموع والقناديل الفضية وبسطوا المنسوجات الحريرية ووضعوا عَلَى المذبح ايقونات القديسين وذخائرهم [٢] · وكان في ذاك الوقت وكيل الطائفة ومحامي المدرسة لدى الكرسي الرسولي الكردينال فرنسيس نرلي الصالح الذكر · وكان سمحاً شديد الغيرة على نجاح المدرسة فاراد ان يتوفر في احتفال هذا العيد كل ما من شانه ان يزيده رونقاً · وامر ان تفرش قاعة المدرسة باقمشة حريرية مزركشة بالذهب وان تتعلق عَلَى جدرانها صور الذين نبغوا من تلامذتها وشرّفوها بالاعمال المبرورة او نالوا المراتب البيعية ودبروا بيعة الله · فبلغ عدد التلامذة الذين وضعت صورهم عَلَى جدران القاعة المذكورة اربعاً وعشرين منهم ثلاثة بطاركة

---

١ · تاريخ الطائفة المطبوع ص ١٨٠

٢ · وكان بين الصور المعروضة صورة يوحنا المعمدان في البرية عمل يدر افائيل الشهير اتصلت الى المدرسة مع متروكات الكردينال كرافا · ولم نعثر على ذكرها بعد هذا التاريخ وترجح انها اليوم في متحف فلورنسا

عَلَى الكرسي الانطاكي وهم اسطفانس الدويهي وجرجس عميرا واندراوس عبد الغال اخيجان اول بطاركة السريان الكاثوليكيين. ثم اثنى عشر اسقفا وهم سركيس الرزي من بقوفا [١] . وموسي العنيسي من العاقورا . ويوحنا الدومينيكاني من حصرون ويوحنا من بيت صندوق من حصرون ايضا . واسحاق من قرية شدرا ومخائيل بن شمعون من حصرون وسركيس الجمري من اهدن وبطرس مخلوف من غسطا . ولوقا القبرسي من قربصيا . وبطرس بن اميه من اهدن . ويوسف نعمة من حصرون ومخائيل بن الصهيوني من اهدن [٢] . ثم وضعوا ايضا رسم تسعة تلامذة اخرين من الذين اشتهروا بالفضيلة والتبشير وهم ابرهيم بن جرجس البشراني الذي مات شهيداً في بلاد الحبش [٣] والخوري يوحنا بن عواد من حصرون . والقس بطرس المطوشي الذي ترهب في الجمعية اليسوعية والقس نصرالله

---

١ . قرية تجاه اهدن دمرها اهالي اهدن بسبب اتباع اهلها ضلال اليعاقبة .

٢ . هذا بدلاً من جرجس الكرمسداني الذي وضعت صورته في الكراسة المطبوعة . لان جرجس الكرمسداني الذي جمع المعجم الشهير باسمه كان تلميذ رومة غير انه لم يقتبل الاسقفية . والمطران جرجس الكرمسداني غيره ولم يدخل رومة قط حياته كلها

٣ . هو ابرهيم جرجس ولد في حلب من عائلة مارونية لبنانية وتربى بخوف الله وارسل الى المدرسة المارونية في رومة فامتاز بنجابته وتقواه . ثم دخل الرهبنة اليسوعية وكان رفيق القديس لويس غنزاغا وصديقه . وبعد ان نذر النذور الرهبانية ذهب الى كلية كويمبر (في البرتوغال) سنة ١٥٩٢ . ثم عاد الى رومة طالباً السفر مع المرسلين الى الهند وباذن الرئيس العام الاب كلوديوس اكوافيفا سافر في السنة المذكورة واتى مصوّع فقبله ببشاشة حاكم البلاد وكان اسمه ظافر . ثم بعد ثلاثة اشهر

بن شلق العاقوري الذي اسس للطائفة مدرسة في راوّنا من اعمال ايطالية ·
والقس جبرائيل الصهيوني الاهدني [١] والمعلم ابرهيم الحاقلاني الشهير ·
والقس سمعان بن هارون التولاوي والخوري مخائيل صابونا الحصروني ·
والشدياق فيلبس موسي البشراني ·

وقرأ التلامذة بلغاتٍ مختلفة تقاريظ شتى مدحوا فيها مكارم البابا
انكنتيوس الحادي عشر الذي انقذ المطران بطرس مخلوف ورفاقه من
عبودية القرصان · وذكروا فيها مآثر البابا غريغوريوس الثالث عشر
مؤسس المدرسة وادّوا فروض الشكر والثناء للكردينال نرلي الذي زين
باريحيته ذلك المحفل واذاعوا فضل الكردينال كرافا ومبراته لانه سعى
باقامة المدرسة ووقف عليها جميع متخلفاته · ونشروا مناقب التلامذة الاربعة
والعشرين الذين تقدم ذكرهم ومدحوا اجتهادهم وجهادهم في التبشير والتعليم
ونشر الايمان الحق ·

وحضر المحفل خمسة كرادلة مع اساقفة ومطارنة وعلماء وشعب لا

دخل بلاد الحبش للتبشير بالانجيل لكنه اضطر ان يرجع الى مصوع لما عرف مسيحياً
فطلب اليه الحاكم ان يجحد الايمان الكاثوليكي فأبى وقاسى بنشاط عذابات مرة
وضرب عنقه ثلاثاً بالسيف فاسلم الروح داعياً اسم يسوع المقدس

وعنه يقول ناظم زجلية تلاميذ رومة :

قسيس ابراهيم الحلبي · تبع الشهداء بالدربي · من رهبان يسوع ربي · تشهد
في بلاد هندية * طالب منه الشفاعة · لضعفي ايضاً وللجماعة · الذين يمشون بالطاعة ·
بحب العذرا النقية

١ · تعين ترجماناً عند ملك فرنسة لويس الثالث عشر

يحصى . والكردينال نرلي كلل صنيعه بطبع كراسة صغيرة اودعها الثناء الطيب عَلَى ثبات الطائفة المارونية في الايمان الصحيح ودوام اتحادها مع الكنيسة الكاثوليكية . ومدح فضائل البار يوحنا الرسول الثاولوغس شفيع المدرسة وذكر احسان الاحبار الرومانيين والكرادلة عَلَى المدرسة والحق ذلك بمديح التلامذة السابق ذكرهم وعني بحفظ صورهم عَلَى صفحاتها لتخليد ذكرهم في الاحقاب [١]

هذا بالاختصار وصف تلك الحفلة وما جرى فيها مما يستحق خلود الذكر . وقد امر الكردينال نرلي ان ترسم صورة الدويهي في صدر الكراسة التي طبعها اكراماً لتلامذة المدرسة ونشراً لفضائلهم ومبراتهم . ووضع تحت رسمه الكريم تقريظاً لاتيني العبارة ولهذا التقريظ ترجمة سريانية او ربما هي الاصل حفظها البطريرك سمعان عواد في سيرة بطريركنا المغبوط . واليك مؤداها :

« ليس من مديح يوفي هذا الحبر حقه لانه يفوق كل ثناء . رقي الى الملك فوجد اعلى من هذا المقام واجتهد في ان يفوق ما سواه لا بالعظمة بل بالصلاح والفضل . كتب تواريخ امته ووطنه وطقوسهما فاستحق بذلك المدحة . فلتذع اذن مناقبه ليس الاجيال الحاضرة وحدها بل الاعصار السالفة والمستقبلة ايضاً . سار سيرة رهبانية . وكان يتفرغ لشأن نفسه ولخدمة الله كمن ليس له رعية يهتمّ بتدبيرها . وكان يهتم بالاخرين كمن ليس له انشغال بذاته وبالله . وكان يسعى في ان يغني غيره . يالها من

١ . عن تاريخ تلامذه رومة للدويهي

ديار سعيدة اخذت الجزية من رئيسها بدلاً من ان تدفعها لولي امرها »

لم تكن تقلبات الاحوال والعناية بالمدرسة الرومانية لتستغرق قوى البطريرك اسطفان او تشغله عن تدبير رعيته · كما انه لم ينسَ حياته كلها اولئك الابناء الروحيين الذين تركهم في مدينة حلب بعد ان غذاهم بلبان التعاليم الانجيلية وجعلهم قدوةً لسائر الطوائف بل اراد ان يبث فيهم روح العلم لتنتشر بواسطتهم المعارف في هذه البلاد المشرقية لان الحلبيين كانوا دون سائر النصارى يفقهون اللغة العربية السائدة في هذه الاصقاع وعنهم اخذ الجميع · فنظر في ان تكون هذه اللغة آلة لنشر العلم واختار لهم معلماً من تلامذة المدرسة الرومانية كاهناً في عنفوان العمر ماهراً في العلوم الفلسفية والالهية العلامة الغيور والجهبذ المفضال الخوري بطرس بن عبدالله من بيت زيتو من تولا (البترون) وبطرس هذا كان ارسله البطريرك جرجس البسبعلي الى مدرسة رومة مع الراهب فرا بطرس من رهبان القدس وكان ابن احد عشر سنة · وبعد ان نال شهادة الملافنة عاد الى سوريا مع المطران بطرس مخلوف سنة ١٦٨٢ · ثم اقتبل درجة القسوسية علَى مذبح سيدة قنوبين من يد البطرك اسطفان في اليوم الثامن من ايلول من السنة المار ذكرها وتقيد في خدمة الكرسي البطريركي فلما خبره الدويهي وراى ما كان عليه من رسوخ القدم في العلم والتقى ارسله الى حلب سنة ١٦٨٥ واعظاً ومعلماً فاجاد وطارت سمعته في كل البلاد وادخل في المدينة المذكورة عبادة المسبحة الوردية التي يتلوها المسيحيون اكراماً لام الاله المجيدة عوضاً عن المزامير المـاية والخمسين التي كان يقولهـا اجدادنا في

الايمان · وسنة ١٦٩٨ قدمه المطران جبرائيل البلوزاني مطران حلب على كهنة الشهباء واقامه بردوطًا ورئيساً عليهم فضاعفت فيه الوظيفة العناية بامر الكنيسة والاهتمام بشؤون الشعب فعلم الشبان وتلمذ كثيرين شهرتهم تغني عن تعدادهم وترك لتلاميذه بل للطائفة وللشرق جميعه تآليف نفيسة في المنطق والطبيعيات والالهيات والغرامطيق السرياني والمواعظ [١] والتاملات الروحية وذكر فضائلٍ غراء وافضال لا يمحوها كرور الايام ·

واتى التولاوي الى لبنان سنة ١٧٠١ واخذ معه الى حلب القس ابرهيم الغزيري · وتوفي التولاوي سنة ١٧٤٥ بعد ان رد كثيرين الى حظيرة الايمان الكاثوليكي وثبت المومنين في الحقائق الوطيدة ·

وفي اثناء اقامته في حلب خاصمه بعض المرسلين بسبب تصرفه مع الطوائف فدافع بحكمة وجرأة عن حقوق روساء الطائفة المارونية وكهنتها ورفع الامر الى رومية فاستصوبت تصرفاته وردعت ايًا كان عن معارضته ومعارضة كهنة الموارنة · [٢]

ومن الحوادث التي يليق ذكرها باختصار قدوم الافرنسي دلاروك الى لبنان وقد تكلم مطولاً في كتاب سفرته عن الموارنة واصلهم وتاريخهم

---

١ · عثرت عند الخواجا فارس طنوس من جران (بلاد البترون) على كتاب مواعظ غير مكملة وليس عليه اسم المؤلف الا اني استهديت من بعض تلميحات الى حقيقة نسبته للتولاوي

٢ · راجع رسالة الخوري اسطفان ورد وقد نشرها الخوري ميخائيل غبريل الشبابي في تاريخه للكنيسة المارونية ص ٨٤٣ · — راجع المقالة النفيسة التي نشرها القس جرجس منش في المشرق ١ ايلول سنة ١٩٠٣ ص ٧٦٩ وما يليها

وعن روسائهم وعن البطريرك اسطفانس خصوصاً .

وسنة ١٦٩٩ ارسل الملك لويس الرابع عشر قنصلاً يمثله في القدس الشريف وهو عَلَى ما نظن اول ممثل لهذه الدولة في المدينة المقدسة وكان الذي تولى هذا المنصب المسيو دي برامند [1]

ولم يذكر المؤرخون فرار البطريرك اسطفان الى كسروان سنة ١٦٩٥ هرباً من جور حكام الجبة وقد وجدت اشارة الى ذلك في دفتر حسابات الكرسي حيث يرقم عشور مزارع كسروان وقبرس عَلَى يد المطران بطرس بن مخلوف الذي كان رفيقه . وفي كتابات ملك فرنسا لويس الرابع عشر التي سوف نذكرها .

وفي تلك الاونة اي في اواخر عام ١٦٩٥ انفذ البطريرك اسطفان المطران بطرس مخلوف الغسطاوي الى رومة وتوجه مع المطران المذكور يوحنا مرمغون الماروني . ويوحنا هذا مجهول النسب وقد روي استناداً عَلَى صك قديم ان مرمغون كان من قرية مشمش وعلمت انه يوجد حتى الان في هذه القرية محل يُعرف بخربة مرمغون . ومهما كان من امر هذا الرجل فان الشيخ حصن الخازن والمطران بطرس المذكور كلفاه الذهاب الى فرنسة لطلب القنصلية من ملكها للشيخ حصن المرقوم بموجب كتابات تاريخها كانون الاول سنة ١٦٩٥ . فاستجاب الملك طلبهما بكتابات رسمية (١٢ حزيران ١٦٩٧) رغماً عن الامر الذي كان اصدره في ١١ اذار ١٦٨٥ بابعاد الاجانب عن مثل هذه الوظائف . وامر

---

1 . M. De Brémond

ان تفصل قنصلية بيروت عن قنصلية صيدا التي كانت تتبعها · وبتاريخ ٣ تموز سنة ١٦٩٧ وجه الملك المذكور كتاباً للشيخ ناصيف الخازن يخبره به انه استهم سفيره في الاستانة لمساعدة المذكور لئلا يلحق به ضرر من الامير ابن عالم الدين اليمني الذي كان استولى على الحكم بعد الامير احمد المعني · وبالتاريخ عينه انفذ الوزير دي طرسي كتابة اخرى للشيخ ناصيف يعده بها المساعدة طبقاً لارادة الملك واوامره · ثم ان الملك كتب للمطران بطرس مخلوف يخبره بتعيين الشيخ حصن في قنصلية بيروت وكذلك الوزير دي طرسي كتب له في الموضوع المنوه به والتاريخ المذكور (٣ تموز ١٦٩٧) · واصدر الملك والوزير اوامرهما بهذا الصدد للسفير دي كستنيار · وبتاريخ ١٦ تموز من السنة المرقومة قبل يوحنا مرمفون في عدد فرسان سيدة الكرمل والقديس لعازر [١] · ثم ان يوحنا مرمغون المذكور في عودته الى الشرق مر علَى ادرنه حيث كان الباب العالي وتشكى من ظلم بعض الحكام علَى دير قنوبين ورئيسه البطريرك اسطفان ونال امراً شريفاً بمنع كل تعدي عن الدير المذكور وعلى البطرك والرهبان وقد اوردنا صورة هذا الامر في فصل اخر ·

---

١ · عن كتاب رحلة دلاروك · — ولدينا عدة كتابات من ملك فرنسا لويس الرابع عشر محفوظة في خزانات الوزارة الخارجية في فرنسا وتاريخها ١٤ اذار سنة ١٧٠١ احداها للبطرك اسطفان والاخرى للمطران بطرس مخلوف · وثالثة للكولير يوحنا « جوديسي » — Jean Baptiste Judicy كذا ورد اسمه · ويذكر انه نسيب المطران بطرس المذكور ومعتمد البطريرك اسطفان والشيخ حصن الخازن الذي كان وقتئذٍ قنصلاً افرنسياً على بيروت

ولما توجه البطريرك الى كسروان تبعه كثيرون من اهل الجبة مستغيثين من ظلم حكام مقاطعتهم بجلم وانصاف الامراء المعنيين فاضطربت البلاد ودليل ذلك ما كتبه ارسلان باشا اولاً بتاريخ ١٣ شوال ١١٠٧ الى البطريرك وبهذه الكتابة يطلب اليه ان يرجع الى كرسيه مع الرعايا الذين توجهوا معه ويتعهد له بمنع كل اذى ودفع كل تعدي من جباة الاموال الاميرية · ثانياً بتاريخ ٢٥ صفر و٦ شوال ١١٠٩ حيث يخبره باجراء القصاص عَلَى الذين تعدوا على دواب الكرسي ويطيب خاطره ويطلب ان يسعى بعمار البلاد وتأمين الاديرة التي تحت ولايته وباستدعاء الذين نزحوا من الجبة ويعده بالخير والعدل والامان لكل الرعية · فعاد الدويهي لكننا لا نعلم تاريخ عودته تماماً ·

ولما كان البطريرك اسطفان ارسل الخوري الياس شمعون الى رومة · لقضا مصالح دينية فحمله كتابة لملك افرنسة رقم اذار سنة ١٧٠٠ يطلب بها التوسط لدى الباب العالي لرفع التعديات عن البطريركية والطائفة المارونية وعند وصول كتابه اجابه الملك المرقوم عملاً بما تعرف له الدولة العثمانية من حق المحاماة عن النصارى في المشرق وانفذ اليه الكتابة الاتية ·

«ايها السيد الجليل · تناولت من يد الخوري الياس كاتب سركم تحريركم رقم ٢٠ اذار سنة ١٧٠٠ · وسأني ما تخبرون بها عما تقاسيه الطائفة المارونية في جبل لبنان وعما كابدتم من المشقات كي تصونوا ذاتكم من الاهانات التي اراد بعض الناس ان يلحقوها بكم · واني لمستعد دائماً

للمحاماة عن الدين الكاثوليكي الروماني في كل مكان وبالخصوص ضمن حدود بطريركيتكم ولذلك سلمت معتمدكم المذكور كتاباً لسفيري في القسطنطينية وجددت له الاوامر السابقة ليبذل وسع الجهد والعناية لدى الباب العالي العثماني لينال منه كل ما يعود الى خير الدين الكاثوليكي في بلاد الموارنة فتشعرن بمفاعيل حمايتي وبشديد اعتباري لشخصكم ثم اطلب من الرب ان يحفظكم ويصونكم ايها السيد الجليل .

اعطي في مرلي [1] في اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٧٠١ . »

وفي اليوم عينه كتب الملك لسفيره دي فريول كتابة ملتزمة وامره ان يداول الخوري الياس في ما يراه مفيداً لاستتباب الامن والراحة في لبنان [2]

وسنة ١٧٠١ رجع من رومة بطرس بطريرك السريان ومعه خط شريف من السلطان مصطفى بالرجوع الى كرسيه وبعد ان عاد الى مقره اثار عليه عدو الخير البعض من جماعة اليعاقبة ورفعوا فيه شكوى زورية الى شيخ الاسلام فصدر امر بنفيه من حلب مع المطران رزق الله وستة من الكهنة وغيرهم من الكاثوليكيين وارسلوا في الخريف الى ادنه

---

١ . مرلي بلدة غير بعيدة عن باريس على ضفة نهر السين وكان فيها قصر شاهق دمره رجال الثورة وبقربها مدينة وقصر سان جرمان S. Germain en Laye

٢ . نقلا عن رحلة دلاروك ـ لا نرى حاجة لذكر الحادثة التي جرت في طرابلس للشيخ ابي يوسف رزق البشعلاني وكيف سلبت امواله وارزاقه لاجل محافظته على دين اجداده فاضطر ان يهجر البلاد ويذهب الى اوربا طلباً للامن والرزق ولدينا كتابات شتى بهذا الصدد اكتفينا بالاشارة اليها

ولعد وصولهم اليها بايام قليلة توفي المطران رزق الله من مشقة الطريق ومن الاهانات التي لحقته ثم بعده توفي البطريرك · وكذلك صدر امر في السنة عينها بهدم حارة الكبوشية وكنيستهم في بغداد ودكوا الى الارض حارة رهبان القدس في دمياط ثم ان حاكم قبرس قبض عَلَى بعض الموارنة وغرمهم بدفع ٤٢٠ قرشاً · وفي السنة التابعة صدر امر بقصاص الذين يقتبلون قسوس البابا وصار تفتيش في حلب عن كل من يتبعهم وتكلف الموارنة في الشهباء خسائر كبيرة كل ذلك من حسد بعض اعدائهم ووشاياتهم الافكية · فسبحان الذي جعلهم حسب قوله الكريم خرافاً بين ذئاب في كل الاماكن والازمنة ·



الفصل السابع

في محاماة الدويهي عن حقوق الطائفة ورؤسائها وغيرته على الطوائف الكاثوليكية

قد اطلنا الكلام عن الحوادث التي جرت في ايام الدويهي ومع ذلك فقد اوردناها بما امكن من التلخيص والاختصار لانها كثرت في زمان البطرك اسطفان ولم يعرف يوم راحة طول حياته كما يقول مراراً في اماكن شتى من تآليفه. وغيرته القوية على خير الطائفة وسمو عقله ومداركه احوجه الى التدخل في كل ماجرى على عهده خوفاً من ان يلحق الاعداء الغدر والاذى بابنائه ويعرضوهم للغوائل والمهالك الا ان الحوادث المقدم ذكرها والاضطهادات المتنوعة لم تستغرق قوى ذاك البطريرك الهمام ولم تلهيه عن القيام بواجبات وظيفته المقدسة. كان حليماً وديعاً ومحباً للجميع لكنه لم يتساهل قط بحقوق طائفته وكرسيه الانطاكي ولم يدع احداً يمد اليهما يداً. واذ كان يدافع عنهما تجاه الاجانب كان يجهد نفسه في تنظيم الطقوس وتهذيب الكتب وتأسيس الرهبانيات وكتابة التواريخ وتثقيف الكهنة. وعند تفرغه لهذه الاعمال السامية الخطيرة كان يسعى لقيام ارزاق كرسيه لتكون بيده آلة لعمل الخير وكل ذلك اي المناضلة والمكافحة ونهوضه باعباء وظيفته واشتغاله بالتأليف والتهذيب وتنظيم الرهبانيات وانهماكه بالامور الزمنية المنوط امرها به لم يمنعه من المثابرة على ممارسة

الفضائل الانجيلية والاقبال عَلَى تقديس نفسه · فكان في وقت واحد جنديًا مناضلاً وقائداً حكيماً ورئيساً هماماً وكاتباً مدققاً وناسكاً عفيفاً فمن اي جهة نظرنا اليه الفيناه عظيماً ومهما اردنا نصف من مناقبه قصرنا في وصفها وعجزنا عن ايفائها حقها · ومع ذلك فبعد الاقرار بعجزنا نستعين بالله ونتكلم اولاً عما جرى له من بعض المرسلين فنقول :

اعلم وفقك الله انه في ايام البطرك يوحنا مخلوف الاهدني طلب القس الياس ابن الحاج حنا من عائلة الصراصرة والقس يوحنا بن عيسى المكنى بالارمني وكلاهما من اهدن كتابة من البطرك المذكور وطافوا في الطائفة لجمع احسان يشترون بها محلاً في القدس وفي سنة ١٦٢٢ اشترى القس الياس وابن خاله القس انطونيوس بن ابرهيم الاهدني محلاً يعرف بدار الازّي [1] في محلة النصارى من جرجي ويعقوب ويوسف بني حنا بن يعقوب الملقب بابن الكسار بثمن قدره خمسمائة قرشاً والدار كانت تشتمل عَلَى سبعة بيوت منهـا خمسة سفلية · ثم بعد ذلك صار القس الياس مطراناً عَلَى اهدن فذهب الى القدس واشترى ايواناً كبيراً من رجل سرياني يُعرف بابن الراهبة ودفع ثمنه مائة وعشرين قرشاً من ماله واضافه الى دار الازي واشترط ان يقدّم من ريعه السنوي شيئاً معيناً لقبر السيد المسيح عن نفس الواقف وذلك بعد ان رممه وتكلف عليه مبلغـاً غير يسير سنة ١٦٤٧ · وفي التاريخ ان هذا المحل كان اشتراه سنة ١٥٤٨ يعقوب بن

---

١ · الازي بالزاء المشددة

حنا الاهدني المكنى بابن الكسار [١] (وكان ترجماناً في دير صهيون) في محلة الرحبة بالقرب من كنيسة الخضر · وفي سنة ١٥٩٨ اشترى يوحنا ابنه الذي خلفه في الترجمانية عند رهبان الافرنج من الحاج محمد ابن الحاج رجب المشهور بابن ازي قسمه وقسم اخيه من البيتين الكائنين بقرب كنيسة مار جرجس التي للموارنة [٢]

وفي سنة ١٥٥٩ نهى السلطان سليمان رهبان الافرنج عن سكنى العلية الصهيونية فالتجأوا الى ترجمانهم يعقوب بن يوحنا بن الكسار الاهدني وسكنوا في داره السابق ذكرها امام كنيسة مار جرجس المارونية · فاتفق ان عبداً مختل الشعور سقط في بئر الكنيسة فخاف الرهبان المارونيون ان يتهموا بقتله وهربوا فقام بعض الاقباط ودفعوا الغرامة التي حكم بها عَلَى الكنيسة واستولوا عليها · فحركت الغيرة الطائفية البطرك موسى العكاري واخذ امراً من مصطفى باشا والي الشام ومن السلطان سليمان نفسه الى والي القدس عَلَى ان يسمع دعوى البطريرك ويمنع القبط عن تعديهم · وسافر البطريرك موسى بذاته ومعه الدراهم اللازمة لاسترجاع الكنيسة فبرَّد عزمه رهبان القدس وردُّوه عن قصده واقنعوه بترك الدعوى المشار اليها وباستبقاء الدراهم التي معه واتفقوا ان كهنة الموارنة يقضون امورهم

---

١ · ومن نسله بقية في يافا

٢ · عن سجل الدويهي المحفوظ في الخزانة البطريركية · اما دار الازي فتعرف بهذا الاسم الى يومنا هذا وموقعها تجاه خان الاقباط وفي دفاتر الحكومة تعرف بحارة لموارنة حتى الان

الدينية عند اللاتين في كنيسة المخلص بدلاً مما كان لهم من الحقوق في العلية الصهيونية وانه اذا حدث شيء عَلَى الافرنج تبقى كنيسة المخلص بيد الموارنة لكونهم من تبعة الدولة العثمانية . فعدل البطريرك عن استرجاع كنيسة مـار جرجس لان الموارنة كانوا اضحوا جماعة قليلة في القدس واشترى داراً كبيرة بالدراهم التي معه [١] وعند تولي البطرك اسطفان الكرسي الانطاكي وكل ادارة هذا المحل الى ابي جرجس رعد العاقوري

وعدا الاماكن التي اشتراها الموارنة بمالهم كما قلنـا كان لهم مغارة الصليب واربعة مذابح اخر في كنائس الافرنج الاربع كما رواه جبرائيل ابن القلاعي في رسالته الى البطرك شمعون الحدثي المحفوظة الى يومنا هذا وجبرائيل المذكور يقول ان استيلاء الموارنة عَلَى المذابح المذكورة من عهد الملكة سنصا التي اشترت بعض الاماكن المقدسة بعد خروج الصليبيين وسلمتها الى رهبان مار فرنسيس وشهادته لا تُرد لكونه من ارهبنة المذكورة

في سنة ١٦٩٥ في ١٠ تموز سام الدويهي قسيساً عَلَى مغارة الصليب المذكورة داود بن ابرهيم شاه المقدسي . وسنة ١٧٠٠ في ٢٨ اذار سام على المذبح عينه توما الحصروني القدسي كما اشرنا في موضع آخر [٢]

---

١ . تاريخ الدويهي سنة ١٥٥٩

٢ . وقد عثرنا على كتاب قداس الكتابة الاتية بخط الدويهي نفسه : وجه تحرير الاحرف هو اننا ارسلنا مع ولدنا العزيز القس توما القدسي كاس وصينية وطبليت وهذا كتاب القداس ونويسة مذهبة لاجل استعمال اولادنا الكهنـة في القدس الشريف . ما احد معه اجازة من الله ولا من حقارتنا يبيعهم ولا يتطمع عليهم ولا

هذا ما كان عليه الموارنة في القدس قبل حلول الخلاف بينهم وبين رهبان الافرنج . فان نظرنا الى ما خدموا به طائفة اللاتين بعد خروج الصليبيين او الى تعلقهم بعروة الدين الكاثوليكي او الى اجتهادهم في نشر الايمان الصحيح بين الملل المتفرقة اخذنا العجب من صنيع الرهبان المذكورين. وقد ترك لنا الدويهي خبر ما جرى في ايامه وشهادته عندنا هي عين الحق . قال ان سادات مجمع نشر الايمان مراعاةً للظروف امروا رهبان مار فرنسيس ان يتقنوا درس اللغة العربية ليداوموا علَى حراسة الاماكن المقدسة وخدمة الذين يأتون اليهـا زائرين ولما عانى بعضهم درس هذه اللغة وجدوا ان تعلمها شاقّ عليهم قليل الفائدة لكون نصارى المشرق مقيمين تحت طاعة بطاركتهم . فاسترضوا قاضي المدينة المقدسة واخذوا منه امراً بتاريخ شهر نيسان ١٦٨٧ يبيح للنصارى الانتقال من مذهب الى آخر . فتعهد رهبان القدس لنصارى بيت لحم وغيرهم انهم يحملون عنهم ثقل المكوس ويقومون بخدمتهم الدينية مجاناً ويعفونهم من تأدية العشور ويجعلونهم في الوظائف عندهم [1] . فانحاز اليهم كثيرون من الروم والارمن والسريان وغيرهم والزموهم بالطاعة لرئيسهم وبأن يتكنوا بالافرنج تاركين اسمهم وعوائدهم القديمة . وصارت هذه الحوادث برضى وسعي مشيري [2] الرئيس في مدة

يغيرهم من القدس الشريف . حرر بدير قنوبين في ٢٠ من شهر نيسان المبارك من شهور سنة سبعمائة والف . اه

١ . هذه الانعامات جارية حتى يومنا

٢ . يسميهم الدويهي المحدّين تعريب Definitores . وكان الرئيس انجليكو داميلانو توجه في اذار ١٦٨٨ لحضور المجمع العام

غيابه . ولما لم يوافقهم عَلَى ذلك نائب الرئيس واسمه بولس ميليونيكا حطوه عن وظيفته واقاموا موضعه اخر غيره . فكتب هذا لوحاً ونشره في الكنيسة وحرم به كل من يدخلها ولا يتمسك بعوائد الكنيسة اللاتينية ولم يقض بهذا الالزام عَلَى المرتدين من الطوائف فقط بل اوجبه عَلَى الملة المارونية ايضاً حتى انه اطلق عقوبة الحرم عَلَى من صام صيام الرسل ومنع الانقطاع عن الزفر يوم الاربعاء كعادة الكنيسة الشرقية

قال الدويهي : فتفاقمت حينئذٍ القلقلة والسجس والشتم والكفر . ولما بلغتنا هذه الاخبار كاتبناهم بالاّ يعارضوا طائفة الموارنة بوجهٍ ما من قبيل انهم لم يستفكوهم من ايدي البربر ولا ردوهم من بدعة الخارجين فلم ينتصحوا بقولنا فراسلناهم ثانيةً ووجهنا اليهم اخانا المطران يوسف الحصروني رجلاً متقي الله متربياً في مدارس رومة في العلوم الرياضية واللاهوتية فمكث عندهم ثلاثة اشهر ينذرهم وهم لا يجيبونه الا بهذا لا غير وهو ان الكنيسة كنيستهم وان بطريرك الملة المارونية سلطانه على ابرشيته الانطاكية لا على القدس . ولخوفهم من ان يسبقهم احد ويكتب فيهم الى رومة انفذوا رسلهم ورسائلهم الى هناك عَلَى ما يريدون . اه

اما سادات المجمع المقدس فبعد التحقيق والتدقيق منعوهم عن معارضة الموارنة وامروا وكيلهم رافائيل ان يأتي بنفسه ويقدم الطاعة والخضوع للبطرك اسطفان وجرى ذلك فعلاً في شهر تموز سنة ١٦٨٩ وكان البطرك في مدينة بيروت وجاء اليه بكتابة من الورديان غريغوريوس

البرغالي [١] يعد بها البطريرك المذكور انهم لا يعودون مطلقاً الى مثل هذه الاعمال [٢] فهدأت الخواطر وظن الجميع انهم ينجزون وعدهم ولا يرجعون بكلامهم . غير انه في سنة ١٦٩٦ تقلد الرئاسة بلتصار الكلداري [٣] فكانت باكورة اعماله انه لما قدم عكا بارك مارونياً اسمه بطرس كان قد حرمه مطرانه لاجل ذنب موجب واغرى سكان عكا الموارنة وحملهم عَلَى ان يكتبوا عَلَى انفسهم وثيقة شرعية انهم راضون باختيارهم ان يكونوا لاتينيين تحت طاعة رهبان القدس ورئيسهم لا تحت طاعة بطريرك الموارنة وكهنته .

وفي اثناء ذلك حدث ان رئيس رهبان قبرس في الملاّحة حوّل ابنة مارونية عن خطيبها وزوّجها لترجمان القنصل بعد ان حمّل خطيبها الماروني خسائر كثيرة وتهدد خوري الرعية بالقتل . فلم يصبر البطرك اسطفان عَلَى هذا الافتراء ورفع الدعوى الى رومة . فصدر منها امرٌ في الثامن عشر من تشرين الاول سنة ١٦٩٧ الى رهبان القدس يردعهم عن كل تدخل في امور الموارنة وفي ما يخص عوائدهم وزيجاتهم وطاعة رؤسائهم ويتهدد المخالفين بالانتقام . وكان من الواقفين عَلَى هذا الامر الجازم فرنسيس

---

١ . Grigorio da Parghalia اقيم رئيساً في حزيران سنة ١٦٨٨

٢ . وقد ذكر في كتاب نسخه المطران جبرائيل البلوزاني مطران حلب خبر زيارته القدس الشريف سنة ١٦٨٨ وما حصل له من الاكرام من الافرنج والبادري رافائيل والظروف التي ذكرناها توضح سبب هذا الاكرام (مكتبة عين ورقه)

٣ . Baldassare Caldera اقيم رئيساً في ايار سنة ١٦٩٤

الزهري [١] الذي تقلد الرئاسة فيما بعد وبدلاً من ان ينقاد الى رسوم المجمع المقدس فاق من تقدمه تعدياً وعنتاً · فارسل اليه البطرك اسطفان سنة ١٦٩٩ المطران يوسف الشامي [٢] وكاتبه الخوري الياس الحصروني [٣] واظهر له مخالفة اعماله للعدل ووجوب خضوع الموارنة لبطريركهم دون غيره واسند قوله الى تاريخ هذه الطائفة والى براآت الاحبار الرومانيين المحفوظة في الكرسي البطريركي والى كتابات رهبان مار فرنسيس نفسهم اي فرا غريفون وفرنسيس سورياني وجبرائيل ابن القلاعي وغيرهم والى قول فرا بونيفاس في كتابه عن دوام الارض المقدسة الى ان قال: « اما من جهة كنائس القدس فان الملكة سنصة لما سلمتها بيد رهبان مار فرنسيس الصغار ما امرتهم بان ينفوا منها مستقيمي الايمان اذ يقول الرب عَلَى لسان النبي: لتنفتح ابوابك ابداً ولا تغلق لا ليلاً ولا نهاراً لتنقاد اليك قوات الامم وتساق ملوكهم · ثم اورد خبر ما فعل البابا اوجانيوس الرابع سنة ١٤٤٥ اذ اباح لرؤساء الطوائف الكاثوليكيين في جزيرة قبرس ان يخدموا الاسرار في كنائس اللاتينيين وما امر به المجمع المقدس سنة ١٦٧٣ وسنة ١٦٨٨ بخصوص الارمن والروم المرتدين الى الكثلكة · وبعد هذا ذكر باسهاب الاماكن والمذابح التي كانت للموارنة في القدس وما حدث لهم بعد ان

١ · واسمه الحقيقي فرنسيسكو دا سانتو فلورو اقيم رئيساً سنة ١٦٩٧

٢ · هذا المطران رُقي الى درجة الاسقفية في ٢٧ كانون الثاني سنة ١٦٩١ على كرسي بيروت وتوفي سنة ١٧١٣

٣ · هو عم المنسنيور السمعاني الشهير

استولى الاقباط عَلَى كنيسة مار جرجس المارونية والمعاهدات التي جرت بينهم وبين رهبان القدس الى غير ذلك من الحجج والبراهين التي تثبت حقوق الموارنة وبطريركهم · الا ان الله قسّى قلب الرئيس فرنسيس الزهري كما قسّى في القديم قلب فرعون فلم يقنع بهذه البراهين ولم يخضع لاوامر المجمع المقدس فانزل الله به محنة عظيمة وانتقم للموارنة بوجه لم يخطر لاحد عَلَى بال وهو ان بطريرك الروم حصل عَلَى امر من السلطان مصطفى يوجب عَلَى الروم الخضوع له والطاعة · ولما لم يتمكن رهبان الافرنج ان يحموا سكان بيت لحم وغيرهم بلقب الافرنج ولا ان يكذبوا ما كان معروفاً عند العموم من اصلهم الرومي اضطرهم الامر قسراً ان يلقبوا كل كاثوليكي تبعهم مارونياً لكون الطائفة المارونية من رعايا سلطان العثمانيين ولذلك سجل القاضي انهم جميعهم موارنة

فتأمل كيف يستهزئ الله العلي بمن يسخر بالعدل والحق وكيف ان رهبان القدس لما حاولوا نزع التسمية المارونية عن اهلها ادخلوا تحتها من ليس منها

وصار انه بعد عزل الزهري من الرئاسة نُصب مكانه رجل تقي حكيم يدعى اسطفان من نابولي [1] فاستدعى مشيريه وموازريه واخذ رأيهم وقرروا قبول جميع الشروط التي كان طلبها منهم البطريرك اسطفان ووقعوا اسماءهم عليها في اخر اذار سنة الف وسبعمائة · واما الشروط المشار اليها

---

١ · Stefano da Napoli اقيم وكيلاً عند سفر الرئيس فرنسيس الى المجمع في ك ١ سنة ١٦٩٩

فهي ان كهنة الموارنة يُباح لهم اقامة القداس بالبخور [١] في جميع كنائس رهبان مار فرنسيس وان ابناء الطائفة المقيمين في اورشليم وفي كل مكان هم تحت طاعة صاحب الكرسي الانطاكي وله يؤدون العشور ولهم ان يحفظوا عوائدهم في الاصوام والاعياد . وان يكون لرعية القدس كاهنان لخدمتها . وتعهد الرهبان المذكورون بانهم يقبلون كل ماروني يزور الاماكن المقدسة بكل اكرام [٢] . وفوّض البطرك اسطفان الى رئيس الرهبان المذكورين تحليل بعض وجوه الزواج على ان يُدفع الى وكيل الكرسي الانطاكي ما فرض عليها قانونًا وكانت نهاية الخلاف في الخامس عشر من نيسان من السنة المقدم ذكرها وفرح الفريقان بارتفاع الشكوك والسجس ورجوع المحبة والسلام [٣] .

ان غيرة البطرك اسطفان لم تكن متوجهة فقط نحو ابناء طائفته وحقوق كرسيه الانطاكي بل كانت تعم جميع المسيحيين وكان يجدّ بلا ملل على تعزيز الدين الكاثوليكي والمدافعة عن ابناء الكنيسة ايًا كانوا

---

١ . وكم من معبدٍ اليوم لا يسهل فيها لكهنة الموارنة الاحتفاظ بعوائد طقسهم

٢ . ان الغاء الرهبان هذا الالزام بعد شراء محل للطائفة في القدس سنة ١٨٩٣ هو نكث للعهد المذكور اعلاه

٣ . كيف بعد صرف هذه الدعوى وصدور اوامر الكرسي الرسولي مرارًا تجاسر غيرهم من المرسلين على مس حقوق رؤساء الطائفة المارونية كما جرى في حلب في بدء القرن الثامن عشر وفي الشام في عهد البطريرك يعقوب عواد . ان ذلك لمن اسرار الطبيعة البشرية

وانى وُجدوا . وقد ذكرنا تصرفه مع اخيجان وتوسطه لدى البطريرك يوحنا الصفراوي ليرقيه الى درجة القسوسية وكيف سار معه الى حلب ليساعده في الصعوبات المحدقة به . ثم انه لامرٌ مشهور ان رجوع بعض الملكيين وان لم يجرِ عَلَى يده الا انه بذل طاقته في تمهيده بصلواته ومجادلاته مع بطركهم واساقفته منها المناقشة التي صارت في دير القمر قدام امير الدروز كما رواها البطرك سمعان عواد [١] . وحضوره مجمعاً آخر عُقد في طرابلس ودُعي اليه اساقفة الروم فحضره كثيرون منهم ووقع البعض تقاريره الكاثوليكية [٢] . وعندما كان يثور الاضطهاد عَلَى المرتدين الى الكنيسة الكاثوليكية من بني جنسهم المشاقين كانوا يلتجئون اليه وكان يقتبلهم ببشاشة وهشاشة ويقدم لهم كل ما يقتضي للقيام باودهم معتنياً بهم كل الاعتناء [٣] . ولئلا نطيل الكلام بهذا الصدد نكتفي بايراد كلام الدويهي نفسه في الرسالة التي كتبها الى الاب بطرس مبارك سنة ١٧٠١ وقد اتينا بذكرها غير مرة . قال رحمه الله :

« من غير تعبنا مع طائفتنا ما تأخرنا ايضاً عن نفع الطوائف التي بجيرتنا لان المرحوم القنصل فرنسيس بيكت كان بعث عشرة مكاتيب للمرحوم البطرك حنا من صفرا حتى يرسم القس اندراوس اخيجان فما تنازل معه حتى دخلت انا بينهم وازحت عن بال البطرك الصعوبات التي

---

١ . راجع الدر المنظوم ص ٨١

٢ . راجع رسالة الاب نكي في المكاتبات البانية Lettres Edifiantes , I, 87

٣ . عن ورقة خطية للبطرك بولس مسعد

كانت تمانعه وبعد ان ارتسم مطراناً صار انه طفر لجبل لبنان ولاجل خاطر القنصل وحيته[١] الى الرجوع ورحت انا بنفسي معه وكنت اساعده في المشورة وفي كتيبة الكرز الذي كنت انا اعطيه . وكذلك لما طفر لعندنا القس اسحق وانا بطرك مسكته عندنا سنتين ورتبته ورسمته ايضاً خورياً . وعندما طفر بعد منه الى عندنا بطرس بطريرك السريان ثبت عندنا مدة من الزمان بكل عزازة وكرامة . وثم بعد المذكور التجأ الينا الخوري نعمة والقس سليمان السريان من جور بطركهم الضال . وكذلك يعقوب بطرك الارمن على مرعش عندما التجأ الينا قبلناه بكل كرامة وامرنا جماعتنا بحلب ان يقبلوا جميع المرتدين من اليعاقبة والارمن والنساطرة وغيرهم ويتلمذوهم ويقضوا مصالحهم[٢] »

فيالها من غيرة ويا له من روح رسولي . فلا اكتفي ان اشبه البطرك اسطفان بفنحاس الاسرائيلي بل اقول ان قلب الدويهي كقلب بولس الرسول في الغيرة عَلَى انجيل المسيح . في الصبر عَلَى المحن . في محبة القريب في تضحية كل شيء لاكتساب الكل . في النزاهة . في سمو الافكار في السعي وراء الخير . في الازدراء بفخاخ العدو . في كبح كل عقل

---

١ . حثيته

٢ . قد اطلعني جناب الشيخ فيليب الخازن على كتابة من المطران جرمانس حوا مطران حلب الى الشيخ بشاره جفال الخازن بتاريخ ٢ آب سنة ١٨١٩ يوصيه فيها برجل كلداني ويقول : « لا يخفى فطنتكم بان طائفة الكلدان في حلب هم منسوبون ومحسوبون في عدد انفار طائفتنا المارونية حتى في الروحيات بعلم المجمع المقدس كما تفهموا ذلك من غبطة السيد البطريرك الكلي الطوبى . » (يشير الى البطرك يوحنا الحلو .)

يتشامخ ضد معرفة الله واخضاءه لطاعة المسيح . فطوبى لمن حظي بوصاله وطوبى لشعب كان قائده وطوبى لترب ضم اعظمه الطاهرة [١]



١ . كتبنا هذا الفصل تحت التأثر الشديد مما كنا نشهده من المطاولة على حقوق طائفتنا ونحن اول من عرفوا فضل المرسلين على بلادنا السورية ونادوا به ونرجو ان لا يرى احد في مقالنا نية سوء ولا اشهار عداء على احد وان يعتبر القاري صحة الحوادث التي روينا وعاطفة غيرة على حقوق مقررة مشروعة فاذا اعتبر ذلك تركنا له الحكم المطلق : وللقاري في الغالب اصابة راي ما يبسط لديه ومنه ينتظر الانصاف والاعتدال اذا تعداهما رجال الماضي او مؤرخ اعمالهم

الفصل الثامن

في تدبيره الكرسي البطريركي

وسياسته الطائفة

قلنا ان الدويهي ورث من سالفه البطريرك جرجس مع الاضطهاد والتعب ديوناً باهظة سبّبها للكرسي البطريركي جور الحكام وتقلبات الاحوال والوباء الذي فشا في عام ١٦٧٠ وخُطف به البطريرك جرجس. وقد ترك الدويهي في دفتر كتب فيه بيده الطاهرة دخل الكرسي وخرجه وديونه وتبرعاته من يوم تسنم السدة البطريركية الى حين وفاته. وكان مجموع الدين الذي خلفه البطريرك جرجس الف وثلاثمائة وستة وتسعين قرشاً الاَّ شاهيتين وفي سنة ١٦٧٠ زيد عليها الف ومائة وثمانية وخمسون قرشاً لقاء مصاريف شتى وكانت الدراهم نادرة وعزيزة في تلك الاعصار ولذلك لا نتعجب من الارتباك والخوف الذي اعترى الدويهي حين تسلم زمام الطائفة والكرسي البطريركي. وفي الدفتر المار ذكره بعد رقم المبلغ المنوه به كتب هذه العبارة: «يكون جملة الدين الفين واربعماية والوفاء على الله.» والله الذي يهتم بصغار الطيور وبزهور الحقل اخذ بيد البطرك اسطفان لان افكاره جميعها وحركاته وسعيه ونصبه كان مكرساً لاجلاله تعالى وموجهاً الى اعمال البرّ. فوكل الوفاء الى الله والقى همه عليه ونهض بجدّ ويسعى في تحرير كرسيه من هذه القيود الثقيلة. ومن

اطّلع على الدفتر المشار اليه آنفاً وامعن النظر في تدقيق البطريرك وسهره عَلَى كل شيء ظنّ انه كان باذلاً كل عنايته في تدبير الكرسي وارزاقه وصارفاً نظره عما سوى ذلك ٠ وربما يسأل سائل عن اسباب المصروف مع ما كان عليه الدويهي وسكان دير قنوبين من النسك في معيشتهم فنقول ان هذه الاسباب عديدة نذكر منها :

اولاً عدد رهبان الدير ٠ لان الكرسي البطريركي ما كان في ذلك الوقت كما هو في ايامنا فقط اي مركز ادارة الطائفة ومقاماً يتفرغ اهله لسياستها في الروحيات والزمنيات انما كان في الوقت نفسه ديراً كبقية الاديار الرهبانية يعيش فيه ما عدا البطرك وبعض المطارين عدد وافر من الرهبان والنساك وقد ذكر دلاروك في خبر رحلته الى جبل لبنان سنة ١٦٨٩ ان رهبان دير قنوبين كانوا ينيفون عَلَى الثلاثمائة [1] ٠ ولا جرم بان الرهبان كانوا يحرثون ويقيمون الارزاق الا ان كثيرين بينهم كانوا في المحابس وخرجهم على الدير وغيرهم كانوا عاجزين عن العمل وغيرهم متفرغين لاشغال شتى لما كانت توجبه الظروف عَلَى كل احد ان يكفي ذاته ويقوم بأوده ولا يستعين بغيره عَلَى الحاجات لصعوبة المواصلات وقلة الامن ٠ ومن البحث في دفتر حسابات الدويهي وجدنا ان عدد الذين كانوا مقيدين بخدمة الكرسي كان يفوق العشرين ٠

ثانياً جور الحكام وقد اشرنا الى ذلك غير مرة والان نقول بالتصريح

---

١ ٠ وربما دلّ بهذا العدد على كل رهبان الوادي المقدس والاديار المجاورة ٠ راجع خبر رحلته ووصف دير قنوبين

انه لم يكن باطلاع الدولة العلية بل خلافاً لاوامر السلاطين وخفيةً عنهم وكان البعد وعسر المواصلات اهم مساعد علَى الجور. وقد ذكرنا ولا نخشى المراجعة كيف ان جمع الاموال المفروضة علَى البلاد كان سبب الحروب والفتن وكيف ان الحروب كانت تزيد الضرائب وتجلب البلايا علَى الرعية وتصيب اضرارها البطريرك قبل الجميع. وكان آل حمادة اذا افلسوا واعوزوا طلبوا من البلاد ومن البطريرك اضعاف ما كان مرتباً عليهم وان أبوا ركبوا برجالهم والجأوهم الى الفرار الى بلاد بعيدة او الى الاختباء في الاودية والمغاور او احرقوا مقرهم واخربوه. وهذا كان سبب فرار الدويهي مراراً الى كسروان والشوف ودام الامر كذلك الى ان البطرك اسطفان رفع شكواه الى المرجع الاعلَى فابرز السلطان احمد فرماناً الى والي طرابلس وقاضيها يأمرهما به الا يطلبا من دير قنوبين غير ما هو معين في الدفاتر القديمة والا يسمحا ان يؤْخذ منه زيادة عن ذلك والا يتعرض احد للبطريرك ورهبانه. والفرمان الشاهاني المذكور محفوظ الى يومنا في الخزانة البطريركية وهذا مؤَداه:

« نعرفكم ان رافع هذا الفرمان اسطفان بطريرك الموارنة في دير قنوبين التابعة ايالة طرابلس من جبة بشراي قد قدم عرضحال الى سدتنا العلية بخصوص الحقوق والرسوم اللازم دفعها واداؤها بموجب الدفتر والقانون فانني راضٍ بادائها وتسليمها كالعادة لكن الضابطين لم يقنعوا بذلك بل دائماً يطلبون زيادةً عن الدفاتر المعتادة ولأجل هذا التعدي والضرر أُنهي الينا بذلك لاجل رفعه ودفعه فبحسب التماسه اصدرنا هذا

الامر الشريف الحكمي وتفضلنا به عليه فعند وصوله تراجعون صورة الدفتر المهور الخاقاني الجديد وتنظروا المطلوب منهم والذي يلزم اداؤه وتسليمه من حقوق ورسوم عَلَى موجب القانون والدفتر . ومن بعد دفع ذلك وتسليمه لا تطلبوا منهم زيادة ولا تتعدوا عليهم واذا طُلب منهم زيادة تمنعونها وترفعونها ولا تدعوا احداً يخالف القانون والدفتر وامرنا هذا الهمايوني والذين ليس لهم مدخل في القضية المذكورة لا تدعوهم يعارضون ذلك . والذي يقاوم ويخالف امرنا تكتبون لنا اسمه ورسمه مع الواقع وتعرضوا ذلك علينا . ومن هذا الخصوص لا تجاوبوا (ناقلي امرنا هذا) : ان نحن ايضاً بيدنا امراً . فهذه الحجة لا تحتجوها . اعلموا ذلك واعتمدوه غاية الاعتماد . تحريراً في اوائل شهر جمادى الاخرى سنة ثلاثة عشر ومائة والف . حرر في ادرنه »[1]

ومن اسباب زيادة مصاريف الكرسي نذكر ثالثاً التنقل من محلٍ الى اخر والحوادث الفائقة العادة مثل تسفير القصاد الى رومة والتلامذة الى المدرسة الرومانية فترى البطرك اسطفان يذكر بكل تدقيق اكلاف سفر التلاميذ فيكتب عن بطرس مبارك وصافي القدسي من شننعير اللذان توجها مع الخوري يوسف شمعون : « اجرة سفر الاولاد خمسون قرشاً »

---

١ . ان هذا الامر الشاهاني وغيره من الفرمانات الملوكانية المحفوظة في الكرسي البطريركي توضح ان الدولة العلية وسلاطينها اعتبروا دائماً الطائفة المارونية من اخص رعاياهم في هذه الديار وعرفوا بطركها ومطارنتها بدرجاتهم المختلفة ووضعوهم بكتابات متعددة في ظل حماية خصوصية دافعين عنهم اذى الغريب والقريب معلنين بكل ذلك صدق اخلاصهم وثبات تعلقهم بالعرش الهمايوني . اقتضى بيانه هنا تذكيراً لقوم ينصفون

غيره : لاجل سفر القاصد القس يوسف شمعون خمسون قرشاً · وفي محلات اخرى : « كلفة عمار بدير مار شليطا مقبس في كسروان سنة ١٦٧٢ نحو مائتين قرشاً · الى الخوري الياس الحصروني لما سافر الى رومة ··· الى القس جبرائيل حوا ··· الى التلاميذ الذين ذهبوا سنة ١٧٠٣ ··· » وهلمّ جرًّا · فمن الامثال التي احببنا ايرادها لافادة القاري يظهر ان المصاريف كانت باهظة خصوصاً اذا قابلناها مع الدخل لاننا نرى مثلاً مبلغ دخل قرية مجدل معوش التي استأجرها البطرك وسكن فيها كما قلنا عن سنة كاملة ثلاثماية وثلاثة وستين قرشاً فتأمل

ولتبيان حسن ادارة البطريرك اسطفان نصف للقاري دفتر حساباته الذي اخذنا عنه ما سبق وان لم يكن الكلام كالنظر فانه رحمه الله ما كان يستصغر امراً ولا يغفل عن شيء رغماً عن اشغاله العمومية وعن اعتنائه بجمع التواريخ وتأليفها وتنقيح كتب الطقس · فالدفتر المذكور عبارة عن مجلد كبير القطع ضخم الحجم من الورق العبادي وصفحاته مقسمة جداولاً لكتابة الامور المختلفة دخلاً او خرجاً · وفي اوله حساب الديون القديمة والحديثة مع بيان وفائها ويليه دفتر الحرير ثم دفتر دخل عشور الرعايا · ثم بيان الخدَم اي التقادم التي توزعت وقت الرسامة وتبلغ مائة وعشرين قرشاً · ثم مصاريف سكان الدير من ثياب وغيره ويذكر معها ثمن ثيابه الخصوصية · وفي محلات شتى قيد احسان لام البطرك ومبلغ الاحسان المذكور عن سنة ١٦٧٢ مثلاً ثلاثة قروش او اربعة وفي غير موضع يدعوها الوالدة فقط · ثم تفصيل دفع الاموال الاميرية · ثم بيان

مصروف الدير ابتداؤُه من ٢٣ ايار سنة ١٦٧٠ اي يومين بعد ارتقاء الدويهي الى البطريركية وفي تفصيل ذلك ترى البطرك لا يغفل عن ادنى الامور · ثم مصاريف الشغل في ارزاق الدير ثم دفتر اجرة المستخدمين في الدير · ثم بيان توزيع كؤُوس للقداس وقوالب لخبز القربان وغير ذلك من الاحسانات · وترى ان احسان الدويهي كان يشمل الطائفة جميعها وهناك ذكر لاكثر القرى من مرج عيون وسغبين والقدس الى عكار وحلب وقبرس

ولم يقنع الدويهي بحسن ادارة الكرسي البطريركي بل اراد ان يزيده وينمي ارزاقه لا طمعاً بالرزق كما يفعل جهال الناس بل رغبة في القيام باعباء وظيفته وبالحمل الثقيل الذي قبله من يد الله ولذلك طلب من البابا اينكنتيوس الحادي عشر ان يحسبه كأحد اساقفة البلاط الروماني ويمد له يد المساعدة ليقوم بمهمته الثقيلة ويعزز طائفته والدين الكاثوليكي في الاصقاع المشرقية · وكان في كل فرصة يشتري ما قدر عليه كما فعل سلفاؤُه وخلفاؤُه حتى يتركوا للبطريركية لا بل للطائفة الثروة التي هي عليها في ايامنا ويمكنوا خلفائهم من ان يكفوا ذاتهم ولا يلتجئوا الى احد كالمعوزين لئلا تنحط سلطتهم في اعين الناس · وقد امر البطريرك اسطفان ان تنسخ في السجل المعروف باسمه صكوك ارزاق الكرسي وتحفظ اوراقها الاصلية خوفاً من غدرات الدهر [1] وبين

---

١ · وقد امر غبطة بطريركنا المبجل مار الياس بطرس الحويك بتنظيم سجل جديد جُمعت فيه صكوك ارزاق الكرسي البطريركي من القديم حتى يومنا هذا

الحجج المذكورة صورة ما اخذه للكرسي بالشراء الشرعي في حدشيت وسرعل وطرابلس واصنون وكيف اخذ قسماً في مصبنة باب الحديد في طرابلس من يوسف بن الخوري عبد الله الدحداح وكيف حرّر ما وقفته ام الياس مريم بنت جرجس الملقبة بالحرفوشية بنت عطور من العاقورا في مصبنة العزقية في طرابلس من دعوى بعض مشائخ العاقورا

فالدويهي ما كان يبني ليقال عنه انه بنى ولا يشتري الارزاق ليقال انه اقتنى بل ما كان يعمله انما كان يعمله قياماً بواجب وظيفته وخدمة لطائفته كما يقرر عن ذاته والحق يقال ان المراكز العالية يقتضي لها توفر الوسائط المادية وبغير ذلك يعجز اصحابها عن القيام بواجباتهم المتنوعة . ناهيك عن الفقراء الذين يعولوهم سراً والمشروعات الخيرية التي يساعدون عَلَى اتمامها والاعمال العائدة لخير الجمهور التي يأخذونها عَلَى عاتقهم ولا يدري بها سوى فاحص الكلى والقلوب . فان جمعوا فللطائفة او انفقوا فلها . فمن ذمّهم بغير فحص وتدقيق اخطأ واولياء الامور ادرى بالاحوال ظاهرها وباطنها

والحق يقضي بان نقول ان شراء الارزاق والاعتناء بالزمنيات ليس بمديح يليق بشخص كالدويهي ولا يخدعنا اعتبار بعض معاصرينا لبعض الاكليريكيين لاجل امور كهذه وثناؤهم على من اشترى فسحةً من التراب او رفع عدداً من الحجارة وبنى بها بناء شاهقاً او جعله ديراً رائقاً . فما التراب الا تراب ولا الحجارة سوى مادة لا قيمة لها ولا الاديار شيئاً الا بسكانها ولا يزين الانسان سوى اعماله المبرورة . فاعمال الدويهي اكثر

واشهر من ان نعددها لانه رفع الطائفة المارونية الى اعلى شرفٍ بلغته في الفضيلة والتدين وزينها بعلمه السامي ومشروعاته الخطيرة كما سنذكر ذلك في الفصول التابعة · والان نقول بعد ان تكلمنا عن تدبيره وسياسته الامور الزمنية انه صرف عنايته ومجهوده في بنيانها الروحي وتثقيفها في الاداب المسيحية فانه من حين رجوعه من رومة لم يُضع ساعةً من الزمان ولم يصرف النظر عن نفعها · فاول عمل ذكرناه تفضيله الرجوع اليها على البقاء في اورباثم اوضحنا كيف كرّس ذاته وقواه وعمله لخيرها في تعليم الاولاد وفي ارشاد الشعب وفي التجول في جميع انحائها في لبنان وخارجاً عنه · وبعد انتخابه بطريركاً واقترانه الروحي بالكنيسة الانطاكية اعطى نفسه لها وبذل في سبيل خيرها عقله وتعبه وحياته · وكان اثناء تجوله اذا وجد كتاباً او عبارة تخالف صحة المعتقد الكاثوليكي تمحهُ وصححهُ · واختار له اعواناً ماهرين ليساعدوه على تصحيح كتبها وطقوسها واعطاهم همته ونهضته · واذا وجد خبراً او فقرة تاريخية على المصاحف القديمة او في الاديرة او على الحجارة الاثرية كان يقتطفها ويجمعها ويدونها في تواريخه الملآنة فوائد الجامعة شتات اخبار هذه البلاد · وما كانت تقلبات الاحوال لتمنعه عن الكدّ والعمل حتى في المغاور والبراري التي كان يلجأ اليها · وجُلّ عنايته كان باقامة رؤساء مزدانين بالعلم والفضائل الاكليريكية وكان يرسلهم الى الرعايا في كل سنة ليوزعوا كنوز الاسرار والتعليم ويبثوا فيها روح الانجيل الطاهر · فهم هم الذين حفظوا الطائفة في نقاوة السيرة وسلامة القلب وبرارة الاعمال وزرعوا فيها المبادىء القويمة والعلوم

الصحيحة واذا كانت الامم تشيد تماثيل للذين زادوا ثروتها المادية او كشفوا عن اسرار الطبيعة او نشروا اثار الاجيال الغابرة شكراً لافضالهم وتنشيطاً للخلف فاي شكر يليق برجل كالبطريرك اسطفان الذي اغنانا بمعارفه ورفع عن عقولنا برقع الجهل وعلمنا الاسرار الالهية واقام من قبر النسيان تواريخنا وناضل عن شرف اعتقادنا وردّ عنا سهام الاخصام . فيحق علينا ان نرفع له تمثالاً في قلوبنا ونذكره دائماً في مقدمة ابائنا الذين علمونا كيف نكون ابناء الله

ان اكبر مناقب الرؤساء المتولين تدبير الشعوب هي علم الناس وتمييز الاشخاص . وعظام الدنيا كانوا عظاماً برجالهم وحاشيتهم لان كل ما يعمله الجندي ينسب الى قائده وكل ما يأتيه المرؤوس يعود على الرئيس بالثناء او الذم . وبهذا ايضاً كان الدويهي كبيراً لان اكبر علماء الطائفة وأجلّ احبارها اما انه عرفهم ونشطهم او رباهم وقدمهم او رقاهم وكافاهم . فهذا مرهج بن نمرون الباني يقر في كتبه بما تفضل عليه به الدويهي من الفوائد والارشادات وقد تركه في رومة العظمى يدافع ويناضل عن الطائفة [1]

---

١ . ومرهج هذا كان ابن مخائيل نمرون من بان دخل المدرسة سنة ١٦٤٠ وهو ابن خمس عشرة سنة ورجع الى لبنان مع الخوري مخائيل الحصروني الذي جاء بالتثبيت للبطريرك يوحنا الصفراوي سنة ١٦٤٩ . وكان البطريرك في بكفيا فرقاه الى القسوسية وبعد مدة جعله وكيل الكرسي الانطاكي في رومة فبذل جهده في خدمة الطائفة . قال الدويهي وكان طويل النظر رزين العقل واستمال الى محبته اصحاب البلاط الروماني واقيم معلماً للغات الشرقية وتوفي سنة ١٧١٢ او في اواخر ١٧١١ وصنف كتاباً في اصل الملة المارونية وصحة ايمانها وكتاب رد على آراء

وهذا بطرس بن مخلوف الغسطاوي اخذه كاتباً في الكرسي البطريركي ثم رقاه الى الاسقفية على كرسي قبرس وكان مساعداً له في تأسيس الاديار وتهذيب الكتب الطقسية ·

وهذا يوسف شمعون الحصروني الذي تقلد اليازجية في عهد البطريرك جرجس ثم انفذه البطريرك اسطفان الى رومة وسامه اسقفاً عَلَى مدينة طرابلس فخدم الكرسي والطائفة بكل نشاط وتجرُّد ومات غنياً بالاعمال الصالحة ونال جزاء اتعابه مع الرعاة الصالحين

وهذا بطرس التولوي كاروز مدينة حلب الفيلسوف الماهر واللاهوتي المحقق افاد الطائفة والمشرق بعلومه وتآليفه وسعيه في الخير وتتلمذ له جبرائيل فرحات وكثيرون غيره من الذين نهتدي بنور معارفهم الى يومنا هذا ·

وهذا بطرس بن مبارك الغسطاوي العلامة الفاضل الذي اشتهر بين جهابذة المغرب بمعارفه وأسس للطائفة مدرسة عينطورا الاكليريكية واوقف عليها كل ما جمع في غربته

وهذا يعقوب ابن الخوري يوحنا عواد الحصروني الذي خدم الكرسي بصفة كاتب ولاجل ذكائه وحكمته ورشاقة عبارته رقاه الدويهي الى البردوطية ثم الى الاسقفية عَلَى مدينة طرابلس وكان ذا همة كبيرة حتى ان الدويهي قال عنه انه جاهد قدامه جهاد الابطال

اصحاب البدع الغربيين من تآليف وشهادات الشرقيين · ومقالة عن شجرة البنّ ونفع القهوة الخ · وكان له اخوان نقولا ويوحنا درسا في المدرسة الرومانية مثله

وكم غيرهم من الاحبار الصالحين لا يسعنا اطالة الكلام عنهم كجبرائيل البلوزاني مطران حلب الذي خلف الدويهي في البطريركية وجرجس حبقوق البشعلاني مطران العاقورا قدوة الفضل والنزاهة · وبولس الدويهي مطران اهدن الذي اقتفى آثار نسيبه في عمل الخير وتبعه الى منفاه في الشوف · ويوسف مبارك الريفوني مطران صيدا الذي ترك العالم وترهب مع والده واخوته في دير مار سركيس ريفون ونشر بنود العيشة النسكية واجتهد في جمع الكتب ونسخها · وجرجس بن عبيد الاهدني الذي خلف المطران بولس عَلَى كرسي اهدن وعكف عَلَى الوعظ وارشاد الرعية وصار قدوة الصلاح · وغيرهم كثيرون

وكان من عادته ان يستدعي لخدمة الكرسي البطريركي كهنة افاضل وعلماء من تلامذة رومة وكان يرقيهم الى اعلَى الرتب عارفاً بذلك اتعابهم وخدمهم ومعلناً تعلقه الشديد بالمدرسة الرومانية امه وامهم تنشيطاً لغيرهم عَلَى الاجتهاد في اقتباس العلوم لئلا تخيب آمال الطائفة بهم · فمن الذين قاموا بخدمته الخوري يوسف شمعون الحصروني الذي تقدم ذكره ويعقوب عواد الحصروني ويوسف بن اسكندر القرطبي والياس عواد الحصروني [1]

فيعقوب ابن الخوري يوحنا عواد ذهب الى المدرسة سنة ١٦٧٠ وهو ابن عشر سنين وبعد ان اتم دروسه رجع الى لبنان مع باخس الدويهي الاهدني سنة ١٦٨٢ · ووجدت في كتابة اخرى انه رجع في منتصف اذار مع الشماس انطون الهدناني والياس بن جبرائيل البشراني واخذ يعلم

---

١ · اي الياس شمعون وهو عم يوسف شمعون السمعاني

الاولاد في حصرون الى ان رقاه الدويهي في سنة ١٦٨٥ في اليوم التاسع من شباط الى القسوسية عَلَى مذبح كنيسة مار لابا حصرون · وفي السنة المذكورة ارسله الدويهي الى رومة ومعه ستة اولاد للمدرسة ورجع منها في اوائل كانون الاول من السنة عينها فدعاه الدويهي اليه وعينه كاتباً ثم رقاه الى البردوطية عَلَى دير قنوبين في ١٩ تموز سنة ١٦٩٣ والى الاسقفية عَلَى كرسي طرابلس في اليوم السادس من تموز سنة ١٦٩٨ بعد وفاة المطران يوسف شمعون · وكان حسن الخط في السريانية كما تشهد بذلك الكتب التي نسخها[1] بيده فصيح العبارة في الانشاء العربي نظراً الى هاتيك الايام · قال عنه نسيباه سمعان عواد ويوسف شمعون السمعاني في كتابهما عن البطاركة انه كان من اعزّ اصدقاء البطريرك مار اسطفانس وان البطرك المذكور ما كان ليفعل شيئاً بدون مشورته وانه كان رفيقه في كل الشدائد والبلايا · وقال لكيان في كتابه المشرق المسيحي المجلد الثالث منه في معرض كلامه عن بطاركة الموارنة مسنداً روايته الى ما اخبره بعض ابناء الطائفة والى ما كتبه احد الافرنج القاطنين طرابلس انه كان متوسط العلم لم يستفد كثيراً من اقامته في رومة غير انه سبق غيره في تسوية الخلف وحل المشكلات وبرع بالمراسلات في اللغة العربية وكان طويل الباع في السياسة محب المجد العالمي[2]

---

١ · في خزانة البطريركية كتاب شرح التكريسات والشرطونية للدويهي بخط يعقوب عواد

٢ · راجع لكيان في الموضع المذكور

وقد يسوغ لنا ان نفضل شهادة الدويهي عَلَى رواية لكيان ونرفض ما قاله بحق يعقوب عواد الذي كتب عنه البطريرك اسطفان انه : جاهد قدامنا جهاد الابطال في اليازجية ونسخ الكتب وارشاد الرعية التي تسلمها [١] : والمطران يعقوب عواد المذكور ارتقى السدة البطريركية بعد البطرك جبرائيل البلوزاني ووقع في ايامه الاختلاف بين الروءساء والطائفة الى غير ذلك من الحوادث التي لا محل لذكرها الان

اما يوسف بن اسكندر القرطي فذهب ايضاً الى رومة سنة ١٦٧٠ مع يعقوب عواد وكان عمره وقتئذٍ اثنتي عشرة سنة · وكان رجوعه الى لبنان مع جرجس بن سركيس عبيد الاهدني سنة ١٦٨٣ · وحال رجوعه عيّنه البطرك اسطفان كاتباً لاسراره وسامه قسيساً عَلَى مذبح سيدة قنوبين في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٦٨٧ · الا انه لم يُطل الله عمره وخطفه الوباء في اليوم العشرين من ايار سنة ١٦٩٣ وترك ذكراً طيباً في الكرسي البطريركي لانه كان مطيعاً لين العريكة طاهر الذيل · وبعد وفاته بقي الخوري يعقوب عواد في اليازجية الى ان صار مطراناً عَلَى طرابلس ثم رجع من رومة الياس شمعون ابن الخوري يعقوب عواد الحصروني (غير كاتب اسرار البطرك) الذي كان ذهب الى المدرسة الرومانية سنة ١٦٨٥ في شهر ايار وعاد منها سنة ١٦٩٧ فسامه الدويهي قساً عَلَى كنيسة السيدة في حصرون (وفي رواية اخرى على كنيسة مار لابي) · وسنة ١٧٠٠ رقاه الى درجة البردوطيـة وارسله الى رومة لقضاء بعض مصالح

---

١ · في تاريخ تلامذة رومية

الكرسي ثم الى فرنسة لاجل تجديد الحماية له ولطائفته والتمس من ملكها التوسط لدى الباب العالي حتي يكون جبل لبنان تابعاً لولاية دمشق وذلك لينجو سكانه من الظلم الذي كان اوقعه بهم ابن علم الدين اليمني الذي اغتصب الحكم بعد الامير احمد معن

ومما يجدر بنا ذكره تصرف الدويهي في الرعية وسهره على نجاحها وتقدمها في الروحيات وقد قلنا في مكان اخر كيف ان الطائفة كلها كانت تحت تدبير البطريرك وكيف ان المطارنة والاساقفة كانوا معاونين للبطريرك ليس الاَّ وهو كان يرسلهم كل عام ليتفقدوا شؤُون الرعية ويوزعوا الاسرار المقدسة فكان ينظر الاماكن الاكثر احتياجاً ويرسل اليها رعاة غيورين وكهنة افاضل يكل اليهم رعاية النفوس وتعليم الشعب ٠ وكان ينتظر بفرح قدوم الكهنة الراجعين من مدرسة رومة ويوزعهم عَلَى القرى الاشد احتياجاً الى تعليمهم ومعارفهم اوجودها بقرب الطوائف المشاقة وبين الامم المختلفة ٠ وكانت حكمته وغيرته على انجاح الطائفة تميل به الى جهات كسروان والشوف حيث كان الموارنة قليلي العدد وقد حذا حذوه خلفاؤُه في الكرسي الانطاكي وذلك انهم لما رأوا الطائفة متكاثرة في مهدها اي في المقاطعات الشمالية بذلوا عنايتهم بنشرها في بقية المقاطعات البعيدة وصرفوا جهدهم الى تعزيزها والحوادث التي جرت مذ ذاك العهد اظهرت اصابة رأيهم وحكمة تدبيرهم ٠ والذي ساعدهم عَلَى اجراء ذلك ما كان عليه الامراء المعنيون من الحلم والعدل والميل الى الموارنة اذ رأوهم خبيرين بحراثة الارض لا يبالون بالاتعاب ولا يهولهم هائل وخبروا

امانتهم وعدم تقلبهم مع انقلاب الاحوال والظروف · والله عزّ وجلّ بعنايته الابوية دبر كل شيء ومهد الصعوبات بتقدم الاسرة الخازنية ونفوذها عند الحكام والشعوب

قلنا ان الدويهي كان ينتظر بفروغ صبر ويقتبل بفرح عظيم تلامذة ررمة وفي هذا المقام نثني اطيب الثناء عَلَى هولاء التلامذة احياءً لذكرهم واقراراً بفضلهم عَلَى الطائفة جميعها ليس فقط بتآليفهم التي ملأوا منها المكاتب وخلدوا بها لذاتهم وللموارنة ذكراً يردده العلماء بالثناء والشكر بل ايضاً وخصوصاً باعمالهم الكهنوتية وطهارة سيرتهم وغيرتهم · فهم الذين رفعوا الاكليروس الماروني الى المنزلة التي هو فيها الان والى الاعتبار الذي حازه ولم تزعزعه صروف الدهر وطوارقه · ومما يستوجب الذكر في تصرفهم هو ان الكثيرين منهم كانوا يأخذون من مركز التمدن المسيحي ومنبع العلم شهادة الملافنة ويحرزون قصبات السبق عَلَى اقرانهم وعند رجوعهم الى وطنهم كانوا يتسابقون الى المراكز التي يستصغرها الناس وهي عند الله وفي اعتبار اهل الدين كبيرة · ويخدمون القرى الحقيرة منيرين بضوء علمهم سذاجة الشعب كاشفين باشعة معارفهم غيوم الجهل عن قلبه و بصيرته عاملين بقول المخلص : ان حبة الحنطة ان لم تقع وتمت في الارض تبقى مفردة واذا ماتت اتت بثمار كثيرة · فبالحقيقة ان مثَلهم يخجلنا ونزاهتهم عن الزمنيات تشجبنا وعظامهم الرميمة ستكون خصمنا يوم الدين · فكم من الاكليريكيين اذا جلسوا عَلَى اخشاب اصغر المدارس وحصلوا من الكتب معرفة رفع الفاعل ونصب المفعول يحتقرون خدمة

النفوس ومشاركة ابن الله في فداء العالم بل كم منهم لا يستكبرون لذاتهم رتبةً ولا مقاماً دنيوياً او كنائسياً لجهلهم مقدار انفسهم وحدّ معارفهم

فلأجل الاستعدادات الحسنة التي كان عليها تلامذة رومة كان البطريرك اسطفان يحب المدرسة حباً جزيلاً ولا يدع فرصةً الا ويغتنمها لحث التلامذة عَلَى الجد في سبيل العلم ليستفيدوا ويفيدوا . قال البطرك سمعان عواد انه كان يعتني بهم ويدربهم ولا يحتمل من يؤذيهم ومن كان يمسهم كان كمن يمس حدقة عينه ولهذا غلب عليه لقب «أُميّة» تلاميذ رومة . فاقام منهم اربعة مطارين اي بطرس مخلوف ويوسف شمعون وجرجس بنيامين ويعقوب عواد كما ذكرنا . وعرض الاسقفية عَلَى غيرهم فأبوا . وكتب الى تلاميذ المدرسة كتابات عديدة يحرضهم عَلَى الدرس ويعدهم بمحبته وتكريمه لهم اذا افلحوا . ومن هذه الرسالات حفظ لنا البطريرك سمعان [1] الكتابتين الاتي ذكرهما :

الحقير اسطفانس بطرس البطريرك الانطاكي

ايها الاولاد الاحباء البركة والسلام لكم

يعلم الله ابو ربنا يسوع المسيح ان قصدنا دائماً استماع اخباركم المسرة وسعيكم في اكتساب العلوم وحفظ شريعة الله المقدسة . ومعلومكم انكم ما تغربتم عن اوطانكم الا رغبةً في العلوم الالهية وسائر الرياضات الروحية لان سفر الابحار وكرور الشهور والمشقة الشديدة والغربة البعيدة يطلبون فحصاً جهيداً ودرساً فريداً لتكون النهاية حسب البداية والنتيجة

---

١ . وبما انه كتب ترجمة الدويهي وهو في رومة لا بد انه اخذها عن الاصل

الناجحة ضمن المقدمات الفالحة · فاذا كنتم انتم الذين منذ نعومة اظفاركم
فضلتم اكتساب العلوم عَلَى مودة الاهل والآباء وذلك من قبل ذوقكم
اياه وقدمتموه عَلَى كل رياضة عالمية فكم بالاحرى يجب عليكم الان ان
تبذلوا جهدكم عَلَى الحصول عليه وتسهروا هجعات الليل في مسامرته
ومواظبته بعد بلوغكم اليه وذوقكم عذوبته الثمينة وكما ان الشجرة المغروسة
عَلَى مجاري المياه تستحي ان تبخل في الثمر والارض الجيدة التي تقبل المطر
البكّير والاقيس ما يمكن انها تشح بالغلة هكذا انتم المقيمون عَلَى مجرى
العلوم وتقبلون الدرس صباحاً ومساءً املنا بكم ان كل يوم تزدادون علماً
وعملاً وهكذا نحن نتعهد لكم باجلّ المراتب عندما تعودون الينا بالسلامة
موقرين بالعلوم والفضائل · واما التلميذ الكسلان الذي قضى زمان العلوم
بالكسل والتواني والاهمال فباي نوع يقدر ان يواجهنا او باي مجازاة نجازيه
الا حسب قوله تعالى : من له يُعطى ومن ليس له يؤْخذ ما لهُ : فالمراد
منكم يا اولادي الاحباء ان لا تتهاملوا في النعمة التي اعطيتموها من الله
ولا تستخفوا بما دعيتم اليه لان الرب انتخبكم من بين الوف ونقلكم الى
ما بين العلماء واجل الصفوف وكفاكم من سائر الامور والحاجات لتزينوا
نفوسكم بروح الفضائل والصالحات لتفيدوا قريبكم بعلمكم وعملكم · ونحن
عالمون ان الطريق لا تخلو من صعوبة او امتحان وتعلمون ان حياة الانسان
عَلَى وجه الارض حرب ولا فضيل الا بعد الصبر الجميل ولا يكلل الاّ من
جاهد عَلَى ما في السنّة والذهب مهما زاد تكراراً في النار يزيد بهاؤه وانتم
تعبكم راحة على غيركم · فنحرضكم بالاكثر عَلَى المحبة لبعضكم بعض والطاعة

لروسائكم ونعمة ربنا يسوع المسيح تكون معكم وتعطيكم فهماً وعلماً آمين

وكاتبه اخوكم القس يوسف القرطبي يهديكم السلام

اما الرسالة الثانية فهذا نصها :

ايها الاولاد الاكرمون

انه ما خفي عن علمكم ان الحصاد كثير والفعلة قليلون وما غربناكم عن اهلكم وبلدانكم ولا بعثنا بكم الى بلدان بعيدة براً وبحراً الا لتتعلموا العلوم الالهية وترجعوا تفيدوا غيركم وتتاجروا بالوزنات لتنالوا ضعف ارباحها لان الشرق مفتقر لمن يعلمهم ثم ويهذبهم ويعزيهم عَلَى قبول الاضطهادات الواردة من قبل عبوديتهم وفي ملازمة عبادة الله مجملاً . ولهذا فكل تلميذ يدخل المدرسة فهو ملتزم ان يجتهد بكل نشاط عَلَى حفظ ما يلتزم به نظراً الى نية اصحاب الكرسي الرسولي مؤسسي المدارس وواقفي الاوقاف نظراً الى فائدة القريب . فمن تماهل بما دُعي اليه فليلقَ في الظلمة البرانية . ولهذا ننصحكم يا اولادنا المباركون بالاَّ تضيعوا الزمان بالكسل ولا تزدروا بدرجتكم التي دعيتم اليها لانها تضاهي درجة الرسل الاطهار الذين نخبهم السيد لينذروا العالم باسره . وانتم فان الله انتخبكم عَلَى يدنا حتى ترجعوا وتتلمذوا القريب وتهدوهم بمواعظكم وخدمتكم لهم باسرار الله حتى اذا جاء رب البيت ورآكم موجودين بمنح طعام الحياة يعطيكم ما وعدكم به شبه الانصار الاطهار الذين وعدهم ان يجلسوا عَلَى اثني عشر كرسياً . واما من كان كسلاناً واهمل وزنة سيده ويلهو بأباطيل الدنيا بدل مهمات الروح فيشقيه كما وعد ويجعل حظه نار الابد في الجحيم حيث

البكاء والكلاب الجهنمي اجارنا الله من ذلك · ونناشدكم بالرب ان توعوا لذاتكم واياكم وتبديد الزمان بالباطل لان الزمان غالي · وتلازموا الطاعة لمعلميكم ومدبريكم وتعتصموا مع بعضكم بعض بكمال الود الروحي وتواظبوا الاعتراف النقي واخذ جسد الرب بنية صالحة وتجدوا بطلب الفضائل والعلوم لتستفيدوا ثم تفيدوا الغير · والذي يبلغ ما ذكرنا ويسمع كلامنا فالرب يزيده نعمةً وخيراً وله عندنا اجل الكرامات والذي دعاكم الى ما انتم بهفهو تعالى يعطيكم النعمة اللازمة لكم · تعلمون ذلك ونخصكم بسلام الرب · اه

اثبتنا هاتين الرسالتين بحروفهما كالعادة رغماً عما فيهما من الاختلال في الالفاظ والتركيب ·

ولاجل حبه الابوي لمدرسة رومة الصادر عن محبته للطائفة كلها اعتنى بكتابة تراجم تلامذتها من حين تأسيسها وتعب جداً في جمع اهم الحوادث التي تخص كلاً منهم وهذا التأليف لم تخترمه ايدي الضياع كما سنوضحه في موضع آخر عند الكلام عن تآليف صاحب الترجمة · وكان في كل فرصة يظهر حبه للاحداث الذين يضاهون سكان السماء بسلامة القلب ونقاوته وملائكتهم تعاين دائماً وجه الله كما اخبر سمعان عواد بقوله انه كان ينصحهم ويحثهم عَلَى القرآة ومخافة الله وكثيراً ما كان يصعد بنفسه الى قلايته ويأتيهم بالعنب والثمار والحلويات ويؤانسهم ويأكل معهم [1] · وقال ايضاً البطريرك سمعان عن نفسه : « وانا الحقير قد لحقني

---

١ · ان الدويهي اقام مدرسة للمدعوين الى الاكليريكية في دير قنوبين وهذه المدرسة كانت في سيدة حوقا قبلاً ويظهر ان الدويهي نقلها الى قنوبين في مدة بطركيته

تصيب من الهدايا المذكورة من يد قداسته وكان يحبني كثيراً فطلعت دفعة لقلايته فوجدته يصنّف . فقال لي : وانت اي متى تصير تصنف مثلي »
ومن بحث في سيرته واخبار حياته وجد عنده الوداعة مقرونة بالشجاعة واللين بالقوة . فكان متضعاً اكثر من صغار حاشيته لكن اذا ظهر بين الشعوب كان يحفظ بكل احاديثه وحركاته وتصرفاته مقام درجته السامية .
ومع ما اتصف به من الحلم والشفقة والرحمة كان عادلاً لا يلتفت الى احد عند وجوب اجراء العدل والقيام بوظيفته فكان المظلومون يفدون اليه من سائر الجهات وهو يقتبلهم لا كالراعي بل كالام الحنون ويقضي حاجات المساكين ويحامي عنهم اذا ظُلموا خصوصاً اذا كانوا من الفقراء . قال البطرك سمعان عواد انه لما كان يجيء اليه احد الفلاحين كان يلاقيه الى الباب ويجلسه عَلَى كرسي ويقدم له خمراً بالكاس التي كان يشرب فيها . ويقضي مصالحه ويجبر كسر خاطره ولا يصرفه الا مسروراً . وذكر عن انصافه وعدم اخذه بالوجوه ان اثنين من حلب رفعا اليه مرة امرهما وكان الواحد وجيهاً في قومه غنياً والاخر فقيراً معوزاً وكان الفقير محقاً في دعواه فاوعز البطرك الى خصمه ان يرفع عنه كل تعدٍ اما هذا فوسوس له الشيطان ان يجرب البطريرك اسطفان ويقدم له دراهم . فغضب البطريرك وزجره قائلاً انه لا يخالف الحق ولو ملأ له الوادي ذهباً . ويا له من وادٍ !

وما كانت تهزُّهُ النوائب ولا تزعزع عزمه وشجاعته كما يشهد بذلك صبره عَلَى جميع النكبات التي جرت في ايامه عَلَى الكرسي والطائفة والله

الذي يمتحن اصفياءه كما يُمتحن الذهب بالنار سمح ان البعض من المطارنة والاساقفة نفسهم تآمروا عليه وارادوا ان ينزلوه عن كرسي انطاكية وحملهم عَلَى ذلك الشيطان الذي يتنعم بايقاع الشقاق حيث يجد الالفة واطمعهم بحلم البطريرك اسطفان وقداسته . فكما ان القديسين دأبهم الصبر واحتمال نقائص القريب وما يلحقه بهم من الاذى هكذا الاشرار يأخذون فضيلة القديسين سبيلاً للطعن بهم ولمضادّتهم بدلاً من ان يحرّكهم مثل الصلاح الى خوف الله والسير في سبله وطاعته . الا ان الصبر والاحتمال يبطلان ان يكونا فضيلة اذا حلاّ محل الحزم حين يدعو اليه مقام المرء ووظيفته . والرجل السالك بموجب ضميره ودرجته لا يخاف المعاكسين ولا ينام للذين يتعدون الحكم والعدل .

فلما عرف الدويهي ما كان من المذكورين ضدّه اعلن عليهم وعَلَى كل من يقول برأيهم عقوبات الحرم وبشجاعته اطفأ نار الانشقاق . وما فعل ذلك حباً بالرئاسة والسيادة لانه اراد مراراً التنزل عن البطريركية والاستقالة منها الا ان الطائفة مانعته في ذلك . ولهذا السبب كان يتأوه كثيراً ويتنهد قائلاً : ان البطريركية حمل ثقيل لا يعرف به غير الذي جرّب [(١)]

ونذكر لمن يريد ان يعرف عزم الدويهي وشجاعته امام الحكام والرؤساء ومدافعته عن حقوق الطائفة والكرسي الرسالة الاتية التي كتبها

---

١ . عن البطرك سمعان عواد . والعجيب في كل ذلك ان الدويهي لم يشر الى هذه الحوادث حتى ولا بالتلميح في كل متروكاته التاريخية

الى احد اساقفته وكان الداعي ان احد الاساقفة طلب من البطريرك اسطفان ان يسمح له بعشور احدى الابرشيات وتوسل بالمشايخ آل خازن ظناً منه ان شفاعتهم لا تُرد غير ان الدويهي ما كان ليتساهل بحقوق الكرسي فرد طلبه بهذه الكتابة وعلل واسهب عن طريقة تصرفه بكلامٍ قوي وحجج سديدة وقد احببنا اثبات هذه الرسالة سنداً لما قلناه عن استقامة الدويهي وشجاعته واحتراماً لحقيقة التاريخ واليك نصها :

وصل مكتوبك الينا [1] وتذكر لنا ان كل الناس طلعت في شلّكم بسبب الاحوال الصائرة لاجل منع المطران جبرائيل والريفوني عن الرعايا وان حضرة المشايخ لهم عادة يتشفعوا وتُقبل شفاعتهم عندنا وعند الذين سلفوا قبل منا في الكرسي . يا اخانا اشكر اخير النورية (العشور) لصاحب الكرسي والذي يخدم الكرسي له ان يدور في نوريته ويسعى في عماره والذي لا يخدم الكرسي ما له عَلَى الكرسي حق . ولا مطارنة هذا الزمان اجل من المطران اسحق [2] ولا من المطران مخائيل

---

١ . وجهت هذه الكتابة للمطران جرجس حبقوق الذي توفي في دير ريفون في الثالث من آب سنة ١٧٠٣ . والكلام فيها عن المطران جبرائيل البلوزاني والمطران يوسف مبارك الريفوني

٢ . يعني المطران اسحق الشدراوي الذي بعد ان درس في رومة اللغات الشرقية والغربية اقتبل الدرجات الصغار من يد جرجس عميرا مطران اهدن سنة ١٦١٩ وسيم قساً وخورياً على كنيسة بيروت في السنة التالية وكان اتخذ زوجة فلما توفيت في ٢٥ اذار سنة ١٦٢٩ اقيم اسقفاً على طرابلس في عهد البطريرك يوحنا مخلوف الاهدني . وقضى نحبه سنة ١٦٦٣ في جبيل ودفن في كنيسة مار يعقوب المقطع التي

الحصروني [١] الذين كانوا علماء وصنفوا وطبعوا كتباً وكانوا قاعدين بذاتهم من غير رعية · الذي مراده منا رعية يطلع يسكن كجاري العادة في مزارع بريسات وبلوزا و كفرزينا وسرعل ويقاتل عنا قدام المشايخ والحكام · واما انه ينقر ويطير ويعمل له عشيرة وينقل رزق قنوبين الى برّا وانا ابقى اتقلى وحدي هذا الشيء لا يكون ولا عاقل يقوله · والمطران جبرائيل البلوزاني لما رسمه سالفنا [٢] عَلَى حاب ما ارسله الا بشرط انه ولو سكن في قنوبين ما يأخذ عشراً ولا قطعة الفرد من النورية · والمذكور ما عاد يعوضنا منها لا ثلث ولا نصف · والمطران يوسف (مبارك) ما وقع بيده كتاب ام عدّة (بدلة) ام كاس ام غيره الاّ وقشّه الى ريفون · ولا خسر لقنوبين ثلاثمائة قرشاً حق بغال العواقرة ولا في العام الذي مضى خسرنا كيسين دراهم للدولة وغيرهم في روحتنا لبلاد الشوف الا المذكور وتحشيره في المشايخ · ولا اتعب قلبي في رسامة المطران الفرنجي [٣] الا هو واخوه ولا

في سهل جبيل ومن اولاده الشدياق يعقوب الذي تزوج وسكن مدينة طرابلس ومن اولاد الشدياق يعقوب الخواجه طربيه الذي كان ترجمان قنصلاتو فرنسة في المدينة المنوه بها وسلالته الى الان في طرابلس وعين سبعل وايطو وضهر صفرا ومنها المطران اسحق الثاني الذي لبس الاسكيم الرهباني في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٧٣٦ في الرهبنة اللبنانية باسم طوبيا ثم سامه البطريرك سمعان عواد اسقفاً وقلده الوكالة في الكرسي البطريركي · راجع المكتبة الشرقية مجلد ١ ص ٥٥٢ ·

١ · وهو مخائيل بن سعاده الحصروني ·

٢ · البطريرك جرجس البسبعلي ·

٣ · هو البادري يوليانس راميرس الفرنسيسكاني الذي سامه الدويهي مطراناً على صور سنة ١٦٩١ ·

عمال يتطاول عَلَى رعية غيره ولا يفتن بين المشايخ و يرسم قسوساً ضد قوانين البيعة الا هو دون غيره · وهو الذي قزّز نفوس المشايخ علينا وعن اعطاء النورية · ولكن ما هو عتبه [١] لانه صار مربوطاً (مقيداً) في غير موضع يلزم يهتم فيه · وتذكر لنا عن مشافعة المشايخ نعم ان لهم كل عزازة وكرامة ولكن في المعقول بحيث لا يصير ضرر للكرسي ولا حيف عَلَى البطرك · واليوم صاروا كلهم عَلَى الكرسي وعَلَى البطرك في كل شيء حتى ان اخانا طالب النفع مني كذلك ابقى انتفع منه في عازاتي انا ايضاً · كان طلب المرحوم الشيخ ابو نادر [٢] من البطرك [٣] حتى يخّلي المطران الكرمسداني [٤] يجي كسروان سنة لا غير وانا وانت وغيرنا وقع في يده الجواب الذي بعثه اليه البطرك ملوء طلحية و يمانع عن ذلك ولا دخّله بلاد كسروان · وكذلك المرحوم الشيخ ابو نوفل كم مرة قال لي قدامك وقدام غيرك : سيدنا الكرسى كرسيك والامر امرك · متى ما وصل لك مني مكتوب شفاعة ان تحسّن برأيك كان الخير ماذا والاّ خزقه وانفر بالذي جاء به · والمرحوم الشيخ ابو قانصوه [٥] والشيخ ابو

---

١ · معاتبة

٢ · هو خازن بن صقر بن ابرهيم الخازن كاخية الامير فخر الدين المعني وكانت وفاته في اول تموز سنة ١٦٤٧ ·

٣ · البطرك يوسف حليب العاقوري ·

٤ · المطران يوسف ابن عميمه من قرية كرمسده الذي رقاه البطرك يوسف حليب الى رئاسة كرسى دمشق سنة ١٦٤٤ وتوفي سنة ١٦٥٣ ·

٥ · وهو فياض كبير اولاد ابي نوفل من امراته الثانية ·

ناصيف [١] استقروا لنا كم مرة انه وصل لهم جرزات مكاتيب فينا من المطارين وما عملوا بهم بل كانوا يكتبون لنا : اعمل خلاصك : واولادهم المشايخ بنفسهم كم مرة تعهدوا لنا ان لا يعارضونا لا في امر مطارين ولا في رعايا ومكاتيبهم معنا . والان بحماياتهم اقلقوا علينا كل الرعايا . وعوضاً عن ان يفرجوا علينا في ضيقتنا وفي البلوى التي نحن مقيمون فيها عَلَى علمك وعلم غيرك مرادهم يزيدونا تعب قلب . وكان جل مقصودنا نكون ساكنين في كسروان لكن ما مبعدنا الا التحامل . حاصله يا اخانا حملة قنوبين لازمتني وضيقتها عَلَى كتافي فما يمكن اعطي نورية قنوبين الا للذي يجيب كداده (ثمرة كدّه) ويسكن عندى . واما انه يجي يا كل و يشرب من قنوبين و يكون معلق في دير ام في قرايب ام في اولاد هذا الشيء ما يمكن . هذا اول الكلام وآخره وهو المرضي لنا ولكم وللمشايخ وللطائفة كلها قصدنا علمك . بعد تجديد البركة والسلام . لان ما مرادنا الاعمار الكرسي وكل من يريد ان يسعى بخلاف ذلك ما يكون قصده عمار الكرسي بل مصلحة نفسه [٢] . » اه

هذا كلام الرعاة النشيطين وثبات جاش الاحبار القديسين ومن تأمل بما في عباراته من الحزم والعزم مع سذاجة الالفاظ وتشوش التركيب اغتنى بتأمله عن اعتبار المؤرخ وشرح الكاتب .

ولدينا كتابة اخرى تعلن حكمة الدويهي في تدبير رعيته وتمسكه

---

١ . هو نوفل و يعرف بالثاني لان نوفل الاول مات بالزلزلة في قلعة سمار جبيل .

٢ . صورة هذا الكتاب محفوظة في خزانة الكرسي وفي السجل . مجلد ٢ .

بقوانين البيعة المقدسة وتدقيقه في كل ما يمس درجته السامية والوديعة الروحية التي كان مؤتمنًا عليها . وهذه الكتابة بصورة منشور الى الطائفة وتاريخها يكشف الستار عن الظروف التي صدرت فيها . لما كان في دير مار شليطا مقبس سنة ١٦٨٣ هاربًا من جور حكام الجبة طالبًا الامن والراحة بجوار مشائخ كسروان الحّ عليه بعضهم كي يسيم لهم مطارنة فتجنبًا للاسباب التي من شانها ايقاع الاضطراب في الطائفة رقى المطران يوسف بن مبارك احد رهبان دير مار سركيس ريفون في اليوم السادس من حزيران فطمع البعض بتقديم غيره الى هذه الدرجة ولعل قصدهم كان تعزيز الطائفة في تلك النواحي . وسعى اناس من الاكليريكيين بالحصول عليها ودخل اوجه البلاد اعني المشائخ واسطةً بينهم وبين البطريرك ولاجل تلك الحالة اضطر البطريرك ان ينتقل الى الشوف كما قلنا وقبل سفره الذي كان في اواخر شهر آب اي في الشهر الذي صار فيه وضع الايدي عَلَى المطران يوسف مبارك المشار اليه اصدر البطريرك رسالة رعائية ينذبه بها افكار ابنائه الى ما في السيمونية واختلاس الدرجات المقدسة من الاثم . فحلت هذه الكتابة محل التعليم للجهال والتنبيه للمتغفلين والتهديد للعصاة ان وجدوا . فلنسمع كلامه الطيب اذ من عادتنا ان ندعه يحادثنا ما امكن .

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ

ܘܕܟܠܗ ܡܕܢܚܐ

البركة الالهية والنعمة السماوية تكون حالة على شعبنا ورعيتنا ذو كل

قدر وقياس بوجه العموم ·

اولاً مزيد كثرة الاشواق الى روٴيا كم بكل خير وعافية ونعمة من كرم الباري جزيلة وافية · وبعده ما خفي عن علمكم بان كل انسان منا هو مركب من روح ومن جسد فالجسد يتناسل من الجسد ويتدبر من ولاة هذا العالم واما الروح فهي مخلوقة من الله وامر انها تتدبر من الروساء الذين اقامهم بنعمته · ولن يقدر احد ينال الكرامة لتدبير الانفس ان لم يعطَ من العلا · كما تشهد التوراة عن هارون راس الكهنة في العتيقة انه ما قدم نفسه للرئاسة بل قدمه الله الذي انتخبه عَلَى يد اخيه موسى · وكذلك في الجديدة بطرس الرسول ما اخذ رئاسة البيعة خطفاً بل استمدها من الذي قال له : انت الصخرة وعَلَى هذه الصخرة ابني بيعتي والسيد المسيح بنفسه ولو كان طبعه البشري متحداً مع الطبع الالهي باقنوم واحد ما طلب المجد لنفسه ولا اثر بالخروج الى البشارة حتى شهد له الله الاب من السماء قائلاً : هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت له اسمعوا · ولاجل ذلك رسمت البيعة ان لا احد من ذاته يتقدم الى الدرجات المقدسة كقول الرسول : ان ليس احد ينال الكرامة لنفسه الا ان يدعوه الله كما دعا لهارون · وهكذا السيد المسيح ايضاً لم يمجد نفسه ليكون راس احبار بل مجده الذي قال له : انت ابني وانا اليوم ولدتك · وحكم السادات الرسل على كل من يبرطل ام يتحامل لينال درجات البيعة بالحرم اذ يقولون في القانون ٢٨ : ايما اسقف او قس او شماس اقتنى درجة الكهنوت بالمكائدة واعطاء رشوة دراهم حتى صار كاهناً فليقطع هو والذي سامه وينفوا البتة ويتجنب

كلامهم كما تجنب بطرس سيمون الساحر . وفي القانون ٢٩ يقولون : اذا استعان اسقف بروساء هذا العالم وامتلك كنيسة من تحميلهم فليقطع ويطرد هو وكل من شاركه . ومجمع خلقيدونية سن في القانون الثاني ان كل اسقف يسيم قساً او شماساً او غيره في رشوة يحط عن كرامته والذي انسام تكون رسامته باطلة والذي تحمل له يحرم . وان كان من خدمة الكنيسة يعزل عن درجته . والى مثل ذلك المجامع المقدسة طعنت بالحرم كل من يدخل بالبرطيل ام بالتحميل الى واحدة من درجات الكهنوت . والبابا بولس الخامس ارسل مكتوباً مختصاً الى شعبنا في زمان البطرك يوحنا ابن مخلوف ينذرهم به ويحذرهم عن مثل هذا الفعل الردي ويضع حرماً قاطعاً وجرائم[1] بيعية على كل من يتحمل في الحكام ام يلزم البطريرك والذين يتخلفون بعده في رسامته احد في درجات الكنيسة وعَلَى كل من يعترضه في رعيته وعَلَى كل من يمنع له او لمطارنته عن التصرف برئاستهم بما يخصهم ويشوا . لاجل ذلك نحن السالكين في اثارات الرسل والاباء القديسين وأوتمنا من الله تدبير شعبه وارشاده ننذركم يامعشر اولادنا العزاز ونامركم بامر الطاعة ان تتجنبوا كل مكائدة وكل برطيل وكل تحميل في الرسامات ان كانت لذاتكم ام لغيركم لان الله غيور على جماعته ويقاصر كل من يفتري عَلَى سلطان كهنته . وكل من لا يريد يعتبر يكون محروماً مسخوطاً من الله ومن الرسل الاطهار ومن المجامع المقدسة ومن حقارتنا ويكون دم المسيح خصمه ونحن ابرياء من خطيته . واما اهل

---

١ . عقوبات

الطاعة تكون بركة الرب ونعمته حالة عليهم ويكونوا ابرياء من كل مداينة .
حرر ذلك في دير مار شليطا في ٢٠ من شهر حزيران المبارك سنة ١٦٨٣
للتجسد الالهي . »

هذا ما نعلمه من سهر الدويهي عَلَى ابنائه ومن رعايته للخراف والنعاج التي استلم تدبيرها من الراعي العظيم سيد وخالق الكل . ويسوغ للكاتب ان يصفه باحسن الصفات ويحلي ذكره بكل مناقب الرعاة الصالحين آمناً من الغلو والغلط الا اننا تمسكاً بالحقيقة وبقوانين التاريخ الصحيح لم نثبت الا ما وجدناه في المخطوطات القديمة التي تركها لنا معاصروه الذين عرفوه وسمعوه باذانهم ونظروه باعينهم وترنموا بمديحه مع ما كانوا عليه من الضن بالكتابة تأدباً وتنسكاً .

وفي نهاية هذا الفصل نورد ما قاله البطريرك سمعان عواد عن اجتهاده في خير ابنائه الروحي وقيامه بحق وظيفته المقدسة واليك كلامه بحروفه : كان (الدويهي) غيوراً جداً في الامور الروحانية وكان يأدب الكهنة حين كان يعرف انهم متكاسلون في الامور الكنائسية ولا يرعون شعبهم كما يجب ويليق . وبخلاف ذلك من كان يتعب ويكد في خلاص شعب رعيته وذا سيرة حميدة كان هو نفسه يمضي ويدفنه بيديه عند مماته ويشرفه بحضوره وبحضور كل مطارنته واساقفته ويقيم من اجله صلوات وقداديس وغير امور صالحة مفيدة لنفسه . ويردف كلامه بهذه العبارة : « ومنع كل الكهنة والاكليريكيين عن تدخين التتن وما كان يطيق احداً يشرب به امامه ومن كان يتجاسر عَلَى ذلك كان يعاقبه بالملائم البيعية ويدعوه

محروماً من الله ومنه »[1]

وفي ختام هذا الفصل نختصر وصف حب الدويهي للطايفة وغيرته عليها بما قاله سمعان عواد مترجم حياته من انه كان يحب طائفته حباً يفوق كل حد حتى انه ما كان يبالي بحياته لاجلها وكان مستعداً في كل وقت ان يقدم عنقه للسيف اذا اقتضت مصلحتها وخيرها . ولما زرت مغارة القديسة مارينا حيث وضع جسده الطاهر خلتني اسمعه يقول ما قاله احد خلفائه : اذا كانت عظامي تفيد الطائفة شيئاً نخذوها من قبري[2] .

---

١ . وسبب ذلك كما لا يخفى على القاري اللبيب ان التبغ كان اذ ذاك في اول ادخاله الى هاته البلاد وكان الاوربيون وقتئذٍ يحتقرون من يدخن كما نحتقر الحشاشين في هذه الايام وكان للمدخنين محلات خصوصية يترددون اليها ويتنعمون في حماها بلذة التبغ ودخانه والى يومنا هذا يمتنع عموم الاكليريكيين في اوربا عن التدخين محافظةً على كرامتهم في اعين الشعب . ثم اخذ الافرنج يستنشقون مسحوقه وانتشرت هذه العادة بين الملوك واكابر البلاد . واذ كان هذا التنشق يعتبر في بادىء الامر نوعاً من اللذات كاد الكرسي الرسولي يمنع تثبيت القديس منصور دي بول لاتباعه في ذلك عادة معاصريه . ومع الايام ابيح للجميع التدخين وصرنا الى ما نحن عليه ويا ليتنا لم نفرط في ذلك

٢ . كلام السعيد الذكر البطرك يوحنا الحاج

الفصل التاسع

في تأسيس الرهبنة اللبنانية

اعلم ان السيرة الرهبانية لم تنقطع في هذه البلاد منذ الاجيال الاولى للنصرانية اي من عهد ظهور النساك الاقدمين الذين اسسوا المناسك والاديار اقتداءً بابي الرهبان وكوكب البرية القديس انطونيوس الكبير فان النساك والمتوحدين لم يفصلهم عن صوامعهم لا الجوع ولا البرد ولا السيف ولم يذلل عددهم تشتيت شمل المسيحيين ونكباتهم وفتك الكفار بهم بل اضحت القفار والجبال في سورية ديراً عظيماً وفردوساً ارضياً فيه الرهبان كالملائكة السماويين يرتلون بدون انقطاع ويخبرون بعجائب رب العالمين. وما فتيء عددهم يزداد يوماً فيوماً وهذا الزرع ينمو ويطول الى ان جاء المحال وبذر الزوان في حقل رب البيت وذلك عندما انشق النصارى الشرقيون عن بيعة الله الجامعة فذبلت حينئذٍ زهرة الرهبان المقدسة وانتشرت اوراقها كما ذكر جرمانس فرحات في مقدمته عَلَى تاريخ الرهبانية. فحاد بعض الرهبان عن الايمان المستقيم والبعض عدموا النظام الرهباني وتوانى الروساء وتغافلوا عن منهج الكمال وامست اديارهم مأوى الجهل والكسل بعد ان كانت مركز العلم وقدوة النشاط. الا ان الله ما شاء اضمحلال هذه الرهبانية بالكلية بل ابقى له بقية لم تجثُ ركبها للبعل وهو ان الامة المارونية ثبتت وحدها في الشرق متحدة بالكنيسة الجامعة

الرومانية وما غيرت حسن اعتقادها بل ثبتت بين شوك الاراطقة والمشاقين تنادي: امانة الكنيسة الجامعة امانتي. وما امكن الضيقات والاضطهادات الثائرة عليها من اعداء الدين والايمان ان تثنيها عن سديد اعتقادها المستقيم وثباتها على الحق. فثبتت هذه الرهبانية مزهرة في بنيها مخصبة في اديرتها. لكن كان كل دير قائماً بذاته له عوائد تخصه ورئيس خاص به لا يشترك دير بدير وبهذا النوع كان نمو هذه الرهبنة الشريفة وجيزاً في اولادها [1].

وقبل ان يفكر احد بضم هذه الاديرة المتفرقة تحت نظام واحد ورئيس واحد سعى روساء الطائفة منذ القديم في تكثيرها ونشرها في كل نواحي هذا الجبل المقدس حسب احكام الظروف والايام. وكان مركز النسك حتى اوائل القرن السابع عشر في الوادي المقدس حيث شقوق الصخور كلها مناسك وروءس التلال كلها صوامع ومغاور الارض كلها كنائس. واكثر الاديار التي اقيمت خارجاً عنه انما كانت مسكناً للبطاركة وللاساقفة. ولما انتشر الامن وعم الجبل كله اخذ بعض الاتقياء ونفرٌ من تلامذة رومة يبنون اديارًا جديدة خارجاً عن الوادي المقدس وفي مزارع كسروان حتى وفي الشوف بين الامم وصارت اديارهم حصون الدين يجتمع في ظلها ابناء الطائفة الذين اضطرهم الاضطهاد وضيق المكان الى هجر اوطانهم والسير الى اوطان جديدة ما بين الامم المختلفة والاديان المتنوعة. وكان الروساء ينشطون الشارعين باعمال كهذه ناظرين مستقبل الايام. ولئلا نطيل الكلام في هذا الشأن نقول ان البطرك اسطفان لم

---

١ عن جرمانس فرحات

يأل جهداً في هذا المعنى بل كان يحث الجميع عَلَى الاهتمام بهذا الامر ويحركهم بمثله · فمن الاديار التي عني بتأسيسها او بتجديدها نذكر دير ماري عبدا عَلَى نهر الكلب الذي يعرف بالمشمر · ودير ماري شليطا مقبس وقد سبق الكلام عنهما · ثم في التشارين سنة ١٦٩٠ جدد دير مار سركيس راس النهر في اهدن وكان رممه قبل ذلك المطران بولس الدويهي وعاب بناؤه · ثم رفع الى المطرنية نسيبه القس جبرائيل الدويهي ووكل اليه تدبير الدير المذكور ورئاسته · وقد ترك لنا الدويهي خبر ذلك عَلَى كتاب قديم العهد يشتمل عَلَى الاناجيل الاربعة ووقع عليه اسمه وختمه [1] · وكذلك في سنة ١٦٩١ عندما ترهب ابو مخائيل انطانيوس من اصنون اخذ الدويهي بيده وبنى له دير مرت مورا [2] · ثم حدث في اثناء ذلك ان سقط حائط سيدة حوقا [3] البراني فاصلحه · وسنة ١٦٩٥ ادعى بيت عميرا ببساتين مار سركيس راس النهر التي في ارض زغرتا فدفع لهم من

---

١ والكتاب المذكور نسخ سنة ١٨٦٠ يونانية (١٤٤٩ م) في قرية حردين من اعمال البترون برسم الشماس دوميط بن جورجيوس قرمان من قرية اشكيرا (؟) · واظن ان ابن قرمان هذا من انسباء المطران قورلس اليعقوبي مطران حماه وحردين · راجع رد التهم ف ١٤ وتاريخ الطائفة ص ٤١٥ · — وفي معرض كلامه عن تجديد الدير المذكور يقول انه صار بمناظرة القس جرجس الاميوني الذي عني ايضاً ببناء مار شليطا واصله من الطائفة الملكية وان المعلمين كانوا من قرية ريشميا

٢ غربي قرية اهدن

٣ سيدة حوقا في سفح الجبل في وادي قديشا على مسافة نصف ساعة من قنوبين وموقع الدير في مغارة تحت الصخر ·

ماله وحرر ارزاق الدير المذكور [١] . وفي سنة ١٦٩٧ كرّس كنيسة دير ماري انطونيوس قزحيا ومنه صعد الى دير مار مخائيل شارياً وكرس كنيسته [٢] . وقد مرّ الكلام عن القس ابرهيم الغزيري الذي ذهب الى ريشميا حين كان الدويهي في مجدل معوش وباشارته وتدبيره اهتم بتشييد دير مار يوحنا الذي اقامه من ماله احد اهالي القرية المذكورة الشيخ ابو صابر . وفي حجة بناء دير اللويزة يقول واقف الدير ومؤسسه القس اغناطيوس سلهب : نذرت عَلَى نفسي ان (ها) لدير يكون مدرسة لعلم الاولاد من غني وفقير للحسنة بشور وتدبير سيدنا المرحوم المغفور له البطرك اسطفان الهدناني [٣] اه . ونخص بالذكر هنا دير مار انطونيوس عين ورقة . كان تأسيسه نحو سنة ١٦٦٠ م في المحل المعروف بالمشرح تحت المدرسة الحالية حيث الان يوجد بعض اشجار زيتون . وكان اقام هناك الخوري خيرالله اسطفان كنيسة عَلَى اسم السيدة والدة الاله .

اما الخوري خيرالله المذكور فكان من قرية غسطا وترهب اولاً في دير ماري شليطا مقبس ثم خرج منه وبنى دير عين ورقة ورقاه البطريرك اسطفان الى الاسقفية عَلَى كرسي العاقورة (وفي رواية على كرسي بيروت وهذا غير صحيح) في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٧٠٣ ودعي باسم

---

١ كل ذلك مذكور في الكتاب السابق ذكره آنفاً .

٢ عن السجل ص ٦٨ . — ودير شاريا الى جانب قرية عينتورين وهو الان مهجور لان موقعه ردي وهواؤه مضر بالصحة بسبب كثرة المياه .

٣ وهذه الحجة بتاريخ شهر اذار سنة ١٧٠٧

جرجس [١] . و بعد ان اقام الخوري خيرالله كنيسة السيدة المشار اليها بعشرين سنة نقل الدير الى حيث هو الان وبنى كنيسة ثانية على اسم القديس مار انطونيوس الكبير واتمّ بنيانها في سنة ١٦٩٠ وحضر بعد ذلك البطريرك اسطفان الدويهي و كرسها وقال امام الحاضرين: ان هذا الدير سوف يصير منه خير عظيم للطائفة المارونية . وقد دوّن ذلك في سجل تلك المدرسة الشهيرة السعيد الذكر المطران يوسف اسطفان [٢] نقلاً عن احد الشمامسة [٣] الذي كان بخدمة الدويهي وصار كاهناً فيما بعد وتوفي قبل تحويل الدير الى مدرسة . واخذ عن الشيخ اسطفان والشيخ انطانيوس ابنه ان هذا الكاهن كان يهذّ في كلام البطريرك ويقول : لا نعلم ما هذا الخير العظيم الذي سيصير من هـذا الدير حسب قول البطريرك المذكور . و بعد انشاء المدرسة وشهرتها تحقق عند المذكورين ان هذا القول كان بالهام الهي واخبرا به . وكان تكريس كنيسة مار انطونيوس المذكورة يوم عيد الصليب ١٤ ايلول سنة ١٦٩٨ [٤] وكل يعلم كيف تمت نبوة البطرك اسطفان والخير العظيم الذي كانت ولم تزل مدرسة عين ورقة منبعه ومصدره

ومن الاديار التي قامت بايعاز بطريركنا المطوب الذكر دير مار

---

١ وتوفي سنة ١٧٣٣ .

٢ وهو الفقيه الشهير الذي مات سنة ١٨٢٢ .

٣ من قرية كفر صغاب في الجبة .

٤ عن سجل مدرسة عين ورقة بخط المطران يوسف اسطفان السابق ذكره .

جرجس الرومية ودير مار سركيس ريفون وهذا كان طللاً قديماً ويحتمل انه كان موضعه دير او كنيسة ما قبل خراب كسروان وهذا الدير كان تابعاً قرية عجلتون لان قرية ريفون حديثة العهد . وكانت البلاد كلها بما فيها خاصة الاسرة الخازنية فقدم من بطحا القس سليمان بن مبارك واولاده وبعض اقربائه طالبين التكرس لخدمة الله فاعطاهم الشيخ ابو قانصوه الخازن المحل الذي قام فيه بسعيهم وعملهم الدير الشهير وقد تحوّل مدرسة طائفية سنة ١٨٣٢ بعد ان صدر الحكم بالولاية عليه لعائلة بيت مبارك (١)

الا ان الحالة التي كانت عليها طغمة الرهبان المارونيين من انقسام القوى وتفرق السعي وقلة انضمام الراي كان من شانها ان تبقي السيرة الرهبانية بمعزل عن النجاح الادبي والزمني وما كانت لترضي البطريرك الدويهي وقد رأى في اوربة نشاط الرهبان الافرنج وما ينتج عن اتحادهم من الخير في المناضلة عن الدين وتهذيب اخلاق الشعوب وبث المبادىء المستقيمة والجهاد في سبيل ناموس الله وحفظ طريق الكمال المسيحي . والحق يقال ان الرهبانيات سور دين المسيح وطليعة الجيوش النصرانية لان ركن هذا الدين انما هو التجرد عن كل شيء زائل والتمسك بصليب ابن الله واقتفاء اثاره لا السيف ولا القوة ولا المال فلولا وجود اشخاص ياخذون التجرد عن العالميات منهاجاً ويفكرون ليلاً ونهاراً بحفظ الوصايا والمشورات

---

١ وكان افتكر البطريرك يوسف حبيش ووازروه ان يقيموا فيه مدرسة لتعليم الطب .

الالهية ويجعلون هذيذهم في كمالات الخالق ليتشبهوا بها ما امكنهم وفي الحيوة الاخرة لينالوها اكليلاً لجهادهم · لذهب الدين من عالمنا هذا الغارق بلجج الشهوات الفاسدة ولفترت المحبة في قلوب الكثيرين ـ وزد عَلَى ذلك ان الرهبانيات ليست فقط حظيرة خلاص لمن يلجأ اليها لكن بما ان الله اوصى كل انسان بقريبه ولم يعفُ من وصية حب القريب احداً فكان عَلَى الرهبان والنساك ان يحفظوها ويحبوا القريب لاجل الله او يحبوا الله في الانسان الذي هو عَلَى صورته ومثاله وان يتجندوا لعمل الخير وينذروا الشعوب بالانكفاف عن المعصية ويحملوهم باقوالهم وامثالهم عَلَى الصلاح ويكونوا كما قال السيد له المجد نور العالم وملح الارض · ومن المعلوم ان كل انسان اذا تجند وتجرد لغايةٍ مهما كانت وثبت في عزمه غير متزعزع فلا شك انه يبلغ آجلاً او عاجلاً حيث لم تبلغ الآمال · فماذا يكون اذا اجمع كثيرون عَلَى رأي واتحدوا واتفقوا في التجرد والتجند وتشاطروا الاتعاب والاعمال · وقد تقول حكمة الشعوب في امثالها ان القوة في الاتحاد · فلاجل هذه الاسباب وغيرها كان الرؤساء عموماً وكثيرون من المتنورين الطالبين الاصلاح والنجاح يفكرون بضم الرهبان ليكونوا رهبانية واحدة تحت نظام واحد وكانوا يطلبون من الله ان يوفقهم الى هذه الغاية لانه بدونه لا يقدر احد عَلَى شيء وعبثاً يبني البناؤون ان لم ياخذ هو بيدهم

فلما احب الله ان يضم هذه الاديرة المتفرقة لتكون الفائدة اقوى والنمو اسرع دعا من مدينة حلب ثلثة اشخاص متقين الله جداً سالكين

بموجب وصاياه مشهوداً لهم من كل من عرفهم وكانوا مارونيين ذوي ثروة وحسب بالغين من العمر اشده اسم الاول منهم جبرائيل حوا [١] والثاني عبدالله (وروي عبد الاحد) قره ألي [٢] والثالث يوسف بن بتن [٣] فحركهم الله لما كان فيهم من البراعة والشجاعة الى ان يجددوا رهبانية مار انطونيوس و يضعوا لها قوانين مأخوذة من تعاليم ابي النساك واقوال ابائنا القديسين و يرتبطوا بقيد نذر ذي اربع حبائك وهي العفة والطاعة والفقر الاختياري والتواضع · وكان خروجهم من حلب سنة ١٦٩٤ [٤] في شهر شباط فزاروا القدس والاراضي المقدسة وتوجهوا الى جبل لبنان مقر الاديار والنساك ومركز بطريرك الملة المارونية وكان يتقدمهم جبرائيل حوا وهو رجل عاقل ديّن غيور علَى اتمام ما قصدوه وخرجوا في طلبه فوصلوا الى مدينة طرابلس وارتقوا منها الى طور لبنان المقدس ودخلوا دير قنوبين حيث كان البطريرك اسطفان الدويهي واطلعوه على قصدهم · فلما رآهم تهلل فرحاً وابتهجت نفسه السعيدة بابتهاج الروح القدس اذ

---

١ بيت حوا اصلهم من اهدن وانقرضت سلالتهم فيها ونزح بعضهم الى حلب بامر السلطان سليم في اوائل القرن السابع عشر · ومنهم بقية في مرسيليا

٢ ووجدت قراعلي بخط القس جبرائيل فرحات · والاصح قره ألي اي اليد السوداء · قيل ان واحداً من هذه العائلة لعب بالسيف قدام احد السلاطين في حلب وكانت يده سوداء فعرف بهذا اللقب

٣ القس يوسف البتن مات مع راهب آخر لما سقط الشير على قلالي دير قزحيا سنة ١٧١٤

٤ وروي ١٦٩٣

نظرت عيناه ما كان يشتهي ان يرى وقوعه · ثم طافوا بلاد الجبة وجبيل وكسروان طالبين مثوى يوافق موقعه غايتهم ورجعوا اقاموا في الكرسي البطريركي في قنوبين يفحصون دعوتهم مهتدين بنور السيد البطريرك وينظرون في ما كان يقتضي عمله

وفي اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٦٩٥ لبسوا الاسكيم الملائكي من يد الدويهي عَلَى سبيل التجربة من غير نذر واقاموا جبرائيل حوا رئيساً عليهم وقطنوا دير مرت مورا حذاء اهدن الذي كان الدويهي رممه سنة ١٦٩١ كما قلنا · فافرغه لهم وزادوا عليه وتكلفوا دراهم غير قليلة وهكذا ملكوه [١] · وذاع صيت فضيلتهم وقداستهم وصاروا بعبادتهم ومثلهم الصالح قدوة الكمال للمؤمنين ولغير المؤمنين واخذت الناس تفد اليهم للترهب عندهم وللدخول في باب التوبة والخلاص الذي فتحوه فدخلوا وادخلوا من شاء وعند ذلك جعل رئيسهم قساً وشرعوا من ذاك الحين يجمعون لهم قانوناً من وصايا ابيهم انطونيوس الكبير وتلاميذه · وفي هذه السنة ايضاً نذروا نذر الفقر بين يدي المطران جرجس يمين مطران اهدن [٢] وتعاهدوا ان لا يتخصص احد منهم بشيء ووقع المطران ختمه على معاهدتهم

---

١ درست آثار هذا الدير الذي كان مهد الرهبنة · وكنيسة مرت مورا الحالية هي غير الدير القديم

٢ وهو الخوري جرجس بن سركيس بن عبيد الهدناني الذي اقامه الدويهي مطراناً على اهدن في ٢٧ آب سنة ١٦٩٠ ويتكنى بنيمين والكاروز · ثم دخل شركة اليسوعية وتوفي في رومة · وليس من بيت يمين كما وهم البعض

ثم شرعوا بترميم دير اخر عَلَى اسم القديس اليشاع النبي في الوادي المقدس تحت قرية بشراي وكان هذا الدير خراباً وهو في الاصل محبسة حولها صوامع لا تحصى بعضها في اسفل الوادي والبعض معلقة في اعلى الصخور كعش النسور اختارها النساك منذ القديم مسكناً وانقطعوا فيها عن العالم . ومن آثارها التي صبرت عَلَى كرور الايام طبليت من المرمر الاسود وجده الرهبان في احدى المحابس ونقلوه الى كنيسة الدير وهو الان عَلَى مذبحها الكبير وعليه بالسريانية والحرف السطرنجيلي الاسماء التابعة : لاون المطربوليط من ازمين معاملة حلب . اثاناس ابن اخي مار لاون . شمعون من قرية ازمين . يولينا الطبيب . » ولم نعلم ما هذه الاسماء ولا من اصحابها . وكان دخول الرهبان الى الدير المذكور سنة ١٦٩٦ واقاموا عليه رئيساً عبد الاحد بن قرا ألي بعد ان اقتبل القسوسية . وكان هذا الرجل مفعماً من الله حكمة وفطنةً ذا عقل ثابت وعلم راسخ فصيح اللسان بليغ المعاني محبوباً من كل من رآه وكان درس الشريعة عَلَى فقهاء حلب فصار الناس يستفتونه في المشكلات الشرعية . وقد ترك تآليف عديدة شتتها ايدي الاهمال منها كتاب تاملات روحية وجدته بخط يـده وشرح القانون الرهباني والزامات العيشة النسكية وكتاب الافراميات وقانون راهبات دير حراش حيث سكن بعد ان صار اسقفاً عَلَى بيروت سنة ١٧١٦ . وبكل صواب يعتبره الرهبـان كمؤسسهم الاخص

وفي السنة المار ذكرها انفاً غير الرهبان شكل اثوابهم وقلنسواتهم

عن شكل اثواب وقلنسوات غيرهم من الرهبان المارونيين وكانت اثوابهم في الاول من النسيج الازرق وقلنسواتهم شبيهة بالمخروط الصنوبري . ثم شرعوا بترتيب قانونهم راجعين في سائر الاحكام الى اقوال الآباء القديسين وتعاليمهم واضعين نصب اعينهم غايتهم الاساسية وهي الانفراد عن العالم والاعتناء بخلاص نفوسهم تحت تدبير رئيسهم القس جبرائيل حوا . وفي سنة ١٦٩٧ عقدوا مجمعاً عاماً في دير مار اليشاع واعادوا القس جبرائيل المذكور الى وظيفته والقس عبد الاحد رئيساً عَلَى دير مار اليشاع واقاموا القس جبرائيل فرحات الحلبي رئيساً عَلَى دير مرت مورا بعد ان سيم قساً [١] . وكان رجلاً فاضلاً عالماً . قراء الفلسفة والالهيات في حلب على الخوري بطرس التولاوي وصرف حياته معتزلاً منكباً عَلَى التأليف والتعريب والتنقيح وقد عاش بين معاصريه مجهولاً وما سطعت انوار فضله ومعارفه الا بعد موته بزمنٍ طويل . فهو الذي اطلع النصارى السوريين عَلَى لغة العرب التي ندر البارعون فيها بين من سلفه من مواطنينا وترك للطالبين ما يغنيهم عن البحث في كتب من تقدموه ومن اتوا بعده . ثم نقح كتبنا الطقسية وصحح عباراتها الركيكة ووضع للخطباء اصول فن الخطابة وقواعد البلاغة والفصاحة وكتب لاخوته الرهبان صلوات وتاملات روحية تخشع لها القلوب وقال الشعر فاجاد وصار شعره ديوان الموارنة بل النصارى اجمع ولم تزل الاجيال تردد اقواله كالصلوات

---

١ راجع كلام القس جرجس منش عنه في المشرق في عددي ١٥ ك ٢ واول شباط من سنة ١٩٠٤

وتذكره شاكرةً . وهو القائل في محبة الجود الالهي هذه الابيات الشهيرة التي افرغ فيها عواطف قلبه الملائكي :

الله الله انت السمع والبصرُ في العاشقين وانت الفوز والوطرُ
هويتكم والهوى مني عَلَى صغرٍ ياحبذا وله قد زانه صغرُ
هجرت فيكم ربوع الوالدين وما اهوى فلم يرضني من دونكم اثرُ

الى اخر هذه القصيدة . وسيم مطراناً عَلَى حلب سنة ١٧٢٥ وتوفي سنة ١٧٣٢ . وشهرته تغني عن اطالة الكلام عنه

وفي سنة ١٦٩٨ تمموا ترتيب قانونهم في خمسة عشر باباً . ١ً في الطاعة . ٢ في العفة . ٣ في الفقر . ٤ في كسوة الرهبان . ٥ في سكن القلالي . ٦ في السفر . ٧ في المائدة . ٨ في عمل اليد . ٩ في الصمت . ١٠ في الصلوة العقلية . ١١ في الصلوة اللفظية . ١٢ في الاعتراف . ١٣ في تناول الاسرار . ١٤ في الادب . ١٥ في المرضى . ووقع الاتفاق في هذه الرهبنة بموجب القانون الذي قبلوه وارتضوا به ان يكون لهم رئيس عام عَلَى الرهبنة وان يكون لكل دير رئيس خاص يطيع الرئيس العام وان يكون مع الرئيس اربعة يسمون المدبرين يساعدون الرئيس العام وان يكون لهم مجمع عام يجتمع كل ثلاث سنوات ويكون ختامه في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني وهو اليوم الذي لبس فيه الاسكيم موسسو الرهبنة المقدم ذكرهم [1] الى غير ذلك من الاصطلاحات . وشرعوا يمشون عَلَى هذا القانون وهذا الترتيب من غير نذر لان قانونهم

١ وصار الان ابتداء المجمع في اليوم العاشر .

لم يكن بعد تثبت من السيد البطريرك

ومما يظهر اهتمام البطريرك اسطفان بالرهبان والاديرة انه لما كان الحلبيون يؤسسون تحت نظره الابوي رهبنتهم الجليلة لم يصرف اعتناءه عن الاديار القائمة في الطائفة السالكة على النظام والعوائد القديمة و يظهر ان البعض خالفوا القوانين البيعية في امر ترهيب النساء · ومن المعلوم ان اكثر الاديار في القديم كانت مزدوجة اي انه بقرب اديار الرجال كان يوجد اديار اخر للنساء منفصلة عنها لكن بما ان الاديار كان كل منها مستقلاً عن غيره واهلها يتصرفون كيفما شاؤوا في محلهم كان يقع بعض محظورات لكون الانسان من طبعه معرضاً للسهو والغلط ومائلاً الى مجاوزة الناموس والنظام · والبيعة المقدسة لعلمها بضعف الطبع البشري سنّت منذ القديم شرائع لكلما يقدر حلوله في مجتمعات الناس · والمخلص له المجد وضع الرسل وخلفاهم مراقبين ينبهون من يحيد عن طريق الخلاص ويؤنبونه اذا اقتضى الامر ويقاصونه حتى لا يبقى له عذر قدام الديان · وقياماً بهذه الوصية وجه البطرك اسطفان الى روساء الاديار المنشور الآتي نذكره بحروفه :

البركة الالهية والنعمة السماوية تكون حالة عَلَى اولادنا روساء الاديرة المكرمين

اولاً مزيد الاشواق الى رؤيتكم بكل خير وعافية · وبعده سابقاً قد وصيناكم دفعات كثيرة ان لا ترهبوا النساء في اديرة الرجال لاجل حفظ الطهارة وازالة الشكوك والان بلغنا ان البعض منكم وصلوا الى هذا

الافتراء حتى انهم رهبوهنَّ في السنة الثانية عشرة من عمرهنَّ والبعض الزموهنَّ في لبس السواد رغماً عنهنَّ فلاجل ذلك عَلَى موجب وصية بولس الرسول وقوانين المجامع المقدسة وعَلَى مشورة اخواننا المطارين المكرمين نأمر من الان وطالعاً ما احد معه اجازة يكرس راهبة ولا يرهب امرأة في اديرة الرجال دون الستين سنة من عمرها ٠ فمن اجتراء وخالف ما نحن ذاكرين يكون مربوطاً من كهنوته والتي تترهب تكون محرومة ٠ ومن خصوص اللواتي ترهبنَ قبل هذا الان نحتمل التي تكون بلغت سنة الاربعين فتلبس منديلاً ابيض ام ازرق بمنزلة التي في التجربة واذا ما احسنت السيرة فلتطرد من الدير ٠ ونحن ما احتملنا ذلك الامن عسر ازمان ولاجل ضمّ الحال بين الامم الغريبة ولكن ما يمكن نطابق بان امرأة تكون لابسة السواد ام منديلاً ازرق وتدور تشحد في القرى والمدن ولا انها تسير الى الحقول ولا انها تعاشر الرجال ولا انها تبيت خارجاً عن قلايتها ٠ فمن وجد مخالفاً منكم ومنهنَ يكون سقط تحت قوانين البيعة ٠ فالحذر ثم الحذر من المخالفة وبعد تجديد البركة والسلام ٠ حرر في نصف تشرين الثاني سنة ١٦٩٨ ربانية

ان الاعمال الخطيرة في الدين لا يخلو تأسيسها من المحن لذلك اراد الله ان يكون ركن الرهبنة واساسها عَلَى صخرة التجارب فسمح ان يقع الاختلاف بين الموسسين وكان ذلك ان القس جبرائيل حوا الرئيس العام عنَّ له ان يترك قانون الانفراد النسكي ويتبع قانون الرهبنة اليسوعية ويتفرغ للوعظ والتعليم والطواف بين الناس في طلب النعاج الضالة ٠

واراد ان يلغي القانون الذي وضعوه اولاً فلم يوافقه عَلَى ذلك الرهبان لاسباب منها انهم لم يدخلوا الرهبنة عَلَى هذه النية وان هذه الطريقة يقتضي لها قوة في العلم والمال · وقيل ان الذي حرّك القس جبرائيل حوا الى هذا التغيير والانقلاب هو تقييد سلطان الرئيس العام بالمدبرين والعزل عن الرئاسة لان رأيه كان ان تكون مؤبدة · فلبث عَلَى رأيه والرهبان عَلَى رأيهم ووقع التناقض · ذلك من حسد الشيطان لمثل هذا الخير فاراد ان يهدم اركان الرهبنة · فلما نظر القس عبد الاحد المسمى عند العموم بالقس عبدالله قرا ألي ما وقع بين الرهبان من الانشقاق رفع راية النسك وتصلب ضد القس جبرائيل حوا واخذ يحمي جانب الرهبنة والقانون المتفق عليه · فعظم النزاع بينهما واقاما عَلَى ذلك مدة اشهر فالتجأت حينئذٍ الرهبنة الى المجمع العام قبل اوانه وحكم على القس جبرائيل حوا بالعزل عن الرئاسة واقاموا موضعه القس عبد الاحد وثبت البطريرك اسطفان ما حكم به مجمعهم

وفي سنة ١٧٠٠ ترك القس جبرائيل حوا رهبنته والتجأ الى السيد البطريرك ملتمساً منه ان يخرجه من الرهبنة فلم يشأ البطريرك ان يتساهل معه بذلك بادىء بدء لكنه لما رأى اصراره تنازل معه واحضر القس عبد الاحد وباقي الرهبان وحكم بانفصال القس جبرائيل حوا منهم واعطى القس عبد الاحد دير مار اليشاع واعطى القس جبرائيل دير مرت مورا اهدن و ترك الحرية للرهبان في ان يتبعوا الذي يريدونه منهما · وهذه صورة الامر بذلك :

ܐܣܛܦܢܘܣ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟܝܐ ܚ̄

وجه تحرير الاحرف هو اننا وقفنا عَلَى الخلف الواقع بين اولادنا الرهبان الحلبية· ان ولدنا القس جبرائيل قاصد التبشير وخلاص الانفس وولدنا القس عبدالله قاصد عيشة النسك والرياضة فتنازلنا الى سؤالهم وامرنا القس جبرائيل يكون مقيداً بدير مرت موره باهدن وبنيانه· والقس عبدالله بدير مار اليشاع بيشري وعماره· وان رزق الاخوة الذي كان بينهم بعقد الشركة ينقسم بينهم مناصفة بعد وفأ الدين ان كَان· وان كل واحد من الاخوة ياخذ ما يحتاج اليه من المؤنة والكسوة ويسكن تحت طاعة الذي يرتضيه من الاثنين· وكان ذلك برضى وقبول من الجانبين· نسأل الحق سبحانه وتعالى يكون ناظراً اليهم ومساعداً لهم ليحظوا بالخلاص هم وغيرهم· حرر بدير قنوبين في خمسة من تشرين الثاني سنة الف وسبعماية للتجسد الالهي (١)

فتبع القس جبرائيل حوا راهبان فقط والباقون ذهبوا مع القس عبد الاحد وكانت يد الله معه

اما القس جبرائيل حوا فبقي في دير مرت مورا حتى سنة ١٧٠١ مع ذينك الراهبين اللذين خرجا معه فلم يجد راحةً لنفسه ووقع في الخصام مع المطران جرجس يمين مطران اهدن· ثم تركه احد الرهبين وارتد الى اخوته في دير مار اليشع ونذر كباقي الرهبان والاخر شرد تائهاً· عند ذلك طلب القس جبرائيل المذكور الى القس عبد الاحد ان يقيم بين هولاء

---

١ عن سجل الدويهي ص ٥٨٩

الرهبان بلا نذر ويهبهم كل ماله في دير مرت مورا فالرئيس قبل بذلك لكن المدبرين لم يرضوا فاغتاظ ابن حوا وعاد فاصلح امره مع المطران وسكن مرت مورا قليلاً ولما رأى ان المطران يبغضه استأذن السيد البطريرك بالذهاب الى رومة فاذن له وكلفه باخذ اولاد للمدرسة وبتقدمة الطاعة باسمه للبابا اقليمس الحادي عشر الذي كان قد قام في تشرين الثاني سنة ١٧٠٠ . وامره ان يسعى بطبع بعض كتب طقسية كما يقول عن نفسه في مقدمة كتاب المزامير الذي طبعه في رومة سنة ١٧٣٧ وشاع انه ذهب بحجة ان يأتي بمطبعة الى بلاد الشرق فسافر الى رومة العظمى في ١٠ من ت ٢ سنة ١٧٠١ واقام هنالك فاستخدمه الكرسي الرسولي في قضاء بعض امور في مصر مع روساء القبط وبعد عودته الى رومة وهبه البابا اقليمس الحادي عشر دير مار بطرس ومرقلّينوس مكافأةً لاتعابه والقس جبرائيل المذكور ترك الدير للرهبنة . وصار بعد ذلك مطراناً عَلَى جزيرة قبرس

وفي الوقت نفسه اي سنة ١٧٠٠ بلي القس جبرائيل فرحات بتجربة الضجر [1] فتبع هوى نفسه وخرج من الرهبنة (لكن قبل ابرازه

---

١ قال القس عبد الله قره ألي عن نفسه انه أُرسل من الرئيس العام الاب جبرائيل حوا لاجل جمع احسان من حلب وغير مصالح وانه عند رجوعه التقى بالقس جبرائيل فرحات في طرابلس سنة ١٧٠٠ . قال وعند وصولي وجدت القس جبرائيل فرحات رئيس دير مرت مورا هناك في منزل الرهبان واطلعني على سره انه يريد الخروج من رهبنتنا والدخول في غيرها لشدة الضجر الواقع عليه ولما استقصيت سبب ضجره رأيت ان الرئيس قصد ان يفتح ديراً في كسروان ويبعثه اليه وعمد الى ذلك

النذر لان قانون الرهبنة ما كان تثبت بعد ولا كان في الرهبنة نذر ٠)
وانفرد في قرية زغرتا في زاوية طرابلس وسكن هناك ديراً عَلَى اسم القديس
يوسف واتخذ له شماساً وكان يعلم الاولاد ويعيش من صدقات المؤمنين
وبقي فيه حتى سنة ١٧٠٥ فمرض مرضاً ثقيلاً ونهاه الاطباء عن السكنى
في زغرتا فصعد الى دير مار اليشاع وكان يخشى عدم قبولهم اياه فقبلوه
بفرح وكان يقول انه منذ افترق عن اخوته لم يسترح ضميره البتة٠ ثم نذر
وأُحصي مع الاخوة ٠ وكان القس جبرائيل المذكور عاكفاً عَلَى الدرس
والمطالعة وعبادة الله مشتغلاً في خلوته بتأليف تلك الكتب الشهيرة التي
اذاعت اسمه في كل البلاد ولذلك لا نرى له ذكراً في الاضطرابات التي
زعزعت الرهبنة صدر تاريخها ٠ وقد كرس مدة اقامته في زغرتا للمطالعة
والتأليف ٠ وقد وجدنا بخط البطريرك اسطفان تبيان بعض كتب كان
اعارها للقس جبرائيل فرحات في تلك الآونة منها كتاب النوافير
ولقسيقون (معجم) سرياني واول جزء من المنارة والكتاب الثالث من
تواريخ الموارنة (الاحتجاج) مما يدلنا عَلَى اعتبار البطريرك لفرحات
وبعد خروج حوا من الرهبنة هدأَت الخواطر واستقام القس عبد
الاحد يسوسها ويرعاها بمروج امثاله وعلمه وكان الله ينميها على يده٠ واخذ

وجمع كتبه وحوائجه ليمضي ٠٠٠ فاعترض الرئيس اخونا الشماس يوسف البتن لانه
كان احد المدبرين ٠٠٠ وصار بينهم منازعة ومن قبل هذه المنازعة صغرت نفس
القس جبرائيل فرحات وعزم على الانفصال منا ثم شاع خبر انفصاله وصار مجس بين
الرهبان لان القس جبرائيل كان له اعتبار عندهم من حيث وظيفته وعلمه باللغة العربية
والشعر والفصاحة وصاروا ينسبون سبب خروجه الى تدبير الرئيس

الرئيس المذكور يتفاوض مع البطريرك اسطفان لكي يثبت له القانون ليقيد رهبانه بسلاسل النذور المقدسة لئلا يهولهم الجهاد و يلتفتوا الى الوراء كما فعل غيرهم قبلهم اما البطريرك فما كان يشاء ذلك ولم يجب طلبه فاخذ الرئيس والرهبان يبتهلون الى الله . فحرك الله قلب احد خائفيه وهو المطران جرجس يمين المشهور بالقداسة والعلم الذي لاجل غيرته عَلَى خلاص النفوس وتثقيفها في سبل الصلاح لقبه الشعب بالكاروز اي الواعظ وكان يحب الرهبنة و ينتصر لها فاخذ يسعى في تثبيت قانونها فدخل عَلَى البطريرك مع مطران اخر يساعده واوضح له ضرورة تثبيت قانون هذه الرهبنة فتنازل البطريرك الى اجابة سؤاله لحبه له ولمعرفته سلامة نيته وثبت قانون الرهبنة بحضور بعض المطارين وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من حزيران سنة ١٧٠٠ . وقد شاهدنا في دير سيدة اللويزة القانون الاصلي وفي صدره التثبيت وختم البطريرك الدويهي [1] .

وفي سنة ١٧٠٢ عمل الرهبان مجمعاً عاماً وثبتوا الاب عبد الاحد في الرئاسة وقرروا بعض امور بخصوص اقتبال الدرجات المقدسة وقبول المبتدئين في سلك الرهبان واخذوا يزدادون و ينمون في الخير وكانوا جميعهم حريصين عَلَى حفظ قانونهم بتدقيق كلي سائرين بموجب نذورهم المقدسة فكانت سيرتهم مرضية لله واعمالهم مثالاً للغير وعطرت روائح قداستهم كل البلاد واخذ الناس يتراكضون اليهم كالجياع والعطاش الى

---

١ وهو غير القانون المشهور الذي ثبته الكرسي الرسولي بعدئذٍ خلافاً لما جاء في المشرق سنة ١٩٠٤ ص ١٠٥ في الحاشية ٣ . راجع ص ١٠٦ حاشية ٢

ينبوع الخيرات · وبالاختصار استحقوا بطهارة السيرة وامانة الجسد والزهد في الدنيا ان يسمعوا من فم الرب كلمة الطوبى عند قبول جزاء الفعلة النشيطين والعبيد المتيقظين : طوبى للمساكين بالروح · طوبى لفاعلي السلام · طوبى للنقية قلوبهم لانهم يرثون الارض والسماء ويعاينون الله ·
وقد مدحهم احد اخوتهم بابيات طويلة منها :

يُميتون اجساماً ويحيون انفساً … لكيما ترى من مات حياً ومنفوسا
فلن يفزعوا في سيرهم من اباسٍ … متى قرعوا في دُجية الليل ناقوسا
مدارعهم ثوبُ الحداد بروسهم … قلانس سودٌ ليس ذلك تدنيسا
ثيابهمُ سودٌ وبيضٌ فعالهم … وحسادهم صفرٌ وقد طهروا روسا

وبينما كان الحلبيون يجدون في ضم الادبار الى بعضها ليتألف منها رهبنة واحدة كبيرة حرك الله المطران جبرائيل البلوزاني ان يرسل من دير السيدة المعروف بدير طاميش في بلاد كسروان [١] الذي كان انشأه منذ سنة ١٦٧٣ الخوري سليمان ابن الحجي المشمشاني والقس عطا الله كريكر الشامي والخوري بطرس مونس البزعوني والقس موسى البعداتي الى دير مار اشعيا في برمانا الذي كان انشأه هو ايضاً ليسكنوه ويتعبدوا لله تعالى مع من يقتدي بامثالهم ويتبعهم اليه وهذا كان مبتداء تأسيس رهبنة مار اشعيا الانطونيانية · ثم بعد ذلك اي سنة ١٧٠٣ لما راى البطرك اسطفان حسن سلوك الرهبان المذكورين وتشبثهم بالمنهج الرهباني واجتهادهم في نشر جمعيتهم باعطائهم الامثال الصالحة للجميع اثبت لهم

١ ان قاطع بيت شباب كان يعرف سابقاً بمزارع كسروان

رسومهم ورتبتهم الرهبانية وهكذا اراد الله ان يعزي عبده اسطفانس فجعل تأسيس الرهبانيات المارونية في عهده واراه اثمارها الصالحة في هذه الدنيا قبل مماته · نطلب من الله بشفاعة عبده المذكور ان يصونها ويرعاها ويجعلها منارة الطائفة وسورها الوطيد · انه السميع المجيب :

الفصل العاشر

في علم الدويهي وتآليفه ·

ان المعادن مع كثرتها لا يصبر الا القليل منها عَلَى مرور الايام وعلى فعل العناصر وبهذا يُعرف ثمينها من غيره · فمنها ما اذا تركته اياماً قليلة غطاه الصداء كثوب الفقر ومنها ما نجده بعد الوف من السنين في قلب الارض واذا ازلنا عنه ما لصق به من التراب لمع وابرق كالشمس دون ان يظهر فيه تأثير الاجيال والعناصر المفسدة · كذلك العلماء منهم من يذيع اسمهم في حياتهم ثم يموت معهم كصدى الصوت الذي يضمحل اذا سكت الصارخ · ومنهم من يجهلهم المعاصرون ثم يُنشرون من قبورهم ويطبق ذكرهم الافاق وتثبت الاجيال اقوالهم ويهتدي الشعوب بانوارهم ومن هولاء البطريرك اسطفان الذي نشر عليه النسيان ستاره فاضحى غريباً بين شعبه وامته التي خدمها حتى اخر رمق من حياته · وكاد الجميع يجهلون اسمه الى ان اثارت الجنسية همة بعض الادباء [1] فاعلنوا ذخائر تآليفه واتحفوا الطائفة بكنوز علمه ونشروا بالطبع نفائس كتبه · ولم نكن نعرفه قبلاً الا بما كان ينقل عنه كتبة الموارنة مع تكرير اسمه وتعظيم منزلته وكان الاولى بهم ان ينشروه ليعرفه الجميع ثم يأخذوا عنه ما شاؤا ·

---

١ وبمقدمتهم العلامة المفضال سيادة المطران يوسف نجم مطران عكاء والنائب البطريركي

اما الان وقد اطلع الجمهور عَلَى اكثر تآليفه فاذا تكلمنا عن علمه ومعارفه لا يقع كلامنا عَلَى امر مجهول واذا اثنينا او انتقدنا صار موضوع الثناء او الانتقاد مشهوراً لدى الكل . لكننا لا نثني ولا ننتقد لان الدويهي لم يترك باباً للمعارضة والانتقاد ولا يروق لنا الثناء كما يروق لبعض الكتبة اذ جعلوه الاغراب في الكلام وتعديد الحسنات جميعها وُجدت ام لم توجد في المثنى عليه . وحسبنا ان نذكر بالتفصيل تآليف الدويهي و كتبه ونصفها بحقيقتها وماهيتها

قال البطرك سمعان عواد في ترجمة الدويهي : « انه اثناء وجوده في رومة ما كان يجد نصاً عن الموارنة الا و ينسخه وانه ما كان يهدس الا بفحص عوائد كنيستنا القديمة وفي الرد عَلَى من يقول ان الموارنة وقعوا في الارطقة . » وفي مكان آخر . « من حين انتخابه عَلَى الكرسي الانطاكي اخذ يطوف في كل رعيته وسام عليها قسوساً و كهنة ونقّى كتبنا من البدع والهرطقات التي زرعها فيها اولاد الهلاك وردّ كل عوائدنا القديمة ورتبها احسن ترتيب و كان ارسلها سابقاً الى رومة لتطبع وهي الان موجودة لدى المجمع المقدس ودرس كتب البيعة درساً بليغاً وغربل اخبار القبائل الشرقية وصنّف تواريخ الازمنة ورتب كتباً جميلة تطابق معرفته وفهمه الجزيل . . . واكثرها موجودة عندنا في رومة في المدرسة ومن طالع هذه الكتب عرف ما فيها من التعاليم العميقة ومنزلة عقله وذهنه . . . »

فعليه ان اول مشروع عكف عليه البطريرك اسطفان كان تنقيح

الكتب الطقسية لئلا يكون في معانيها او عباراتها شيء يشوب الحقيقة الكاثوليكية . ومن بحث في مخطوطات تلك الايام وجد الناس كلهم لساناً واحداً يفاخرون في مدح غيرته . ولنا شواهد حسية عَلَى صدق قولهم في ما يأتي

فاولاً انه من حين ارتقائه الى الاسقفية اخذ ينسخ بيده الطاهرة كتاب السياميد وهي الشرطونية وهو الكتاب المحفوظ في الخزانة البطريركية وقد تقدم الكلام عنه ولم يكتفِ بذلك بل انه حين رفع الى البطركية جمع ما امكنه من النسخ القديمة للشرطونية كما يذكر في مقدمة الشرح الذي وضعه للرسامات المقدسة وهذه المقدمة وجدتها بخط يده في نسخة محفوظة في كرسي مطرنية قبرس في قرنة شهوان[١] والنسخ المذكورة التي اعتمد عليها اولها واقدمها بخط يد السعيد الذكر البطريرك ارميا العمشيتي (١٢٠٩–١٢٣٩) ويليها نسخة كتبها الخوري مرقس لمتاوس اسقف عرقا وعكار سنة ١٣٢١ م . ثم نسخة دير مار اليشاع التي كُتبت في اواخر القرن الثالث عشر[٢] ونسخة الخوري ابرهيم الباني وتاريخها ١٤٩٥ ونسخة حبقوق الادنيتي وتاريخها ١٥٨١ وهي محفوظة الى الان في الكرسي البطريركي . الى غير ذلك . فقابلها واعاد ما اسقطه النساخ حباً بالاختصار واصلح ما حرّفه الجهلة وحذف ما زاده غيرهم ورد هذا

---

١ راجع مجلة المشرق ١٥ تموز ١٨٩٩ ص ٦٤٣

٢ راجع ماي في مجموعة الكتبة الاقدمين المجلد ٥ ص ٢٣

الكتاب الى رونقه الاصلي كما تركه اسلافه الاطهار الذين تسلموه من الرسل القديسين وضمَّ الى مجلد واحد مقالات الاسقف والشمامسة ليدفع السهو ويسهل عَلَى الروساء والشمامسة المتجددين تتميم كل الرتبة بدون تغيير . ثم امر المطارين والاساقفة ان يأخذوا عن النسخة التي رتبها ويجعلوا منها نسخاً عديدة في كنائسهم لتتم الرتبة بكمالها دون تغيير ولا تحريف وترفع المزاحمة والمضايقة وقد عثرنا عَلَى نسخ عديدة كُتبت بعناية اساقفة تلك الايام اطاعةً لامر بطريركهم الغيور

وفي مسودة رسالته التي بها يهنىء البابا اينوكنتيوس الحادي عشر بارتقائه الكرسي الرسولي وقد سبق ذكرها في الفصل الخامس يقول : « وارسلنا كتاب الشرطونية التي تحوى رسامات الكهنوت تتفضلوا علينا بطبعها لان الكتب التي عندنا كلها خط ومن عكاشة النساخ وجيرة الامم الغريبة وطولة مدى الزمان دخلها زهقات وتغييرات غير قليلة . والشرطونية امرها ضروري للخلاص وان كانت مطبوعة تكون سليمة ومنصانة من النقصان في جميع الكنائس . »[1] اه

وفي الوقت ذاته اعتنى بتنقيح رتبة لبس الاسكيم الرهباني [illegible] وتكريس الرهبان والراهبات لخدمة الله تعالى وساعده في ذلك المطران بطرس مخلوف والمطران يوسف شمعون واعتمد عَلَى نسخ قديمة منها محفوظة في كرسي قنوبين ومنها في دير قزحيا وسيدة حوقا وبذل جهده في ان تكون النسخة المصححة مطابقة لما وضعه النساك والمتعبدون لله منذ الازمنة القديمة

---

١ راجع المولف المذكور المجلد ٥ عدد ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣

ثانيًا · وقف البطريرك اسطفان عَلَى تصحيح رتبة تكريس الكنائس وآنيتها طبقًا للنسخ القديمة ·

ثالثًا يقول في رسالته الى الاب بطرس مبارك انه جمع ونقح كتاب الصلوات ويدعوه ܟܬܒܐ ܕܒܪܟܬܐ ولعله يريد بذلك الشحيمة وهكذا فهمه الطيب الذكر البطريرك بولس مسعد وهذه الكتب السابق ذكرها ارسلها الى رومة لتنشر بالطبع لانه كان التمس من الحبر الاعظم ومن المجمع المقدس ان تطبع في رومة لتعم فائدتها سائر ابنا البيعة ·

رابعًا ان كتاب القداس ذو شان عظيم وله منزلة كبرى في الطقوس المسيحية جميعها لانه يشتمل عَلَى الالفاظ المقدسة التي بها تتم ذبيحة ابن الله وتقدمة جسده ودمه للاب السماوي عَلَى يد الكهنة الذين اوصاهم ان يصنعوا ذلك لذكر الامه وموته تكفيرًا عن الخطايا واستمطارًا للنعم الالهية عَلَى الارض وسكانها · الا ان الانسان مطبوع عَلَى الغلط ومعرض للسهو والطغيان ولذلك لم يصن هذا الكتاب من زلات النساخ والاغلاط المتنوعة كما يظهر ذلك من النسخ القديمة ومن الطبعة الاولى للكتاب المذكور فالذين وقفوا عَلَى طبعه تركوا فيه اغلاطًا جسيمة سهوًا وانقيادًا لنسخة قديمة نشروها عَلَى عيوبها · ثم انه بعد ذلك الحين اخذ تلاميذ المدرسة الرومانية ينتقدون طقوسنا مبدلين بعض الصلوات بصلوات منقولة عن اللاتينية ويحرفون الرتب الشريفة مغيرين ما اشكل معناه وغمضت رموزه وبسبب الغلط الذي وقع في الطبعة الرومانية جعل الكثيرون يرتابون في صحة معتقد اصحاب النوافير وينفون بعضها ولاجل هذه الاسباب سعى

الدويهي بجمع النوافير المقبولة في الكنيسة المارونية ونقحها وصححها وردها الى اصلها · ولهذه النوافير نسخ عديدة منها واحدة وجدت في مار شليطا وهي من عهد الدويهي ·[1]

خامساً جمع في كتاب واحد اسرار البيعة وسماه في رسالته المذكورة انفاً : ܕܪ̈ܐܙܐ ܕܥܕܬܐ · ولعله يعني باسرار البيعة الرتبة التي توزع بها اسرار الكنيسة السبعة حسب طقس كنيستنا وهذا راي البطريرك بولس مسعد ايضاً · وهذا الكتاب لم نعثر علَى نسخة كاملة له

سادساً اعياد السنة ويسميه ܕܥܐܕܐ ܕܫܢܬܐ ܘܕܡܪܢ ܗܕܝܐ · جمع فيه الرتب التي تقيمها كنيستنا في الاعياد الكبيرة ولهذ الكتاب نسخة وحيدة في لبنان وجدت في مار شليطا مقبس وقد اسهب بوصف هذا الكتاب الخوري ابرهيم حرفوش المرسل اللبناني في مقالة نشرتها مجلة المشرق في غرة تموز سنة ١٩٠٣ ص ٥٩٥ · فان شئت فراجعها

سابعاً ان البطرك اسطفان اعتبر تواريخ الطائفة اعتباره طقوسها وكان له نحو الطائفة ما لا اخشى ان اسميه عبادة وهذه العبادة كانت تمتد الى كل ما يوضح ويبرهن حسن اعتقادها وثبات التمائها الى الكرسي الرسولي وبالحقيقة ان اكبر حجة بيدنا علَى ذلك هي البرآت الرسولية

---

١ راجع مجلة المشرق اول تموز ١٩٠٣ ص ٥٩٤

٢ هذه الكتب التي وجدت في دير مار شليطا مقبس كانت قديماً في الكرسي البطريركي ونقلها الى الدير المذكور بعض البطاركة الذين جعلوه كرسياً لهم وبالخصوص البطريرك يوسف التيان

المرسلة من الاحبار الرومانيين الى الطائفة و بطاركتها واساقفتها والمحفوظة من عهد البابا اينكنتيوس الثالث والبطريرك ارميا العمشيتي وهذه البراآت سهر عليها روؤساء الطائفة اكثر من سهرهم علَى اموال الكرسي وارزاقه وحملوها ابان الاضطهاد والهرب كذخائر ثمينة وحفظوها من النهب والحريق لتكون فخراً لخلفائهم وابنائهم وقد حركت شعائر العبادة التي سبقت الاشارة اليها البطريرك اسطفان الى ان يجمعها في مصحف واحد حتى اذا ُفقد منها شيء يعتاض عن الاصل بالنسخة وكلف بكتابتها المطران يوسف شمعون الحصروني فنسخ الرسالات البابوية عن الاصل وضم اليها ما حفظ من رسالات البطاركة والحكام وحجج املاك الكرسي البطريركي وهذا المصحف المعروف عندنا بسجل الدويهي عبارة عن ٧٧٠ صفحة اضيف اليها بعدئذ عشر صفحات اخر وفي صدر المجلد فهرس لكل ما يشتمل عليه من كتابات لاتينية وايطالية وعربيه اولها كتابة الذهبي الفم للانباء مارون واخرها امر البابا اقليمس بخصوص يوبيل عام ١٦٧٥ . وفي الصفحة ٥٧٦ هذه العبارة بيد الناسخ . « الى ها هنا خط المطران يوسف بن شمعون الحصروني من غير زيادة ولا نقصان بل على موجب صورة السجلات الاصلية ونسخة الكاتيب الصادقة التي عرضها عليه البطريرك اسطفان ܡܫܡܫܐ ܡܫܝܚܐ ܕܝܠܗ ܫܡܥܘܢ ܡܢ ܦܘܠܝܛܝܐ . الختم»

وضمن السجل المذكور بعض صفحات بخط يد الدويهي .

ثامناً ما خلا الكتب البيعية المشار اليها كان شرع في تنقيح كتاب الجنازات كما ينبئنا في رسالته الى الاب بطرس مبارك وربما لم يمكنه العمر

من انجازه · وحمل بعض الكهنة والاساقفة عَلَى استخراج قصص القديسين من السريانية الى العربية ليفهمها المؤمنون حين تتلى عَلَى مسامعهم في الاحتفالات البيعية · وكان اثناء زياراته الرعائية اذ عثر في الكتب الكنائسية على شيء مُخل بصحة الاعتقاد الكاثوليكي صححه بكل اجتهاد وتدقيق · وسنة ١٦٧٤ كتب الى مرهج نمرون الباني عن وجود كتب قديمة محفوظة في جبل لبنان لم يسر اليها سم الضلال ولم تشن صحة معانيها ايدي الكفار وحثه الا يخاف التهم التي طُعنت بها الطائفة وقال : الله سبحانه كما هو مدبر لبيعته ومتولي خلاصنا ليس اراد ان تنسخ جميع النسخات بل بعض كتب يكونوا مغيرين وناقصين و بعضهم بعينهم كاملين بلا مكر (١) »

كل ما ذكرناه الى الان يدل عَلَى سهر الراعي عَلَى رعيته وعَلَى حرص الرئيس عَلَى رونق كنيسته لتكون طقوسها محفوظة على ما وضعها الاباء الاطهار خلفاء رسل المسيح وايمانها مطابق ايمان البيعة الكاثوليكية · وفي ما سنقوله بعون الله برهان على كنوز العلم التي كان خزنها في صدره ليفيضها في اوانها عَلَى ابنا جبلته · فهو هو القهرمان الحكيم الذي قلده سيده تدبير كل ماله فاعطى الابنا طعام الكلمة في حينه وهو الذي تلمذ لملكوت السماء واخرج من ذخائره العتيق والجديد

قلنا تاسعاً وضع للشرطونية شرحاً مطولاً كشف فيه رموز الدرجات المقدسة ومعانيها واورد القوانين التي سنتها المجامع المقدسة والرسل

---

١ نمرون · كتابه في اسم الموارنة ٠٠٠ الخ ص ١١٤

والاحبار ليسير بموجبها الروساء والمرؤوسون ويتدبر باحكامها كل الذين يخصصون ذواتهم بخدمة مذبح الرب وبسياسة ابنا المعمودية. وصرح عن الطقوس التي ينبغى حفظها في رتبة وضع اليد على المنتخبين الى كل الدرجات ولهذا الشرح صورتان مختلفتان احداهما في الشرطونية المحفوظة في كرسي قبرس وتاريخها سنة ١٦٧٥ وهي بخط يد المطران يوسف شمعون الحصروني وفي نسخة اخرى في مدرسة عين ورقة ولم اعثر عَلَى غيرهما لان الدريهي نقح فيما بعد هذا الشرح وصححه وزاد عليه وغير الاسلوب فنتج عن ذلك شرح جديد يكاد لا يشبه الاول ولهذه الصورة نسخ عديدة في الاديار اللبنانية[١]٠

عاشراً وضع شرحاً عظيم الفائدة للتكريسات التي تصير عَلَى يد رؤساء الكهنة اودعه ملحوظات تاريخية واورد فيه عوائد طائفتنا القديمة ونسخ هذا الشرح غير نادرة ٠ وقد نشر بالطبع موءخراً

حادي عشر ولما ُعنى بجمع النوافير الارثوذكسية كتب سيرة الرسل القديسين والاحبار المغبوطين والابآ الاطهار الذين الفوا هذه النوافير وجعل تاريخ حياتهم واعمالهم المبرورة حجة لصواب تمسكنا باقوالهم وتآليفهم

ثاني عشر جمع في كتيب مطالع الالحان السريانية انتي تسمى الرِشقُلاَت ܦܫܩܠܐ وحللها بمقتضى قواعد نظم الشعر السرياني واشار الى

---

١ قد نشر هذا الشرح رشيد افندي الشرتوني وقد ذكر في المقدمة اني وعدته بالشرح الاخر واخلفت بوعدي فهذا افتراء مخالف واقع الامر وما كنت اظن ان اهل الادب يقدمون على مثل ذلك

الالحان المختلفة التي يمكن كل وزن ان يقال عليها تسهيلاً للاكليريكيين وغيرهم من الذين يعنيهم امر الطقوس والتراتيل البيعية وصيانةً للالحان السريانية من النسيان لعدم وجود طريقة كتابية تضمن حفظها وتقيها من الخلل

ثالث عشر من حين رجوعه من رومة اي لما كان يعلم الاولاد في دير مار يعقوب الاحباش شرع في تأليف كتاب في القربان المقدس وهو التأليف الشهير الذي سماه بعدئذ كتاب المنائر العشر وهو اهم تآليفه وانفسها قرن به التاريخ واللاهوت والليتورجية وقابل فيه بين الطقوس الشرقية والغربية ولم يترك شيئاً مما يتعلق بخدمة سر الاوخارستيا الا وتكلم عنه فكتب عن الكنائس وبنائها وترتيبها داخلاً وخارجاً وعن المذبح واوانيه ومعانيها وعن هذا السر ورسمه ومادته وصورته وعن خادم السر وموازريه وعن اللغات الطقسية واصطلاحها وعن الطقوس والنوافير الى غير ذلك من المباحث المفيدة السامية ولم يورد قضية الا واثبتها بآيات الكتاب المقدس واقوال معلمي البيعة ومجامعها ولم يصنف باباً الا وغاص في رموزه وحلها وحمل القاريء علَى التأملات الرفيعة وتركه حيراناً بين امواج بحر علمه الزاخرة او مدهوشاً كمن انفتحت امام عينيه طبقات السماوات العليا ٠ وقد طارت سمعة هذا التأليف قبل انجازه كما يشير الى ذلك مرهج نمرون والعالم الافرنسي ريشارد سيمون في كتابه عن اعتقاد الطوائف الشرقية وعوائدها (1) ٠ وعند صدوره تلقاه العلماء بالفرح

1 Hist. crit. de la créance et des coûtumes des nations du Levant, par le S. de Moni, Francfort 1684 . p 164

والحبور فطلبه من المؤلف الخوري بطرس التولاوي في حلب وطالعه القس جبرائيل فرحات ونقله الى اللاتينية الاب بطرس مبارك وقدمه للكراندوكا قزما الثالث احد امراء الاسرة المادشية الايطالية وفاخر به مرهج نمرون علماء المغرب وامر قزما المذكور بطبعه غير انه لم ينشر بالطبع اما بسبب موت المؤلف او لاسباب غيرها نجهلها [1] .

رابع عشر وله تآليف تاريخية ذات اهمية كبرى اولها الكتاب المعروف بتاريخ الازمنة وله صورتان الاولى تحتوي عَلَى تاريخ سورية المدني منذ ظهور صاحب الشريعة الاسلامية الى عهد المؤلف نقلاً عن مؤَرخي العرب وغيرهم وغاية المؤَلف بها رحمه الله جمع كل ما ذكر من الحوادث التي جرت في لبنان والبلاد التي بجواره رغبة منه في كشف النقاب عن تاريخ الطائفة المارونية [2] . والثانية تحوى تاريخ سورية

---

١ راجع نمرون في اسم الموارنة ص ١٢١

٢ حاشية : وقد عثرت في مسودة تاريخ الازمنة على اسماء المؤرخين الذين اخذ عنهم بطريركنا المغبوط واليك ما وجدته بحروفه :

من تواريخ الشيخ ابي جعفر محمد بن جرير بدوه من ظهور الاسلام والهجرة التي كان بدوءها سنة ٦٢٢ للرب واخره الى وفاة المستظهر بالله الذي هو التاسع والاربعون من امراء المسلمين والثامن والعشرون من خلفاء العباسيين وكانت وفاته سنة ٥١٧ وسبعة اشهر ويومين للهجرة اما للعالم ٦٠٦٩ سنة و ١١ شهراً و١٩ يوماً (شمسية)

كتاب تاريخ امراء الغرب التنوخيين بدوءه سنة ٥٢٧ للهجرة الى ٩٢٢ . يحتوي ولاية اربعماية سنة من ملوك دمشق ومصر والترك وامراء الغرب التنوخيين

كتاب دوحة الازهار الاسحاقية من بدء الهجرة الى سنة ١٠٣١ هجرية

خصوصاً منذ قدوم الافرنج اليها وقد ضمنه الدويهي شتات الاخبار المأخوذة من تواريخ الموارنة وحوادث لبنانهم

وليس للمؤلف فضل كبير في جمع تواريخ المسلمين لانه وجدها في مؤرخيهم اثناء تجوله في حلب وقبرس لكن فضله في وجود الاخبار المارونية ونقلها عن المؤرخين الثقات وعن الكتب المحفوظة في رومة وعن الاوراق والمصاحف القديمة المشتتة في البلاد الشرقية وعن الكنائس وتواريخها فصار بذلك المؤرخ الاول للطائفة المارونية وامام المورخين والكل اخذوا من كنوزه · ومما يجدر بنا ذكره تدقيقه في نقل الحوادث التاريخية وتمسكه باذيال الصدق والحق لانه لم يثبت الا ما وجده مثبوتاً

قطب الدين (كنوته عسرة القرآة)·تاريخ مرآة الزمان مبسوطة في نحو ثلاثين مجلداً كبيراً · — تاريخ المختصر في اخبار البشر لابن ايوب صنفه عن تاريخ ابن الاثير ويسمى الكامل · — شمس الدين بن خلكان · — عيون التواريخ للشيخ المؤرخ صلاح الدين محمد بن شاكر الكتبي · — تاريخ المسعودي · — ابن الحريري · — تاريخ الكاتب جرجس بن عميد النصراني · — تواريخ حمزة بن احمد بن سباط من بلاد الغرب من ثغر بيروت من سنة ٥٢٧ الى سنة ١١٨٣ م · — تواريخ لور يدان عن ملوك قبرس من بلدوين الابرص · — وغير ذلك من كتب التواريخ المتضمنة حوادث الزمان

واقتصر عن ذكر شرح الامور خوف الاطالة لان الغرض في هذا الكتاب الاختصار ولو اتينا على شرح مبسوط للاخبار والمكاتبات والمطالعات وفنون الاحاديث لخرجنا عن حد الاختصار بل ذكرنا كل شيء كي يفهم اللبيب الحاذق · والعلم بالبعض خير من الجهل بالكل كما قال الشاعر :

ما حوى العلم جميعاً واحدٌ   حتى ولو مارسه الف سنه
انما العلم كبحرٍ زاخرٍ   فاتخذ من كل شيء احسنه · اه

وكل ما رأى فيه محلاً للارتياب رواه مرتاباً كما رأه · ولا يتوهم القارىء ان هذا التاريخ هو عين التاريخ الذي طبع في بيروت بعنوان تاريخ الطائفة المارونية لان ما طُبع مختصر عن التاريخ الاصلي وقد تحرى ناشره رشيد افندي الشرتوني الاقتصار عَلَى ما يخص لبنان والطائفة المارونية · واخطاء بادخاله بين كتب اصل الموارنة وكتاب ردالتهم

خامس عشر قال البطريرك اسطفان في رسالته الى بطرس مبارك المؤرخة في اوائل شهر ايار سنة ١٧٠١ ما نصه : « وعمال نتعب عن سبب مدرسة الموارنة برومية وعن نفعها ونشو تلاميذها · » · وهذه العبارة وضعها في اثر كلامه عن تآليفه فاخذناها دليلاً عَلَى تاريخ مفقود للمدرسة الرومانية وبينما كنا نستفتي علماءنا عن ذلك ونجد في البحث عن هذا الاثر النفيس وفقنا الله الى الوقوف على كراسة بخط الدويهي وفيها مختصر تراجم الذين درسوا في رومة من سنة ١٦٣٩ الى ١٦٨٥ ومن الحوادث المذكورة في معرض الكلام عنهم تحقق عندنا ان الكراسة المذكورة كتبها بطريركنا المغبوط في اخر حياته ويا حبذا لو ان احداً اتحفنا بما فقد منها لكن املنا بذلك ضعيف جداً · ووجدنا في خزانة الكرسي البطريركي بخط السعيد الذكر البطريرك بولس مسعد عن هذا التأليف العبارة الاتية : وله كتاب في السبب الذي من اجله تأسست المدرسة المارونية في رومة وعن الغاية التي نجمت عنها وعن نمو تلاميذها · [1]

---

١ · يذكر ماي في مجموعة الكتبة الاقدمين المجلد ٥ ص ٢٤ كتاب الحبريات الذي رتبه الدويهي وعليه بيان الكنائس والمذابح التي كرسها من سنة ١٦٧٠ سنة ١٦٩٨

سادس عشر من اثاره التاريخية سلسلة بطاركة الطائفة المارونية فهو اول من جمع اسماءهم ونظم حلقات سلسلتهم فصار تأليفه هذا اساساً لكل ما كتب في هذا الموضوع فعنه اخذ السمعاني وغيره. ولهذه السلسلة نسخة كاملة ومصححة استخرجها الى اللاتينية القس يوسف عسكر (او اشقر) الحلبي الماروني في باريس سنة ١٧٣٣ وعنها اخذ لكيان في كتابه الشهير المعروف بالمشرق المسيحي واشار اليها مراراً واسند اليها كلامه عن بطاركة انطاكية المارونيين في المجلد الثالث من الكتاب المذكور. ويفرق بينها وبين النسخة المعروفة عندنا ذكر المصادر التاريخية التي اخذ عنها الدويهي ونقل عنها اسماء البطاركة الاقدمين رغبة منه في اقناع علماء الافرنج الذين شنعوا تواريخنا وانكروا ارتقاء بطاركتنا الى الكرسي الانطاكي منذ القرن السابع. وقد عثرت عَلَى صفحة بخط الدويهي ذكر فيها اسماء البطاركة لا غير مع الاشارة الى الكتب التي وجدت فيها والحجج التي أثبتت حقيقة تاريخهم.

سابع عشر واخيراً ان علماء المغرب عموماً كانوا قديماً في هذا الوهم ان الكنيسة الشرقية جمعاء خلعت نير الكثلكة وانكرت الطاعة لكرسي مار بطرس الروماني وانقطاع المواصلات بين اوربا والمشرق بعد زحفات الصليبيين صيّرت هذا الوهم يقيناً عند الكثيرين فلما انشأ البابا غريغوريوس الثالث عشر في مدينة رومة مدارس للطوائف الشرقية اخذ البعض من ابناء طائفتنا تلامذة المدرسة الرومانية يخبرون باللسان والقلم عن بلادنا وشعبنا وثباتنا في الوحدة الكاثوليكية منذ الزمان القديم فتعارضهم اناس من

الاوربيين وحاولوا نقض مدّعاهم وكان في عداد الاخصام افراد متمسكون بحجج تاريخية اعتبروها صحيحة راهنة وغيرهم لم يكن بيدهم سوى مستندات واهنة ونتف من تواريخ الكنيسة السريانية فطعنونا بسهام التهم ونشروا عَلَى اسمنا ستار التضليل واحصونا مع الهراطقة بغياً وعدواناً. وغيرهم آخذونا عَلَى الاغلاط التي ادخلها في بعض كتبنا الطقسية ايدي الهراطقة الحسودين وجهل النساخ ولم يقبلوا عذراً بشأنها . فهبت الغيرة الجنسية في صدور ابناء ملتنا وشرعوا يفلّون الكتب القديمة والتواريخ ليجدوا في اقوالها جواباً لنا وترساً تطيش عليه سهام الذين افتروا علينا وابغضونا مجاناً . فهذا الذي حرّك مرهج نمرون عَلَى نشر كتبه الشهيرة وقاد السمعاني في ابحاثه الطويلة وهذه كانت غاية الدويهي الوحيدة في كل دروسه وتفتيشه وقد جمع نتيجة ما تحققه واودع خلاصة ما وجده في كتابه المعروف بكتاب المحاماة (وقد طبع قسم منه تحت عنوان تاريخ الطائفة)

وهذا الكتاب يقسم الى ثلاثة اجزاء: الاول يتكلم فيه المؤلف عن اصل الموارنة والقديس مار مارون وبطريركهم الاول مار يوحنا مارون ونسبتهم اليه . والثاني سماه المؤلف كتاب رد التهم ودفع الشبه فنّد فيه قول ابن بطريق الملكي الزاعم ان مارون الراهب قال بالمشيئة الواحدة في المسيح وردّ على التهم الاخر التي قذف بها هذا المؤرخ الموارنة . واوضح كذب توما الكفرطابي وردّ مطولاً عَلَى قول غليلمو الصوري وغيره من مؤرخي الافرنج الذين عينوا لرجوع الموارنة الى حظيرة الكنيسة

الكاثوليكية آونة لم يتفقوا عليها وقد كذبت اراءهم حقيقة التاريخ · والثالث سماه المؤلف الاحتجاج عن الموارنة بحث فيه مطولاً عن الاضاليل المذهبية التي ادّعى بعض رهبان الافرنج انهم وجدوها في كتب الموارنة ورد عَلَى جميع اقوالهم واثبت صحة ايمان ملته بالبراهين الراهنة والحجج القاطعة السديدة · وهذا الكتاب لم يطبع لان ناشر الكتابين الاولين لم يقف عليه مع ان نسخه غير نادرة [١]

وهذه الكتب الثلاثة قد نقلها الاب بطرس مبارك [٢] الى اللاتينية لكنها لم تطبع بهذه اللغة فلا عجب من عناد الافرنج ومخاصمتهم الطائفة المارونية في امر ثباتهم في الوحدة الكاثوليكية · وهذا التأليف يدل عَلَى سعة علم صاحبه وتدقيقه الغريب وضلاعته في قواعد المنطق والجدل وسمو ذكائه ومهارته في تفنيد الاراء وطول حجته في نقضها والرد عليها · واغرب ما نرى في جدله انه لا يفوه البتة بكلمة ما تمس اخصامه مهما كانوا اوتدل على الاحتيال في الرد او الالتجاء الى التهكم والهجو بل انه لم يخرج قط عن دائرة الاداب والاحترام ولم يستند الا عَلَى قوة البرهان فتأخذك من مطالعة كتابه الهيبة والوقار · وقد نسب بعض المؤرخين الى البطريرك اسطفان تأليفاً في العظات · قال البطرك سمعان عواد في ترجمة الدويهي: « صنّف كتابين في العظات · » وروى ذلك المعلم رشيد الشرتوني في مقدمة كتاب منارة الاقداس · واذاع ان لديه نسخة من

---

١ راجع المشرق ١ تموز سنة ١٩٠٣ ص ٥٩٤

٢ راجع المكتبة الشرقية المجلد ١ ص ٥٠٤

مواعظ الدويهي ·

وروى السمعاني في سلسلة بطاركة انطاكية المارونيين التي نشرها في رومة القس يوحنا نطين ان الدويهي صنف ثلاث خطب في العظات وكتب البطريرك بولس مسعد ان للدويهي ثلاثة كتب تتضمن عظات الا ان الدويهي لما ذكر تآليفه في رسالته الى البادري بطرس مبارك لم يشر الى شيء من ذلك واظن ان المراد بهذا التأليف عظات القاها في حلب وجمعها لفائدة ابناء رعيته وارجح انه جمع في كتيب العظات التي القاها عَلَى شعب حلب اثناء وجوده في الشهباء مع المطران اندراوس اخيجان ودليل ذلك قول الدويهي في كتابته المذكورة انفاً وهذا نصه : « رجعت انا بنفسي معه (المطران اندراوس) وكنت اساعده في المشورة وفي كتابة الكرز الذي كنت اعطيه · » اه [١]

ومن سكوت الدويهي يستدل ان هذا المجموع ما كان بعينه حرياً بالذكر كما انه لم يذكر شيئاً عن المقالة التي وضعها في الفردوس الارضي وهو في رومة والتي كتبها عند تقديم الفحص عَلَى العلوم الفلسفية وقد مر ذكرها في الفصل الاول واقتداء به لا نطيل الكلام عن هذه الكتب المفقودة ونكتفي بالاشارة اليها و بعبارة الاسف على ما فقد منها مهما كانت · [٢]

---

١ · قد عثرت على مسودة عظات بخط يد الدويهي وزال ارتيابي بوجود هذا التأليف · والمخطوط المذكور وجدته عند الاب العالم الخوري بطرس حبيقه

٢ · وقد قرأت في مقدمة كتاب ليوحنا الدويهي عنوانه « عامود اسرائيل » ان

وقد استحسنا ان نذكر في هذا المقام ما عثرنا عليه بخط يد البطريرك اسطفان تنبيهاً للافكار ليسهر عَلَى هذه الذخائر اربابها ويحفظوها ذكراً خالداً الدويهي حتى اذا رآها ابناؤنا من بعدنا وسألوا اباءهم اخبروهم عنها ووصفوا لهم هذا البطل مثال الغيرة الجنسية وقدوة الكمال ومنارة الطائفة المارونية لانه فرض واجب على الابناء ان يذكروا مدى الاحقاب اولئك الذين هدوهم الى معرفة الحق

اولاً في الكرسي البطركي بعض صفحات في السجل المعروف باسم الدويهي وهو الاول من السجلات البطريركية . وبعض صفحات غيرها في مصحف قديم نخره العث اتى به الدويهي من قبرس ثم مسوّدة التاريخ غير كاملة . ثم مسودة كتابي رد التهم والاحتجاج اكثرها بخط يده ثم الشرطونية المعروفة باسمه وكلها بخط يده كما قلنا .

ثانياً في دير فيترون بين الكتب المأخوذة من مكتبة دير اللويزة نسخة حسنة جداً لكتابي نسبة الموارنة ورد التهم وهذه النسخة اخذ عنها رشيد افندي الشرتوني في كتاب تاريخ الطائفة ويسميها نسخة اللويزة وقسم كبير من هذه النسخة بخط الدويهي وقد خفي عليه ذلك فلم يعوّل عليها التعويل الواجب .

ثالثاً في دير الكريم نسخة للكتابين المار ذكرهما وفيها صفحات كثيرة بخط المؤلف رحمه الله

يوحنا المذكور وضع اربعة كتب في الوعظ والارشاد . فهل شبه الامر على المورخين ونسبوا هذا التاليف للبطرك اسطفان ؟ (مكتبة دير فيطرون)

رابعاً في مكتبة كرسي مطرانية قبرس شرطونية بخط يد يوسف شمعون الحصروني وعلَى هامشها بعض عبارات وفي صدرها مقدمة بخط الدويهي

خامساً في مدرسة عين ورقة في مجلد يشتمل علَى شرح التكريسات وشرح الشرطونية صفحات كتب عليها المؤلف سلسلة الدول الاسلامية في سوريا وبغداد ومصر وقسطنطينية

سادساً عند سيادة المطران بولس مسعد كراسة غير كاملة فيها تراجم تلاميذ المدرسة الرومانية · ونسخة لشرح الشرطونية كتبها القس بطرس من آل زينون (وهو التولوي الشهير) وفيها تصحيحات علقها الدويهي بيده وفي اخرها سلسلة البطاركة وعليها بعض كلمات بخطه ايضاً · ومسودة كتاب الالحان السريانية ·

ثامناً في دير مار شليطا مقبس كتاب المنائر خطت يد المؤلف الطاهرة قسماً منه · وكتاب النوافير والمعدعدان وهذه الكتب نقلت الى المكتبة البطريركية بامر صاحب الغبطة مار الياس بطرس الحويك سنة ١٩٠٢[١]

تاسعاً · في دير بقلوش مسودة اخرى لكتاب اصل الموارنة ورد التهم والاحتجاج اكثرها بخط المولف ·

عاشراً · لدى سيادة المطران عبدالله خوري مطران عرقا نسخة كاملة لكتاب منائر الاقداس كلها بخط المؤلف وقد وُجدت في

١ راجع المشرق تموز سنة ١٩٠٣ ص ٥٩٣ وما يليها

بلدة اهدن .

قيل في المثل : ان الكلام يحرك سامعيه والعمل يحمل الناظرين عَلَى العمل . وعظام الرجال قرنوا الكلام بمثال اعمالهم فسلك الاعقاب عَلَى اثارهم . فمن الناس من افتخر بخدمة افكارهم وتنفيذ اوامرهم ومنهم من ابتغى الوصول الى المنزلة التي حصلوا عليها فحذا حذوهم وجدّ في العمل تشبهاً بهم . والناس كلهم تلامذة وجنود لمن ينشر لواء الدين والفضيلة والوطنية والعلم . واننا نرى لمثل الدويهي تأثيراً عظيماً في بني جبلته ليس فقط في معاصريه بل ايضاً في الاجيال التابعة . ويعلم الله ان كل من كتب في الطائفة وناضل عنها منذ ذاك الزمان سار عَلَى اثاره وكل من سطر تواريخها ونشر معرفتها استنار بانواره . وهذا فخر وشرف لا يحصل عليه سوى القليل من الناس لا بل نقول ان كل الاعمال الخطيرة التي تشرفت بها الطائفة علماً وعملاً كان مبدأها في عهد الدويهي فهو الزارع الذي القى بذاره سائراً بالبكاء واتى مقبلاً بالفرح حاملاً الاغمار (مز: ١٢٥) . في عهده نشر ابن نمرون كتبه التاريخية واثبت فيها تمسك الموارنة بالايمان الصحيح . في عهده وبايعازه كتب الخوري بطرس التولاوي تآليفه اللاهوتية والفلسفية النفيسة . في عهده ازهرت العيشة النسكية في لبنان وانضم رهبانه واديارهُ الى واحد برابط النظام والقانون الرهباني . في عهده قدم الى هذه الديار جبرائيل فرحات وصنف الكتب الشهيرة التي تتداولها الناس شرقاً وغرباً . في عهده ارسل السمعاني الى رومة وخرج منها وصار حجة المؤرخين وزعيم المستشرقين وللدويهي في ارساله ما للغارس عَلَى الشجرة من الفضل .

وبامره سار الى رومة الخوري الياس السمعاني الذي وجد في دير النطرون في مصر المصاحف السريانية الشهيرة التي تخاطفها العلماء الاوربيون واتحفوا بها متاحفهم [١] . وهو الذي وجه الى رومة جبرائيل حوا بعد انفصاله عن الرهبان الحلبيين وحثه عَلَى طبع الكتب اللازمة للطائفة كما ينبئنا المذكور في مقدمة كتاب المزامير الذي طبعه في رومة سنة ١٧٣٧ . وهو الذي التمس من الكرسي الرسولي طبع كتابي الاناجيل والرسائل في السريانية والعربية ليسهل عَلَى جميع الكنائس اقتناؤُها وتلاوتها في الاحتفالات البيعية كما اخبرنا مرهج بن نمرون في مقدمة كتاب الاناجيل المذكور الذي وقف عَلَى طبعه في رومة سنة ١٧٠٣ . وهو الذي ارسل بطرس بن مبارك الى ايطالية . وهو الذي وجه الى رومة ابرهيم الغزيري ومخائيل المطوشي القبرسي ليسعيا في تجهيز مطبعة لكتبنا الطقسية . ناهيك عما ذكرنا من التآليف التي صنفها وسعى بنشرها مناضلة عن الطائفة ونشراً للطقوس الشرقية

ولزيادة بيان حرصه وتدقيقه في ايراده الاخبار وكلفهِ في الحوادث التاريخية نذكر انه نقل الكتابة التي عَلَى نهر الكلب من عهد مرقس اوريليوس انطونينوس قيصر وارسلها الى رومة مع ان سوق الآثار القديمة كانت وقتئذٍ في كساد [٢]

والمركيز دي نوانتل الذي تقدم الكلام عنه في غضون اسفاره في

---

١ راجع مقدمة المكتبة الشرقية وتاريخ الشهداء لاسطفانوس عواد السمعاني ص ٣١

٢ راجع انجلو ماي : الكتبة الاقدمون : مجلد ٤ ص ٤٠٩

الديار الشرقية سأل روساء الطوائف والملل المسيحية عن اعتقادهم واعتقاد شعوبهم في سر القربان المقدس وكان كلفه بذلك ملك افرنسة وعلماؤها رجاء ان يكون جواب الشرقيين واعتقادهم رداً عَلَى البدع الابروتسطنتية وفي الكتاب الذي نشره في باريس الاب بتُو سنة ١٦٧٤ تحت هذا العنوان « في ثبات قول الكنيسة الجامعة بوجود المسيح في الاوخارستيا» تقرأ شهادة بطريركنا المغبوط وقع عليها اسمه « الحقير اسطفانس بطرس البطريرك الانطاكي . عن دير قنوبين في ١٢ حزيران سنة ١٩٨٤ يونانية و١٦٧٣ للمسيح . [1]

ان في ما قلناه برهاناً كافياً عَلَى علم الدويهي وعلو المناقب الادبية التي زينه الخالق بها ليكون شرف عصره وفخر امته بقي علينا الان ان نورد ما قاله فيه بعض معاصريه من الذين عرفوا منزلته السامية . فالعلامة مرهج بن نمرون الباني في كتابه عن اسم الموارنة واصلهم واعتقادهم حين يتكلم عن الكتب القديمة التي كانت محفوظة في لبنان ومصونة من شوائب الارطقات يسند كلامه الى شهادة الدويهي ويقول عنه ما مؤدّاه انه رجل ذو فضيلة سامية وعلم واسع وله في الالهيات وتواريخ البيعة والطقوس الغربية والشرقية معرفة تفرد بها وامتاز عمن سواه : وفي مكان اخر يتكلم عن كتب الموارنة القديمة ايضاً نقلاً عن الاب نُو. اليسوعي وهذا اقرّ له انه اجتناها من محادثة البطريرك اسطفان . وفي

---

١ راجع ما ذكره عن هذه الشهادة الاب رباط في مجلة المشرق سنة ١٩٠٣ عدد تشرين الاخر ص ٩٧٣

الكتاب المذكور اعلاه عندما يتكلم الباني عن الموارنة الذين اشتهروا بالعلم يقول: ان تاج علماء الموارنة ورأسهم السيد الكلي الشرف اسطفان الاهدني بطريرك كرسي انطاكية: وتآليفه العديدة خصوصاً ما كتبه عن الطقوس الشرقية وموافقتها مع الطقس اللاتيني تعلن درجة علمه الرفيعة . اه (راجع ايضاً مقدمة كتابه)

وقد نقل كلام مرهج نمرون دلاروك في سفرته الى سوريا ولبنان وختم كلامه بهذه العبارة: قد تشرفت بمقابلة هذا الحبر سنة ١٦٩٠ في مقره في كسروان ووجدت فيه من العلم والفضيلة ما يستغرق وصفه كتاباً طويلاً [١]

وروى الكلام عينه لكيان في كتابه المشرق المجلد الثالث ص ٧٢ و ٧٣ ومدح الدويهي مدحاً بليغاً وذكر كلام بلاسيوس ترزي عنه اذ قال: انه رجل عالم اتقن معرفة لغات كثيرة الى ما ليس وراءه غاية . اه . واثنى عَلَى تآليفه التاريخية والدينية استناداً عَلَى شهادة السمعاني

ولا حاجة الى ايراد قول رئيس العلماء يوسف سمعان السمعاني في شان الدويهي لانه ادّى له الاحترام والوقار طول حياته وكان في خاتمة برهانه يذكره ولا يزيد عَلَى حجته حجة واذا وجده غير مصيب في امر ما اصلح الغلط واعتذر عنه . واذا ذكره في معرض كلامه عن تاريخ الموارنة او عن الطقوس الشرقية خلت القديس توما يتكلم عن ارسطو او احد معلمي الالهيات عن ملاك المدارس وكما انهم يقولون قال الفيلسوف

---

١ . راجع Evoplia في المقدمة ودلاروك صفحة ٩٨

او قال المعلم · هكذا يكتب السمعاني : قال الاهدني ·

وقال عنه يوسف مبارك مطران صيدا في اخر كتاب الشرطونية الذي سبقت الاشارة اليه : « اب الاباء ورئيس الروساء الجالس عَلَى كرسي بطرس المكلل في جميع العلوم الالهية والطبيعية والرياضية فريد عصره في معرفة التسليمات الرسولية وقوانين المجامع الارثوذكسية الحاوي جميع فضائل القدماء وفائز عَلَى علماً زمانه الاب الاقدس سيدنا وتاج روسنا البار مار اسطفانوس الهدناني المعظم بطريرك مدينة الله انطاكية وسائر المشرق · تكون تعلم ايها القارىء الماهر انه من حين جلس هذا الاب النبيل القديس عَلَى الكرسي البطريركية لاجل زيادة غيرته الالهية فحص اكثر كتب طائفتنا وصححها وردّها الى نص الرسل الاطهار والاباء الابرار وتعب خصوصاً عَلَى كتاب الرسامات والتكريسات والتبريكات والصلوات وسائر الرتب التي تصير في طول السنة · نطلب من الله سبحانه وتعالى ان يرفع شأنه ويعلّي كرسيه ويديم لنا حياته ويمد برئاسته علينا زماناً طويلاً · » اه ·

وكان المطران يوسف شمعون يسميه الحبر الفاضل والمعلم الكامل · والبعض كانوا يدعونه قبة الحكمة ومعلم الشرق · والبعض وحيد عصره وفريد دهره في العلم والقداسة الى غير ذلك من الاقوال الفخيمة

وقبل ان ننتقل الى باب اخر نقول ان الحق نطق عَلَى لسان ذاك الذي كتب في كتاب عيد المائة سنة للمدرسة الرومانية : ܠܡܫܡܠܝܘ ܠܗܘܢ ܠܗܿ ܡܠܦܢܐ ܕܡܕܢܚܐ « لا يفي الكلام بمدح هذا

الحبر المفضال » . لانه لم يقم في الشرق كثيرون مثله ولا نستصغره عن اكبر الملافنة . فبالتاريخ ضاهى ابن العبري وبالكلام عن الاسرار المقدسة والغوامض الالهية شابه الدمشقي ولو انه عاش في القرون الاولى لاعتبره الأيمة كاحد اباء الكنيسة . لكن بالغيرة عَلَى الدين الكاثوليكي والمناضلة عن ابناء الكنيسة عموماً وعن طائفته بالخصوص فانه فاق الجميع فصار بتواريخه مبدع تواريخنا وبمنائره منارة اعتقادنا وبجهاده ونزاهته مثال الروساء ونخر المروءسين . وبعد التأمل باعماله وتآليفه واعتبار الظروف التي تقلب فيها نقول ولا نخاف كلمة معارض انه اعظم ماروني علماً وعملاً : اعظم من العمشيتي اعظم من ابن القلاعي اعظم من الحاقلاني اعظم من ابن نمرون اعظم من السمعاني نفسه في وجه طائفته بهذا المعنى اي انه لم يكتب حرفاً ولم يعمل عملاً الا لخيرها بعكس السمعاني الذي لم يخصص لها سوى القليل من تآليفه النفيسة والعديدة . لا بل اتجاسر واشبهه بالسرومي لانه شابهه في المعارف وحارب مثله اعداء الدين وركّن الطائفة عَلَى اساس الاباء الاقدمين ونشر بيننا معرفة الاجداد واخبرنا من اي صخرة قطعنا فاضرم في قلوبنا محبة من سلفوا وتقدمونا في الايمان ونشطنا على الثبات في الدين

الفصل الحادي عشر

في قداسة حياته وطهارة سيرته [١]

من الناس من يفتخر بما تملك يداه من حطام هذه الدنيا الفانية وهذا يخدع ذاته ويغرها بالاباطيل · ومنهم من يتيه بمعارفه وعقله وهذا لو فكر بما يجهله لمات حزناً من غباوته · ومنهم من ترتجف الشعوب امام عظمته وهو يستنشق الفخار والمجد كالهواء وينسى انه تراب وعائد الى التراب ولعمري ليس الغنى شيئاً ولا الجاه ولا العلم ولا الجبروت بل كل ما في هذا العالم باطل ما خلا حب الله وخدمته تعالى · هذا هو الكنز الذي لا تناله يد السارق ولا يأكله سوس · هذه هي الحكمة الحقيقية بل راس الحكمة · وهذا هو السلطان الذي يخضع تحت اقدامنا قوات النور والظلام فدع الجهال ومالهم · ودع الامم وحكمتها ودع العظماء وشأنهم اما نحن فلنا كنوز في السماء وقد صار لنا المسيح حكمة وقوة · فاذا لمع تجاه اعيننا المال البراق واستغوتنا اللذات المسكرة اثنينا عنها بالفرح واملنا عنها ابصارنا نحو القائل : طوبى للمساكين · طوبى للجياع والعطاش : وان عيرنا ابنا هذا العالم بمعارفهم وحكمتهم اجبناهم : لا نعرف شيئاً سوى المسيح مصلوباً الذي اختار الجهال ليخزي الحكماء · وان ضيق علينا اركون هذا

---

٢ اننا نتكلم عن قداسة الدويهي وعن الكرامات التي صنعها الله على يده على سبيل الاخبار مخضعين حكمنا في كل ذلك لحكم الذين وكل اليهم الروح القدس تدبير بيعة الله

العالم واضطهدنا فرحنا بسلوى الروح الذي يفيض السلوان في قلوب خائفيه ذاك الذي وعد المبغضين لاجل اسمه اجراً عظيماً في السماء · فيكون شرف المسيحي المتعبد لله ورجاؤه لا في الامور المنظورة بل في تلك التي لا ترى وبهذا يمتاز عن بقية الناس لان الانجيل وحده علم الآدميين التنزه عن الدنيويات وجعل الفخر في الفقر والحكمة في خضوع العقل لكلمة الله وسعادة الدنيا في راحة الضمير وانزل الاعزاء عن كراسيهم ورفع المتواضعين فمها قلنا عن المسيحي ومهما وجدنا فيه من العظمة والقدرة والعلم ان لم يكن عَلَى راسه اكليل القداسة فهو حقيقة احقر الناس ·

وللطائفة المارونية ان تفتخر بانها تأسست بالقداسة على صخرة الايمان ونشأت بالقداسة وثبتت عَلَى القداسة كأن الله الذي خلقها وحفظها في الفقر اراد ان تتزين بالفضائل وتتكلل بالنعمة وتبلى بالمحن والكوارث لتقوى عَلَى الاعداء الغير المنظورين فاضحت بنعمته تعالى عروساً نقية لا يشوب بهاءها دنس · ومن درس آثارها وزار اديارها اذهله ما بقي في لبنانها من علامات القداسة وحار فكره في شدة تمسك بنيها بعرى التقى وخوف الله · ومن بحث في تواريخ رؤسائها الفاهم يتقلدون الفضائل مع الرئاسة ويتوارثون مع سلطانهم الرهيب ضروب الزهد والقداسة · وحق لنا ان نقول مع احد اصفياء الله : اننا بنو القديسين وان حرمنا الله من هذه الدنيا فننتظر منه الحياة التي يهبها للذين لا يصرفون عنه ايمانهم (طوبيا ٢ : ١٨) ·

فالبطريرك اسطفان الدويهي كان خلاصة الشعب الماروني وفيه

تقمصت الفطرة المارونية بكل صفاتها الحسنة وذلك منذ صغره ولما تسنم المراتب العالية واطلع عَلَى اخبار سلفائه الابرار اخذ من امثالهم سبيلاً لممارسة الفضائل كلها فصار بايمانه كابرهيم الخليل وشابه باتكاله عَلَى عناية ربه وتدبيره ايوب الصديق واحب السيد المسيح كالتلميذ الحبيب وزيّن عنقه بقلادة الفضائل الانجيلية فامسى مثال الرعاة الصالحين · ولاجل بيان ذلك نورد في هذا الباب ما كتبه معاصروه [1] لئلا نقع في شرك المبالغة او يتهمنا القارىء بالتفخيم والتبجيل ·

فاذا تصفحنا ترجمة حياته نرى انه من حين دخوله المدرسة الرومانية اكتسب رضى معلميه ومحبتهم ليس باجتهاده في الدرس فقط بل بقداسة حياته وطهارة سيرته · وروى البطرك سمعان عواد ان اجتهاده في اكتساب الفضائل والابتعاد عن كل خطية كان عظيماً جداً حتى ان معلم اعترافه كان يشهد انه لم يجد فيه اكثر الاوقات مادة كافية لاعطائه الحلة وكان ارفاقه في المدرسة يقولون انه لم يفعل شيئاً يمكن ان يكون خطية عرضية · وفي ايام الاحاد والاعياد والبطالات المدرسية كان تردده الى المكاتب والكنائس ·

وما برح ينمو في الحكمة والنعمة عند الله والناس يوماً فيوماً · ولما اعتراه مرض العينين كما سبق الكلام في محله ذهب الى الكنيسة وخر ساجداً امام مذبح والدة الاله فمنحته شفاءً تاماً وفي عمله هذا واتكاله عَلَى ام المخلص دليل عَلَى تقواه العظيمة وايمانه الوطيد

---

١ · خصوصاً البطرك سمعان عواد

ومنذ مبارحته المدرسة اخذت الفضائل التي كان تعلم ممارستها تظهر الى الخارج وتذهل كل من كان يدنو منه · فمن هذه الفضائل التواضع المسيحي القائم بمعرفة الانسان ذاته معرفته حقيقية رغماً عن تعظيم الناس له وعن البرقع الكثيف الذي يغطي بصيرة الكبار اذا وُجدوا بين قوم سذّج ونظروا الى معارفهم وجهل من يحيط بهم وامالوا آذانهم الى احاديث المرآئين المدلسين · وهذه الفضيلة التي سماها الروحانيون اساس الحيرة المسيحية ومبدأ كل الفضائل ظهرت في البار اسطفانوس منذ صباه فلما تمم دروسه ورغب اليه سادات المجمع المقدس وغيرهم ان يبقى في رومة رفض ذلك تعلقاً منه بوطنه وطائفته واستكباراً لطلبهم · ولما كانت الجموع تتراكض لتسمع محاوراته التي كان يقيمها في المدرسة ما كان يفتخر ولا يتكبر عَلَى ارفاقه بل بعكس ذلك كان يحسب ذاته ادنى الجميع واصغرهم وهذه الشعائر الباطنة كانت تظهر في توقيره للجميع وانقياده لهم في سائر الامور · وعند رجوعه الى قريته لم يطلب العلا والمديح بل اختبأ في دير واعتنق الانفراد الرهباني طوعاً وتفرغ للاعمال الوضيعة ولتعليم الاولاد ولترويض بني بلدته في اعمال البر مبتغياً رضاه تعالى لا غير · ومكث في تدبير النفوس وتعليم الشعب وسياسة الرعايا الى ان دعاه الله الى البطريركية واذ علم بوقوع انتخاب السادة المطارين عليه فرّ هارباً وتخفى الا ان الله لم يبلّغه منيته · لكنه قبل ان يثبته عَلَى كرسيه ودليلاً عَلَى رضاه تعالى عنه امتحن صبره وتقواه لان الله يمتحن بالتجربة الذين يخافونه · فقام عليه نفرٌ من الطائفة وطلبوا عزله عن البطريركية فالقى همه عَلَى الرب وسلم اليه

تدبيره وفي الحال كتب للخوري يوسف شمعون ان يرجع بدون براآة التثبيت فلم يسمح الله ان تطبع صورة الخاتم معلناً بهذه الاية ان انتخاب اسطفانس صار بالهامه وارادته القدوسة لا من اللحم والدم ومن هذا الحادث يعرف القارىء سمو فضل هذا البطريرك ونزاهته عن المقاصد الزمنية والافكار البشرية

وسأله مرةً احد اصدقائه عما اذا كان كتب شيئاً من تآليفه الكثيرة حبًا بالاشتهار وتظاهراً بالعلم فاجابه انه لم يكتب الاما يراه الحق والصدق بدون غرض شخصي البتة · وقد اشرنا في باب اخر الى ادبه واحترامه للاخصام فلم يهزأ ولم يستخف باحدٍ منهم ولم يمسهم بكلمة واحدة قارصة مع ما في هذا الامر من الصعوبة فانه فضلاً عن مراعاة الاداب وضع نصب عينيه محبة القريب كما سنها المخلّص في انجيله الطاهر

وكان في بطريركيته اذا قدم اليه بعض المظلومين يمد لهم يد المساعدة وينتصر لهم واذا دخل عليه احد الفلاحين كان يلاقيه الى الباب ويجلسه عَلَى كرسيه ويسكب له خمراً في قدحه ويناوله اياه ويعامله كالام الحنون ولا يصرفه الا مسروراً مجبور الخاطر · وشهد لنا البطرك سمعان عواد انه كان متضعاً عَلَى السدة البطريركية اكثر مما لو كان خادماً في المطبخ · ونحن لا نريد زيادة عَلَى هذه الكلمة بل نطلب من القارىء الفاضل ان يمعن فيها النظر ويتأمل عظم هذا الاتضاع في مثل هذا المقام السامي

ولا يتوهم احد ان الاتضاع يستلزم الضعف او يولده فان سير القديسين جميعهم تزيل هذا الوهم والتواضع المسيحي المبني على معرفة الانسان

نفسه وعلَى معرفة واجباته نحو الله والناس يحمله علَى احتقار الذات ويقويه علَى تتميم فروضه وعلى القيام بحقوق وظيفته ورتبته· فالبطريرك اسطفان مع ما كان عليه من التواضع كان يحافظ علَى شرف مقامه امام الناس ويبين في تصرفاته درجته العالية التي لم يسمح لاحد قط ان يبدي نحوها امارات الاحتقار· وهذا ايضاً من غرائب الدين المسيحي فانه يعتبر الاتضاع كاكبر الفضائل الراشنة ويطلب في القديسين القوة والنشاط وهما في تعليمه هبتا الروح القدس· فالبطرك اسطفان مارس التواضع كالقديسين وافاض الروح القدس هاته المواهب في قلبه فاظهرها في اعماله واحتمل من الشدائد ما لا تقوى عليه قدرة الانسان ان لم يعضده الله وقد ذهب مؤَرخو حياته الى انه لم يرَ قط يوم راحة في مدة رئاسته كلها ولما كان الحكام والمشائخ والامراء يسعرون نار الحروب باختلافاتهم ومطامعهم كان البطريرك يتأثر في قلبه ويحزن من خراب وطنه وضرر ابنائه وكان يدافع ويقاوم ويناضل بلا راحة ولا خوف ويجاهد للحق ولو لحقه الاذى· وجمع مراراً اعيان الجبة وحثهم ليتفقوا علَى اقامة حاكم ثابت لها وكان يبكتهم ويوبخهم ويعلن سخطه عليهم اذا لم يطيعوا· وكلفا بهم وبخيرهم الزمني والروحي قاسى اهوالاً وعذابات لم تنزل بغيره بصبر لا نفاد له ونشاط لا يعرف الملل· وقد ذكر مؤَرخ حياته البطرك سمعان عواد انه قبل الشتم والعار مراراً وكان يفر هارباً امام مضطهديه من مقاطعة الى اخرى واختبأ كثيراً في المغاور وبين الصخور غير مبال بلهيب الشمس في الصيف وبقرص البرد والزمهرير في الشتاء وكابد مرائر الجوع

اياماً طويلة واقتحم الموت مراراً وما كان نجا منه لو لم تحفظه العناية الربانية وتعقبه اعداؤه مرة في ايام شيخوخته فاضطر ان يطوف في الاحراج والوديان « عَلَى شبه البهائم والوحوش [1] » حتى كاد يموت من شدة البرد والزمهرير فنزل في قلب ليلة مقمرة مع يازجيه الخوري الياس شمعون الحصروني وحده من مغارة موقعها تحت قرية الحدث في الجبة وعند وصوله الى سيدة الكرم وهي كنيسة صغيرة الى جنوبي وادي قديشا وحولها بيوت شركاء الكرسي البطريركي وجدها مقفلة فوقف قدام الباب وكشف راسه وصلى نحو ربع ساعة ثم نزل الى النهر وعبره وسار عَلَى طريق قنوبين ولما وصل فوق المطحنة التي الى جانب الجسر الحالي انهكه التعب وخانته قواه فجلس في الطريق فنصحه رفيقه ان يقوم من هناك لئلا يراه احد من الاعداء لان ضوء القمر كان احال الليل نهاراً ولئلا يؤذيه الهوا البارد الاتي من الوادي لانه كان عرقاناً من عنف المشي وصعوبة الطريق فقام وتنحى عن الطريق وجلس في ظل تل قريب واتكأ راسه عَلَى العصا التي كانت بيده واخذ ينتفض من البرد فرق لحاله كاتبه المذكور وخاف عَلَى حياته وحار في امره وبعد نصف ساعة وهو عَلَى هذه الحالة وافاه مكارو الدير الذين كانوا ينتظرون قدومه فركب وسار معهم نحو دير حوقا الا ان الطريق لم تمكنه من الركوب فاضطر ان يمشي رغماً عن وعورة المكان وكان اذ ذاك ابن سبعين سنة فما بلغ الدير الا عَلَى اخر رمق . وزد عَلَى كل ذلك انه عند وصوله الى دير حوقا وجده مقفلاً

---

[1] . عن البطرك سمعان عواد

فارسل بطلب المفتاح من قنوبين والتزم ان ينتظر رجوع الرسول في الخارج ومكث نحو ساعة معرضاً للاهوية والبرد فلحقه من ذلك عذاب لا يطاق . ولما دخلوا الدير تمكن البرد من كاتبه من جراء ما قاسى في تلك الليلة فنهض البطريرك واضرم ناراً وقدم له عرقاً وسقاه شيئاً منه ونسي نفسه وما زال يعالجه كالام الرؤوف الى ان شفي تماماً

ولما تآمر عليه بعض المطارنة والاساقفة وارادوا ان ينزلوه عن كرسيه اشهر سلطته عليهم ووبخهم وتهددهم وحرم كل من يرى رأيهم ويتعصب معهم وكان يشعر بثقل حمل وظيفته السامية وكان عزم على ان يتنزل عنها لو لم يمنعه عن ذلك حبه للطائفة وعدم اكتراثه براحته الخصوصية . وفي كل ما كان يصيبه من الاضطهاد وما يتراكم عليه من الشدائد وما يكابده من البلايا والضيق لم يضطرب قط ولم يفشل ولم يحزن بل كان في كل وقت معتدل الطبع مسروراً قابلاً كل شيء من يد الله وموجهاً اعماله كلها لمجد اسمه تعالى وعند نزول المصائب كان يكرر قول الرسول : ان جميع اوجاع هذا العالم لن توازي المجد الذي سيظهر فينا [1] : وفي المغاور والاودية حيث كان يختبىء كان ينقطع للصلوات الطويلة والتأملات المديدة ولتصنيف الكتب لانه لم يكفف عن القرآة والتأليف حيثما كان واكثر تآليفه كتبها في البراري كما قلنا

ومرةً ما عاد كاتبه من طرابلس الى قنوبين واصابه في الطريق شيء من المطر ولما نظره البطريرك اسطفان في تلك الحالة نهض لساعته عن

١ . رومية ٨ : ١٨

الفراش الذي كان ملقى عليه بسبب وجع رجله ومن داء النقرس الذي
كان يعذبه وجعل يمشي عَلَى رجلٍ واحدة حتى وصل الى الصندوق فناوله
منه قميصاً ناشفاً وقدح خمر واضرم ناراً ودعاه ليصطلي فانذهل كاتبه[١]
من صبره على اوجاعه وشفقته عَلَى غيره . ومرةً اخرى كان سائراً في
جرود الجبل بين الثلوج وكان البرد قارصاً حتى ان الخيل كادت تعجز
عن السير ولما رأى البطرك ارفاقه موءلمين مكتئبين نزل عن فرسه وسار
قدامهم ماشياً رغماً عن كبر سنه واخذ يشجعهم بكلامه ومثله وظلم نفسه
ليرحمهم وثقل عَلَى ذاته ليخفف شدتهم

فهذه المزايا اي القوة والحنو والنشاط والجودة قلما توجد مجتمعة في
شخص واحد مثلما كانت في البطريرك اسطفان الذي يمكن ان يقال عنه
انه كان قوياً صلباً كالالماس وحنوناً كأم شفوق

ولا حاجة الى ذكر تمسكه باذيال العدل والانصاف في الاحكام
وغيرته عَلَى ابناء الكنيسة وخصوصاً عَلَى طائفته وجهاده في نشر لواء
الايمان الكاثوليكي ومناضلته عن حقائقه المقدسة تجاه كل الاخصام . اما
تقواه فانها كانت عظيمة كسائر مناقبه فكان في الصلوة يكتف يديه
ويحني راسه ويطرق الى الارض ويجلس هكذا بدون حركة في حضرة
الباري بكل خشوع ووقار . وفي مدة رئاسته عَلَى الكرسي الانطاكي كان
يقوم في نصف الليل شتاءً وصيفاً ويصلي ويتوسل الى الله ساعات طويلة
وسمعوه مراراً كثيرة يتكلم مع مريم البتول التي كان كرس ذاته لها بعبادة

---

١ . وكان هذا الكاتب من انسباء الخوري الياس شمعون

خصوصية وهي ترآت له اكثر من مرة خصوصاً في اوقات هربه من وجه
اعدائه والذين كانوا يطلبون قتله وقالت له مرة « ان لا يخاف عَلَى مال
الدير لان قشة منه لا تذهب » كما جرى بالحقيقة لانه كان يبتعد عنه
شهور وسنين ويأتي اليه الكفار والاعداء ولم يلحقه ادنى ضرر · وفي ذات
يوم دخل احد الرهبان الى قلاية البطريرك فوجده يبكي وينوح فسأله عن
سبب بكائه فاجابه : ان اللصوص الذين عارضوا مريم البتول في الطريق
ماذا كان يمكنهم يسلبونها : وكان وقتئذٍ موضوع تأمله هرب البتول الى
مصر · وكانت هذه العبادة الحارة تنمو وتزهو بين اشواك التقشفات
الجسدية التي مارسها حبرنا المغبوط منذ صباه فمن حين وجوده في المدرسة
كان يميت حواسه في الاكل والشرب والنظر ولم يذق قط بواكير الاثمار
الجديدة التي كانت توضع عَلَى المائدة وكان يترك ما يشتهيه الذوق وتميل
اليه الطبيعة الحيوانية من المآكل والمشروبات وقال اكثر من مرة انه لم
ينهض قط عن الاكل شبعاناً وسأله مرة احد اصدقائه عن السبب الذي
كان يفعل ذلك لاجله فكان جوابه : اما تريد ان نميت الجسد احياناً
بشيء يسير ونربح شيئاً يفيد نفوسنا : وانقطع عن اكل اللحم طول حياته
ولم يذقه في اوقات مرضه الا باشارة مرشده وامره وكان يمتنع عن المآكل
الفاخرة ويرضى بكلما يأكله رهبانه · وكان زاهداً قنوعاً ضيقاً عَلَى نفسه
محباً للفقر حب القديس افرنسيس الكبير له · فكانت قمصانه وسراويله
عتيقة وكان يظهر امام الناس بغنباز ازرق لبسه سنين عديدة · وحدث
ان احد الحلبيين اهدى اليه شقة حرير حسن اللون غالي الثمن ليقطع له

منها ثوباً يلتحف به فقال البطريرك عند قبولها : لو انه عمل منها بدلة او او بدلتين للكنيسة لكان عمله افضل : ولم يرد ان يلبسها بل اعطاها لاحد المكارين واخذ منه رستميته العتيقة ولبسها

فمن كانت هذه صفاته وفضائله هل يتركه الله او يرد له طلباً . حاشا . لان الله لا يخيب المتكلين عليه ولا تغلبه خليقته بالجود . وقد شهد البطرك سمعان عواد في كلامه عن الدويهي ان اعماله كانت جميعها مرضية لله ولذلك صنع الله المعجزات عَلَى يده شهادة لفضيلته وتأييداً لتعليمه فكل من غضب عليهم في ايام رئاسته او اوقع بهم الملامات الكنائسية ماتوا مرذولين من الله والناس . فالبعض من الذين حرمهم البطريرك اسطفانس قضوا اجلهم في العذابات المختلفة والبعض قتلوا بالسلاح والبعض وقعوا في ايدي اعدائهم وماتوا موتاً شنيعاً . لان الرب القدير حفظ لذاته الانتقام من الذين يصنعون السوء في عبيده . فان البطريرك اسطفان حرم احد رهبان الافرنج الساكنين جزيرة قبرس لنقائص ارتكبها فغضب المرسل المذكور وطفق يطعن بالبار اسطفانس ثم هم بالسفر الى لبنان ليؤنب البطريرك عَلَى ظلمه لكنه عند وصوله الى الميناء انقض عليه الموت كالصاعقة وقد روى هذه الاية القس جبرائيل حوا نقلاً عن يوسف الكلداني والمطران اسحق مفريان السريان الذي كان مع الدويهي لما صارت هذه الاية . وحرم الدويهي خورياً في بلاد صيدا لنسخه كتباً ممنوعة فمات بعد ثلاثة ايام

وحظي البطريرك اسطفان بنعمة جزيلة من لدن الرب الذي منحه

في حياته وبعد مماته قوة صنع المعجزات وشرفه في اقطار المسكونة وجعله مصباحاً في بيعته ينير السالكين في طرق الخلاص · ونحن نذكر هنا الايات التي جرت عَلَى يده وبشفاعته كما وجدناها وكما رواها مؤرخو حياته وان جهلنا زمان حدوثها :

قيل انه لما كان في قرية مجدل معوش التهبت النار في حظيرة احد الدروز فطفق هذا يتوسل الى اوليائه وليس من يستجيبه فقال له الحاضرون توسل الى شيخ مجدل معوش يريدون بذلك البطريرك اسطفان فصنع وللحال طفئت النار ولم تحدث بماله ضرراً · ولما كان الغد اخذ ماعزاً وغير ذلك حسب مكنته وقدمه للبطريرك واخبره القصة بالتفصيل

وفي اثناء وجوده في القرية المار ذكرها اي بين سنة ١٦٨٣ — ١٦٨٥ تعاهد بعض اهالي القرى المجاورة ان يأتوا بهدية الى مجدل معوش لتقبيل اقدام البطريرك والتماس بركته وفي صباح يوم مجيئهم وُجد احدهم غائباً فلم يدعوه ولم ينتظروا قدومه ولما حضر من غيبته وعرف بذهابهم دونه اغتاظ من ذلك جداً وعزم عَلَى التوجه وحده لكنه حار في ما يقدمه للبطريرك وفي كيفية مواجهته له لانه كان فقيراً وبعد التروي اخذ شنبلاً من القمح ومضى · فقبله البطريرك بكل حنو وبشاشة وباركه وبارك ماله وارزاقه فلما عاد الرجل الى بيته راى وعاء القمح مملوءاً قمحاً فاخذه العجب وذهب اخبر سيده بذلك وكان هذا درزياً فاخبر الامير بكلما جرى فقال له الامير : لا تتعجب فان البطريرك اسطفانس قد صنع آيات تفوق هذه الآية : وكان الامير يقول عن البطريرك ان له

دالة عظمى عَلَى الله تعالى · حتى انه كان يقول ايضاً : ان الملة المارونية اذا فقدت هذا البطرك لا يبقى لها حال

ومرة اخرى شتمت امرأة اختها واتهمتها بامور شريرة زوراً على سماع البطريرك فقال لها البطرك هذا اللسان يستوجب الربط · وفي الحال اعتقل لسانها

ومرة استدعى البطريرك مشائخ الجبة واعيانها للنظر في حالة البلاد وكان محل الاجتماع تحت شجرة تين في قرية ايطو ولما ابوا الانقياد لكلامه طعنهم بنبال الحرم وغضب عليهم فللوقت يبست التينة وتناثرت اوراقها وشهد البطريرك سمعان ان هذه التينة كانت باقية في ايامه ناشرة عَلَى اغصانها اليابسة قوة سخط الدويهي

ولما كان في بكفيا في احدى السنين انحبس المطر مدة طويلة حتى ان الزروع والاشجار تلفت وورق التوت تساقط من الاغصان فتقدم اليه سكان القرية وطلبوا ان يعمل طوافاً (زياحاً) في القرية ابتهالاً لله فلما كان اليوم الثاني قدم الذبيحة الالهية عَلَى هذه النية واحتفل بالطواف مع اهل القرية وبعد الحفلة اذ جلس عَلَى المائدة للغذاء سمع صوت ارعد ثلاثاً فظن البعض انه صوت مدافع بوارج دخلت ثغر بيروت وبينما هم يتحدثون تغير الجو وهطلت الامطار بغزارة وانتعشت الارض والنبات · وكان حاضراً في بكفيا رجل تركي وعد انه يصير نصرانياً اذا امطرت السماء فعندما راى المطر فرّ الى بلاد الدروز خوفاً من ان يلزموه بما وعد · وبعد ذلك بقليل لقي جزاء كفره وقتل

ولما كان البطريرك في بكفيا كان احد الاولاد مريضاً وقد اشرف عَلَى التلف فلما رأَى ابوه حاله ارسل احد بنيه الى الكنيسة حيث كان البطريرك اسطفان يقدم الذبيحة الالهية وامره ان يأخذ في اخر القداس قليلاً من التراب الذي كان واقفاً عليه ففعل الولد كما امره ابوه ثم اخذ التراب وذوبه بقليل من الماء وسقى ابنه المريض منه فلما شرب الماء عوفي وفي الغد قام يلعب مع الاولاد . وهذا الولد انخرط بعدئذ في سلك الكهنوت وصار اسقفاً وهو المطران فيلبس الجميل . وخبر هذه الاعجوبة وغيرها مما سبق حرره القس مخائيل القرطباوي تلميذ رومة وارسله الى المدرسة الرومانية بتاريخ ٢٠ آب سنة ١٧٠٥ وشهد انه كان معلم الصبي المذكور وان والديه اقسما له ان الامر جرى حسبما ذكرناه

ولما كان البطريرك في كسروان تهدده احد الاشقياء بالقتل واستل مدية ليطعنه بها فابتلاه الله بالجنون وبعد ان ارسله اقاربه الى دير قزحيا وعوفي عاش قليلاً ومات .

ومرة انحبس المطر طويلاً وكادت الزروع تجف فقام البطريرك مع المطارنة والاساقفة والأكليروس بالطواف من دير قنوبين الى مغارة القديسة مارينا حاملين صورتها وعليهم الحلل الحبرية وقبل رجوعهم الى الدير انحدر المطر بغزارة . وهاتان الآيتان رواهما للبطرك سمعان الخوري الياس شمعون الذي شاهدهما بعينه

واخبر كثيرون انه لما كان في قرية ساحل علما انحدر بردٌ شديد اضر بالاشجار وكان اذ ذاك البطريرك نائماً . فدخل عليه احد الكهنة

وايقظه من نومه وقال له : ياسيدنا قد عطلت ارزاقنا وتلفت غلالنا فاشفع بنا بصلواتك : فنهض وقال لا تخافوا · ثم كشف عن راسه ووقف في الباب واخذ يصلي لله ويطلب منه ان يلطف بعباده ويرفع غضبه فوقف انحدار المطر حالاً ·

واخبر البطرك سمعان عواد قال : ان صديقنا الشماس يوحنا وهبه الدويهي [1] ابن اخ البطريرك اسطفان ذكر في كتاب له عن الحوادث الشهيرة التي صارت من سنة ١٦٩٥ الى سنة ١٧٠٤ خبر آيتين اخريين نوردهما نقلاً عنه · قال ان النار اشتعلت ذات يوم في وادي قنوبين وامتد لهيبها من تحت الحدث الى بريسات (الى غربي كرسي الديمان القديم) واستمر سعيرها سبعة ايام متوالية فاحترقت الاشجار من النهر الى راس الجبل وتشققت الصخور واخذت تتدكرب وما عاد احد يتجاسر يمرّ في الوادي وفي احد الايام عند الظهر خرج السيد البطريرك ينظر الحريق وبجانبه المطارين وبعض الكهنة والشمامسة وجمهور اناس غيرهم وبينما هم ينظرون انفصل صخر كبير من الشير الذي تحت بريسات وسقط نحو الجزيرة التي قبال الطاحون في قاطع بريسات فصرخوا جميعهم متأسفين : راحت الجزيرة : فرفع البطريرك يمينه ورسم نحو الصخرة اشارة الصليب وقال لها : تهدي يامباركة : فوقفت في مكانها في نصف الطريق وشاهدها

---

١ · ليوحنا وهبه كتاب عنوانه عامود اسرائيل عثرت على نسخة منه في مكتبة ديز فيطرون واربعة كتب في الوعظ والارشاد وفي مقدمة كتابه الاول يقول انه كان في رومة سنة ١٧٠٦

جميع المارين من هناك · ومن الذين حضروا هذه الاعجوبة يوحنا وهبه الذي كتبها في مجموعه السابق ذكره والشماس سمعان عواد الذي نقلها عنه وكان شاهداً عيانياً

الآية الثانية شاهدها ابراهيم الغزيري الذي ترأس على دير مار يوحنا رشميا لما كان الدويهي في مجدل معوش واخبرها لتلاميذ المدرسة بعد ذهابه مع مخائيل المطوشي الى ام المدائن واخذهـا عنه سمعان عواد وحفظها في ترجمة بطريركنا المغبوط قال انه لما كان البطريرك اسطفـان في جبل الشوف يتفقد الرعية في قرية الباروك قدم رجلان من الدروز وتوسلا الى كاتب البطريرك وموازيه ان يتنازل ويمر بالقرب من حوانيتهم لانهم كانوا صبّاغين وتعبوا كثيراً في هذه الحرفة ولم يدركوا التوفيق واقروا ان رجاهم وطيد بصليب بطريرك الموارنة وانهم يلتمسون منـه ان يرسم الصليب عَلَى ادواتهم · فبلغ امرهم حبرنا المطوّب فامر ان يمروا بحوانيتهم ولما وصل اليها رفع يده وامرهم ان يرموا الانسجة في الصباغ فمسكت بها الالوان واصطلحت امورهم · قال البطرك سمعان عواد بعد كلامه عن هاتين الآيتين : انا بنفسي اشهد بهذا كله لان العجيبة الاولى قد شاهدتها بعيني ولمست بيدي الصخرة التي اوقفها البطريرك اسطفـان والثانية رواها صديقي ورفيقي الشماس حنا المذكور وحكاها لي الخوري ابرهيم الغزيري الذي ذهب بنا الى رومة ·

وقيل انه كان عَلَى طريق حصرون صخرة كبيرة وفي هذه الصخرة كان يترأى الشيطان بصورة قرد ويخيف العابرين ويؤذيهم فلما كان

البطريرك اسطفان مرة ما في حصرون طلب اليه الحصارنة ان يرفع يمينه عَلَى الصخرة المذكورة ويرسم اشارة الصليب ففعل وامر العابرين من هناك ان يسموا ذواتهم بسمة الصليب المقدس · فتوارى الروح الشرير ولم ينظره احد بعد ذلك

وقد عثرنا في صفيحة قديمة العهد على خبر المعجزتين الاتي ذكرهما : شرب رجل من آل حماده نخب مار اسطفانس فتعارضه احد ارفاقه وفاه بحق البطريرك المذكور بكلام غير لائق لكنه ما فرغ من كلامه الا ووقع مصروعاً عَلَى الحضيض فلما شاهد النصارى الحاضرون ما كان من امره تناول احدهم قدح خمر ورماه في الجو وقال : سرك يابطرك اسطفانس فوقع القدح الزجاج عَلَى الحجارة ولم ينكسر ولم يرق ما فيه : قال المؤرخ المجهول : هاتان الاعجوبتان سمعتهما من الشماس عازار المقدسي الذي شاهدهما بعينه ·

وقد صنع الله بشفاعة صفيه اسطفانس معجزات اخرض ضنّ علينا المؤرخون بها ونحن قد اوردنا في الاسطر السابقة كل ما وجدناه في المصاحف القديمة نشراً لعبير قداسته وبنياناً للقارىء وخدمة للتاريخ وفي الفصل الآتي سنذكر ان شاء الله الايات التي حدثت بعد وفاة بطريركنا المثلث الطوبى

الفصل الثاني عشر

في اخر حياة البطريرك اسطفان وانتقاله السعيد

قد تكلمنا طويلاً في الفصول السابقة عما طرأ عَلَى الجبة من حكم آل حمادة وعن الشرور والحروب التي صارت بسببهم فكان من ذلك ان الباب العالي اصدر امراً بعزلهم عن الحكم وبتولي غيرهم عَلَى مقاطعات شمالي لبنان . لكن تنفيذ الاوامر السنية كان موكولاً الى ولاة طرابلس وكان هولاء ينزعون منهم الحكم تارة وطوراً يردونهم الى مراكزهم ويطلقون لهم العنان في تدبير الرعية . ففي سنة ١٦٩٣ لما تسلم ارسلان باشا ايالة طرابلس عرض عَلَى الامير احمد المعني ان يتولى المقاطعات التي بيد المشائخ الحمادية ويكف اذاهم عن الايالة المذكورة فامتنع ابن معن وكثرت الفتن واستعرت الحرب بين ارسلان باشا والحمادية وكل من انتصر لهم . وسنة ١٦٩٧ نُقل ارسلان باشا من ايالة طرابلس الى امارة الحج ونصب موضعه اخوه قبلان باشا

وفي شهر ايلول كانت وفاة الامير احمد بن معن وبه انقرضت الدولة المعنية العادلة فاجتمع اعيان بلاد الشوف من امراء ومقدمين ومشائخ واختاروا الامير بشير الشهابي خلفاً له الا ان الباب العالي امر بتنصيب الامير حيدر بن موسى الشهابي ابن ابنة الامير احمد فوقع الامر بيد ارسلان باشا حين رجع من امارة الحج فاحتج ارسلان المذكور عن الامير بشير انه كفوء ولا يليق احد غيره وانه قام برضى اعيان المقاطعات . ثم

في سنة ١٦٩٨ عاد ارسلان باشا الى ولاية طرابلس ونقل اخوه قبلان باشا الى صيدا ولما كان الشيخ مشرف بن علي الصغير قد قتل قوماً من عسكر الدولة وقصد العصيان استنجد عليه قبلان باشا بالامير بشير فجمع هذا نحو ثمانية الاف وقبض عليه وعلَى اخيه · فقلد قبلان باشا الامير بشير محافظة ايالة صيد من بلاد صفد الى جسر المعاملتين ورُزق الامير حظوة ليس فقط عند قبلان باشا بل عند اخيه ارسلان ايضاً وشفع في بيت حماده الذين كانوا لجأوا الى سالفه المغني وارجعهم الى مواطنهم وضمن كل خراب واذى يحدث منهم · فرجع الحماديون الى ما كانوا عليه قبلاً ولم تلبث البلاد طويلاً في الراحة بعد رجوعهم لانهم سنة ١٧٠٣ افتتنوا فيما بينهم وقام الشيخ عبد السلام ابن الشيخ اسماعيل علَى بيت الشيخ احمد حكام جبة بشراي فقدم الاول الى الجبة وهزم بيت الشيخ احمد الى الهرمل واقام في الجبة شهراً وخمسة ايام وحضر اليه البعض من اعيان الجبة خوفاً من اذاه وهرب الباقون فخنق من عملهم وفرض دراهم علَى القرى واخذ طاسات النساء وسلاح الرجال والحنطة وغير ذلك وكتب الى طرابلس يلتمس الولاية على الجبة فوعدوه بها في السنة الجديدة [1] .

لكنه لم يتمكن من ذلك بسبب رجوع الشيخ عيسى ابن الشيخ احمد من الهرمل الى الجبة واستيلائه علَى المقاطعة · والشيخ عيسى المذكور لم يكمل ايفاء المال قبل انهزامه فلما رجع الى الجبة شرع في جمع الدراهم المتبقية عليه ليؤديها الى متسلم طرابلس وبحسب عوائد طائفته لم يستحرم

١ · عن تاريخ الازمنة

سبيلاً للوصول الى غايته المذكورة · فحضر الى دير قنوبين مع جمهور من
ذويه وطلب من البطرك مبلغاً من المال فلم يستجب طلبهم فغضب عيسى
المذكور وصاح بالبطريرك وخاصمه ورفع يده الشقية ولطمه لطمة قويــة
اوشكت ان ترميه الى الارض لو لم يستند الى الحائط فوقع المنديل من على
رأسه · اما البطريرك فاحتمل هذه الاهانــة بصبر ولم يجبن او يفشل ولم
يطرد من الدير اولئك الظالمين الانذال · بل صعد الى غرفته وكتب الى
الشيخ حصن الخازن واخبره بما جرى له

والشيخ حصن المذكور هو ابن فياض المعروف بابي قنصوه وحفيــد
ابي نوفل الشهير وكان ابوه كبير اخوته من امرأة ابي نوفل الثانية وكان
مع الامير احمد معن ابن الامير يونس لما قتل اخاه قرقماس وحين ضرب
الامير قرقماس رفع رجل سيفه وضرب الامير احمد فجرحه في عنقه لكن
فياض قبل ان تنزل الضربة عَلَى الامير ضرب القاتل وجندله وحمى الامير
الجريح بشماله ودافع عنه باليمين الى ان بعد الاعداء · ثم بعد الموقعة التي
صارت في بيروت فوق برج الكشاف بين اليمنية والقيسية وانكسار اليمنية
وانهزامهم تولى الامير احمد المذكور حكم البلاد وقدّم الشيخ فياض · ثم
بعد ذلك قامت الحكام والعساكر عَلَى الامير احمد وهرب من امامهم الى
حاصبيا فاعاده السلطان مصطفى الى مقامه الاول فعين تفنجيــاً في البقاع
الشيخ حصن بن فياض ووكل اليه جمع الاموال من بلاد جبيل ايضاً ·
وبعد ان غزا المتاولة عشقوت وقرى كسروان بايعاز آل حمادة سعى حصن
بطردهم من البلاد وعزلهم من الحكم واصدر اوامر شاهانية بذلك وتقدم

حصن عَلَى جميع معاصريه وعظمت ثروته كثيراً

فلما انتهى اليه كتاب البطرك غضب جداً وجهز نيفاً واربعماية جندياً وارسلهم مع اخيه الشيخ ضرغام الذي اشتهر بقوته الزائدة ومهر بضرب السيف ورماية البندق ثم دخل في سلك الكهنوت وصار مطراناً ثم بطريركاً كما هو مشهور

وكان مع الشيخ ضرغام اثنان من اولاد عمه وهما الشيخ موسى طربيه [1] والشيخ نادر بن خاطر [2] وامرهم حصن ان يأتوا بالبطريرك الى كسروان وعند وصولهم الى قنوبين علم الشيخ عيسى بامرهم وجاء الى البطريرك طالباً منه السماح عن كل ما صدر منه . وبات عيسى تلك الليلة خارج الدير في العليّة التي بات فيها الفرسان والخيل وفي الغد دخل الدير وصعد الى السطح حيث كانت جنود الشيخ ضرغام عَلَى صفين وبعد وصوله بقليل خرج البطريرك من قلايته وتقدم على السطح في وسط العسكر وجلس عند طرف السطح مع الشيخ ضرغام المذكور فاتى اليه الشيخ عيسى ووقف امامه كالمذنب امام ديانه وطفق العسكر يهزأ به وينتفون عمامته وهو لا يبالي . ثم اخذ البطريرك الى ناحية وحده ووقع عَلَى قدميه قائلاً : اسألك يامولاي ان تغفر لي زلتي ولا تنتقل الى

---

١ . طربيه ابن ابي نوفل ويعرف بابي ظاهر وهو جد اولاد موسى واخرهم بشاره جفال وقبره في كنيسة مار ضوميط في زوق ميكائيل مع ابنه موسى كما يشهد بذلك التاريخ الذي فوق باب الكنيسة المذكورة .

٢ . وخاطر ابن ابي نوفل وجد بيت ابي سرحان .

كسروان وانا قداعك من الان ورهين امرك في كل ما تريد وان شئت تدوس رقبتي الان فافعل ما تشاء · وكان سبب خوفه من ذهاب البطريرك الى كسروان ان يعزل من الحكم ويسقط من عين شفيعه الامير بشير · فاجابه السيد البطريرك : « اني اغفر لك جميع ما فعلته معي واني لمستعد واشتهي ان احتمل اكثر من ذلك حباً بسيدي الذي لاجلي تألم ومات · لكن شعبي لا يدعني ان امكث في الجبة · » وهمّ المشائخ الخوازنة ان يبطشوا بعيسى فنهاهم غبطته ورجع الشيخ عيسى الى مكانه · وفي اليوم الرابع والعشرين من كانون الثاني تأهبوا للسفر لكنهم خافوا من المطر اذ رأوا البروق والرعود والرياح المنذرة بقرب انحدار الغيث فعدلوا عما نووا وقالوا نمكث في الدير الى ان يصفو الجو فقال لهم البار : قوّوا ايمانكم ايليا حبس المطر ثلاث سنوات وستة اشهر ونحن بقوة ذاك الذي سمع دعاء ايليا نمنع المطر فلا ينحدر حتى نصل الى قرية غزير : وهكذا صار لانهم في ا لحال خرجوا من الدير واستمروا في الطريق ثلاثة ايام حتى وصلوا الى قرية غزير في كسروان مع ان الرياح كانت ثائرة والغيوم متلبدة ووقع مطر في محلات كثيرة في غضون سفرهم · ولما دنوا من غزير خرج لاستقباله عموم الاهالي بالاهازيج واصوات البنادق يتقدمهم المشائخ بنو حبيش واخذوا يتنازعون وكل منهم يريد ان ينزله في داره · فقال لهم : اسرعوا بنا قبل ان يدركنا المطر فما بلغوا البيوت حتى وقع المطر بغزارة عظيمة وعقبه الثلج حتى بلغ ساحل البحر وقد عاين هذه الآية جميع من كان معه وشاعت اخبارها في كل مكان وشهد بحقيقتها الشيخ درغام

ورواها تكراراً بعد ما جلس عَلَى الكرسي الانطاكي

ولما خرج من دير قنوبين توجه الى مغارة البارّة مارينا حيث مدفن البطاركة وجثا عَلَى ركبتيه وصلى بخشوع كالاباء الاقدمين وطلب من الله قائلاً : اللهم اسألك الآ تميتني خارجاً عن كرسيَّ ولا تجعل مدفني بعيداً عن اسلافي :

وحال وصوله الى غزير تلقته الرعية بفرح لا يوصف وتوافدت الناس من سائر القرى لتأخذ بركته ومن ازدحام الشعب الذي خرج للقائه لبس الغفارة ومسك الصليب وركب فرسه واخذ يبارك الجمع واعين الكل شاخصة اليه . وبعد ذلك صعد الى دير مار شليطا مقبس وسكن الدار التي ابتناها لاجل احتياج البطاركة وهناك قدم اليه المطارنة والمشائخ ووردت الهدايا من جميع الجهات . ومكث في كسروان نحو ثلاثة اشهر الى ان اتته مكاتيب من والي طرابلس عَلَى يد الخواجه طربيه الماروني ترجمان ملك افرنسة من ضمنها الامان وان يرجع الى كرسيه

فكتب له من طرابلس الكتخذا ما نصه .

« انه بلغنا ما صار عليك من هالمتلاعب عيسى سوّد الله وجهه فهالشيء ليس يرضى فيه حضرة افندينا المحترم حفظه الله تعالى ولكن سعادته مزاجه كان مشوشاً فما اعلمناه حتى لا ينزعج خاطره الشريف فلزم اننا حررنا مكتوباً للمير بشير نخبره بهذه الامور الردية وحررنا ايضاً مكتوباً الى اسمعيل (حماده) وطلعنا في شلّه وما خلّينا عليهم مغطّى انشاء الله تعالى يلاقوا فعلهم وبيشاهدوا الندامه فالمراد تطيبوا خاطركم ولا يجي في بالكم

الا كل خير نحن هذه الامور ما نسكت عنها قطعاً . »

الحاج اسلام كتخذا

وبعد ذلك كتب اليه الامير بشير الشهابي الاول وهو الذي استلم مقاطعات بني معن في لبنان الجنوبي كما قلنا وبما ان كتابات هذا الامير نادرة جداً اثبتنا ما وجدناه منها نقلاً عن الاصل المحفوظ في الخزانة البطريركية :

الى حضرة اعز الاصدقاء والمحبين البطرك اسطفان المكرم حفظه الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق الى رؤياكم في خير وعافية وبعده بلغنا ان الشيخ عيسى نزل لعندكم وصار منه تنكيد في حقكم واخذ منكم دراهم بغير وجه حق ونحن هذا الشيء ما منرضى فيه خصوصاً في حقكم ونحن ارسلنا الى الشيخ عيسى مكتوباً نعرفه خاطرنا بالكلية ونتلاوم عليه عَلَى هالفعلة التي صدرت منه في حقكم المراد انكم تكونوا طيبين الخاطر من سائر الوجوه وتظلوا في مواضعكم ولا تقدموا قدامكم الا كل مليح انشاء الله ما بقي عليكم اضامة لانكم محبون وعَلَى كيسنا لا يخطر في بالكم الا كل خير ولا تقطعوا اخباركم عنا والدعا :

بشير شهاب

وبالوقت نفسه كتب الامير المذكور الى آل خازن بهذا الخصوص :

الى حضرة اعز المحبين المشائخ الخوازنة المكرمين

اولاً مزيد الاشواق الى رؤياكم في كل خير وعافية وبعده نعرف محبتكم بسبب احوال البطرك اسطفان ونحن يعلم الله تغلثنا بسببه لاجل

خاطركم وناموسكم وحررنا مكاتيب الى الجماعة بسبب ذلك والان تفاوضنا مع عزيزنا الشيخ خالد وعرفناه خاطرنا تكونوا من كلامه علَى وثيقة وانشاء الله ما فيه الا كل خير وكل شيء في محله يتم قصدنا اعلامكم بذلك والدعا :

بشير شهاب

وكتب آل حمادة وثيقة اليك نصها :

وجه تحرير الاحرف هو انه اجتمعنا نحن وحضرة اخوانـنا المشائخ الخوازنة وتكلمنا معهم بسبب رجوع حضرة محبنا البطرك الى ديره وطلبوا منا هـذه الشرطية بيدهم بخطنا وختومتنا بان الخرج المعتاد مايه وثلاثة واربعين قرش بكل سنة ما نكلف الدير درهم الفرد ولا ذخيرة ولا احد من ناسنا وجماعتنا ينازعوه ولا لهم عنده شغل ويكون عندنا مكروم معزوز ورزقه ورهبانه واجراته لهم عندنا الناموس والحماية والرعاية بسواب ناسنا ور بعنا وحررنا هذه الوثيقة بيننا لاجل البيان والاقامة علَى هذا الشرط تحريراً في شهر شوال سنة ١١١٥ صح

عيسى حماده اسماعيل حماده

الختم الختم

فبهمة المشائخ الخوازنة قام من كسروان في التاسع عشر من نيسان وتوجه نحو الجبة وكان وصوله الى قنوبين يوم السبت في السادس والعشرين من الشهر المرقوم وكان فرحه وسروره لا يوصف حتى ان الرهبان وكل من كان معه اندهلوا مما كان يظهر منه . وفي الغد يوم الاحد اقام قداساً احتفالياً ومنح الغفران للذين رافقوه من كسروان الى

قنوبين وبعد الغذاء ودعوه وباركهم وشيعهم الى خارج الدير ولما توجهوا
اراد ان يعود الى قلايته فلم يستطع ان يمشي خطوة واحدة فحمله شماسه
وهو يشكر الله ويقول : اشكرك يا ربي لانك استجبتني وما جعلت لي
ميتة الا في كرسيَّ ولا دفنة الا مع البطاركة اسلافي : ثم التفت الى شماسه
وقال له : قد وصل زمان نياحنا · من زمان كثير نحن في الكرسي فيجب
ان نترك الكرسي لغيرنا : وبالحقيقة ان تدبير الله نحو عبده هذا لعجيب
لانه سمع ما طلب منه حين بارح قنوبين متوجهاً الى كسروان لما جثا عَلَى
قبور البطاركة في مغارة القديسة مارينا وتوسل اليه توسل يعقوب في
مصر وطلب منه باكياً ان لا تكون عظامه في ارض غريبة بل تجتمع مع
عظام الاحبار المبرورين الذين سلفوه عَلَى كرسي قنوبين وتستريح في ذاك
الوادي المقدس وتلك المغارة التي عطرتها مارينا بعبير فضائلها وصلى فيها
البطاركة الاطهار وجاهدوا في ظلها جهاد الشهداء الطوباويين · فقاده الله
بعنايته الابوية الى الارض التي طلب ان يموت فيها · فمن هذا وغيره ومن
الكلام الذي فاه به عند شعوره بالمرض يتضح انه كان شاعراً بوقت
انتقاله من هذا العالم

ولما بلغ الى غرفته رمى ذاته عَلَى الفراش وصار المرض يثقل عليه من
ساعة الى اخرى ويوم الثلثاء اشتدت وطأته عليه فاحضروا له طبيباً ماهراً
من طرابلس فحضر حالاً ومكث يومين يعالجه فلم تنجع المعالجة ولما نظر
تقدم المرض واشتداده المتواصل رجع الى طرابلس يوم الجمعة ليأتي بادوية
ترجى منها فائدة للعليل فشعر البطريرك بذهابه وعلم نيته فقال للحاضرين

ان الطبيب لا يجده في الحياة عند عودته من طرابلس لانه سوف يموت في غيابه وحقق كلامه واقع الامر

اما البطريرك المغبوط فلما عرف بدنو اجله لم يحزن ولم يجبن وظهر اكثر من عادته فرحاً مسروراً ملاطفاً كل من اتى يعوده · وكان يرتل مزامير وصلوات مختلفة ويتلو الطلبات وميامر القديسين واقوالهم وكان يطلب من اساقفته ورهبانه او من الحاضرين عنده ان يشتركوا معه بالصلوة ويرتلوا معه · واكثر الاوقات كان يرتل المزمور ܫܒܚܘ ܠܡܪܝܐ ܡܢ ܫܡܝܐ ܫܒܚܘܗܝ ܒܡܪ̈ܘܡܐ « سبحوا الرب من السماوات سبحوه في الاعالي » الى اخره · داعياً مع المرتل روساء الملائكة وطغمات الملائكة الى تسبيح سيده اذ كان غير قادر عَلَى ذلك بذاته شكراً له عَلَى الخيرات والنعم التي افاضها عليه في حياته كلها

وبقي الى اخر ساعة يهتم بامر طائفته ورعيته ويقضي مصالح ابنائه حتى اضطر المطارين والرهبان ان يزجروا اصحاب الدعاوي والمهمات ويطلبوا منهم ان ينصرفوا الى وقت اخر قائلين : دعوه يموت في السكينة :

ويوم الجمعة عند الساعة التاسعة من النهار طلب ان يأتوه بالزاد الاخير فنزل المطارنة والاساقفة ورهبان الدير وغيرهم الى الكنيسة وحملوا القربان المقدس وخرجوا منها بزياح ولما وصلوا امام غرفته وقفوا جميعهم خارجاً وطفقوا يبكون ورفعوا صوت نحيبهم فسمع البطريرك صراخهم فانتهرهم وقال لشماسه : الم يعاينوا احداً يموت غيري : اما هو فلم يضطرب من دنو الموت لانه كان يشتهيه وينتظره في كل وقت قائلاً مع الرسول:

اشتهي ان انحل واكون مع المسيح : ثم دخل الى القلاية المطران الذي كان حاملاً جسد الرب مع بعض الشمامسة لا غير . فتناول البطريرك الجسد المقدس بعواطف المحبة الحارّة وعبادة لا توصف وكان يرغب ان يتقرب بيده لو لم يمنعه المرض عن ذلك . ورجع المطارنة والرهبان بالقربان الى الكنيسة وخرّوا عَلَى الارض امامه واخذوا يتلون الطلبات والصلوات لاجله .

وعند نصف ليل السبت عطش وطلب ماءً ليشرب عَلَى شبه سيده الذي عطش عَلَى خشبة الصليب . ثم حلّ المربوطين والمحرومين وبارك بني رعيته الحاضرين والغائبين ثم من تلقاء ذاته ضم يديه الى صدره عَلَى شكل صليب وبعد هنيهة اعتقل لسانه ولم يمض القليل حتى اطبق عينيه عن هذا العالم واسلم روحه الطاهرة بيد الله وانتقل من دار الشقاء الى الراحة الخالدة ليقبل جزاء الرعاة الصالحين مع اثاناسيوس وباسيليوس والذهبي الفم ومع سلفائه البطاركة المغبوطين وكل الذين ضاهوهم في خدمة الله وتدبير بيعته . وكان ذلك في سحر السبت في يوم الثالث من ايار سنة ١٧٠٤ بعد ان جلس عَلَى الكرسي الانطاكي اربعاً وثلاثين سنة الا سبعة عشر يوماً لانه ارتقى كرسي البطريركية في ٢٠ ايار سنة ١٦٧٠ . وكان له من العمر ثلاث وسبعون سنة وتسعة اشهر وبقي الى اخر حياته كامل القوى والحواس صحيح السمع والبصر . وكان معتدل القامة واسع الوجه مهيباً طويل اللحية اقنى الانف مفروق الحاجبين بهي العينين

فانزلوه حينئذٍ من قلايته الى الكنيسة باحتفال واجلسوه عَلَى

كرسي أُعدَّ له والبسوه الحلة الحبرية ووضعوا على رأسه تاج المجد وبيساره عصا الرئاسة وبيمينه الصليب الكريم ووشحوه بدرع كمال الرئاسة · ولم يتغير بهاء وجهه عما كان سابقاً حتى ان الذين حضروا الى الدير ولم يعلموا بموته لما رأوه على الكرسي ظنوه حياً وكان النور يتدفق من محياه فقال بعض الناظرين : ان هذا الوجه ليس بوجه انسان بل بوجه ملك ·

ولما طار خبر وفاته تقاطرت الجموع الغفيرة من اكليروس وعلمانيين من قرى جبة بشري وغيرها وعجَّ الوادي بصوت نحيبهم عَلَى ابيهم المغبوط وبكاه الاساقفة والاعيان ورثاه الادباء وفي مقدمتهم القس جبرائيل فرحات الحلبي الشاعر الماروني الشهير وطفق الجميع يحيون ذكره ويخبرون عجائبه وفضائله ويصفون تقواه العميقة وسيرته الصالحة واتعابه في وجه الطائفة وعلم الجميع انها رزئت رزءاً جسيماً بفقده واخذوا ينوحون ويدعونه كالخراف راعيها لانه كان مشيداً عز الطائفة ورافع اعلام مجدها بين الامم وضاهى بالعمل والعلم اسلافه البطاركة العظام الذين جلسوا عَلَى كرسي انطاكية المقدس وجعل طائفته وردة بين اشواك الارطقات والكفر وقوَّاها عَلَى الثبات في طاعة الكنيسة لتكون بين الملل كالصخرة تلاطمها الامواج وهي لا تتزعزع · وعند نهاية الجناز حمله الاكليروس باحتفال يتقدمهم الصليب المقدس والبخور والمصابيح الى مغارة القديسة مارينا حيث اشتهى ان ترقد رفاته المباركة وأُودع التراب بين سلفائه بالاكرام

وبعد انتقاله طار خبر وفاته الى كل الامصار فالبطريرك جبرائيل

البلوزاني الذي خلفه عَلَى الكرسي البطريركي كتب بتاريخ غرة آب سنة ١٧٠٤ الى المجمع المقدس وقال : ان سالفنا البطريرك اسطفان المرحوم ما مات الا من زود الاهانات والبلص والضرب والتشتيت عن كرسيه : وكتب الى تلاميذ المدرسة الرومانية مبيناً عظم الخطب الذي الم بالطائفة وافاض في الكلام عَلَى فضائله وقداسة سيرته قائلاً : ايها الاولاد الاحباء ربما بلغكم انتقال سالفنا المرحوم مار اسطفانس البطريرك الانطاكي من عالم الشقاء الى عالم البقاء نسأل الله الذي نقله اليه ان ينيح نفسه مع الآباء الابرار ابرهيم واسحق ويعقوب والرسل الاخيار صحبة الذين بيّضوا حللهم بدم الخروف السماوي . فوا أسفاه على تلك القامة بل واحسرتاه عَلَى تلك العبادة وتلك الغيرة وتلك الاناة والعلم العميق . . .

وهكذا المطران يعقوب عواد كتب الى الشماس يوحنا وهبه ابن اخي البار اسطفانس والى الشماس يوسف السمعاني وقال : واأسفاه عَلَى قداسة حياته وطهارته . لكن هذا امر الباري وحكم جاري :

والشماس يوسف بن جرجس الحلبي الماروني كتب الى تلاميذ رومة قائلاً : صوت سمع في لبنان . الموارنة يبكون وينوحون عَلَى ابيهم ولم يريدوا ان يتعزوا لفقده لانه لم يكن :

ويردف قوله بهذه العبارة : قد يبس السوسن وذبلت الوردة وانتهت التعاليم وكلت القداسة : وابن اخيه الشماس يوحنا السابق ذكره كتب في مقدمة مجموع الحوادث الذي سبقت الاشارة اليه : ياحيف عَلَى تلك القامة المستقيمة واحزناه عَلَى ذلك العقل الدقيق والعلم العميق وعَلَى تلك

العبادة والقداسة والطهارة والتواضع · واحسرتاه عَلَى تلك الغيرة القوية عَلَى عز الطائفة وارتفاع شان البيعة · الى غير ذلك من عبارات الاسف عَلَى فقده

وقد احببنا ذكر اقوال الذين عرفوه بحروفها لاجل رقة معانيها وخلوص عواطف الذين كتبوها ونحن بعد ميئات السنين تغرورق اعيننا بالعبرات عند قرأتها وبالحقيقة ان الرجال الذين عَلَى مثال الدويهي لا تبخل عليهم الاجيال بدموعها ويعشق الخلف مناقبهم الحميدة ويكبر ذكرهم مع مرور الاحقاب

وبعد موته شاء الله ان يعطي الآيات بشفاعته كما كان يفعلها في حياته ونحن نختم ترجمة البطريرك اسطفان المغبوط بذكرها نقلاً عن رواية البطريرك سمعان عواد

قال المؤرخ المذكور عن ذاته : انا سمعان عواد بينما كنت راجعاً من رومة مع رفيقي الشماس يوحنا وهبه عصفت الرياح وتعالت الامواج فانزعجنا جداً وبعد ما اقبل المركب بنا الى احدى المين اختلفت الريح وردته الى الوراء فاشرف عَلَى الغرق · فتوسلت الى البار اسطفانس وقلت : يامار اسطفانس اشفع بنا ونجنا من هذا الضيق وبلغنا الميناء بالسلام · ونذرت تتميم سيرته اذ كنت ابتدأت بها قبل سفري من رومة · فسكنت الريح والامواج وبلغنا المينا سالمين :

واخبر ايضاً اية اخرى شاهدها بنفسه قال : ان ابرهيم جلوان السمراني احد تلامذة المدرسة مرض مرضاً ثقيلاً واشتدت عليه حمى

خبيثة واشرف عَلَى التلف فجاءه معلم اعترافه بذخائر القديس لويس والقديس اغناطيوس فلم يشعر بفائـدة ولم ينل فرجاً فلما رأيته انا سمعان عواد بهذه الحالة اخذت كتاباً من كتب البار اسطفانس ووضعته عَلَى راسه وقلت مصلياً : اللهمَّ الذي زينت حبرك بالفضائل والاستحقاق اسأَلك انه كما كان لنا اباً على الارض فليكن لنا شفيعاً لديك ونسألك بواسطته ان تشفي عبدك هذا · ثم فتحت الكتاب وقلت له ان يقبل خاتم البطريرك وخط يده وجعلت الكتاب فوق راسه ونزلت الى العشاء · وبعد قليل صعدت الى غرفته فاخذني العجب لاني فارقته مضطجعاً يتقلى من شدة الحمى ووجدته عند رجوعي اليه جالساً معافىً · وتعجبت مع اخوتي التلاميذ الذين عاينوا الآية ومجدنا الله تعالى

ومن الآيات التي صنعها بعد موته ان رجلاً من قرية بلوزا واسمه بطرس كيش كان مضنوكاً بمرض عضال من زمان طويل فطلب من ذويه ان يحملوه الى مغارة القديسة مارينا حيث قبر البطريرك اسطفان ليطلب شفاعته ويستغيث به فحملوه الى المغارة المذكورة ووضعوه عَلَى قبر البطريرك وتركوه ودخلوا الدير للغذاء · فاخذ المريض يتوسل اليه فتراءى له القديس بصورة بهية لابساً الحلة الحبرية وعَلَى راسه تاج الرئاسة وعَلَى منكبيه درع كمال السلطان البطريركي واذا برائحة لذيذة عبقت بها المغارة فطفق المريض يتوسل ويبتهل بحرارة فخاطبه البطريرك بالفاظ عذبة قائلاً : يابطرس كيش ماذا تريد · فاجابه : ياسيدي ان اشفى · فقال له : المسيح يشفيك · وتوارت الرؤيا فنهض بطرس واخذ يمشي

مستوياً ودخل الدير مخبراً بما جرى له فعجب من ذلك الذين اتوا به محمولاً والحاضرون ومجدوا الله · وبينما كان راجعاً الى بيته التقى براهبين فرنسيسيين فقص عليهما الاعجوبة · فلم يصدقاه حتى اثبت خبره بالقسم عَلَى الانجيل الطاهر

وقد حدث مثل هذه الآية مع بركات بن رزق ومع الياس محاسب الغسطاوي الذي صار بعدئذ مطران عرقا

وقيل ان البطريرك اسطفان لما كان آتياً الى كسروان مرّ بمحل يسمى وطا البربارة في بلاد جبيل عَلَى طريق البحر فوجد بعض الفلاحين يحرثون الارض الصعبة تاركين الجيدة بوراً · فسألهم عن سبب ذلك فقال له احدهم : يامعلم (لان سكان تلك القرى من الطائفة الملكية) ان في الارض الجيدة دودة تاكل الزرع حين تخرج اسباله فتركناها · فطلب منهم البطريرك ماءً وصلّى وامرهم ان يرشوه عليها ففعلوا وزرعوا الارض فلم تؤذها الدودة الى حين وفاته وحينئذٍ رجعت الدودة كما في السابق وتركت الارض فاتفق ان الشيخ يوسف الدحداح العاقوري كاتب الشيخ اسماعيل بن سرحال حمادة حضر الى تلك القرى لجمع الاموال الاميرية فقصوا عليه الحادثة فقال لهم : يذهب واحد منكم الى قنوبين ويسأل عن ضريح البطريرك اسطفان وياخذ من تراب ضريحه والقوه في حقولكم وازرعوها · ففعلوا كما امرهم وزرعوا الارض فاثمرت وهم يزرعونها الى الآن وشهد بحقيقة هذه الآية كثيرون

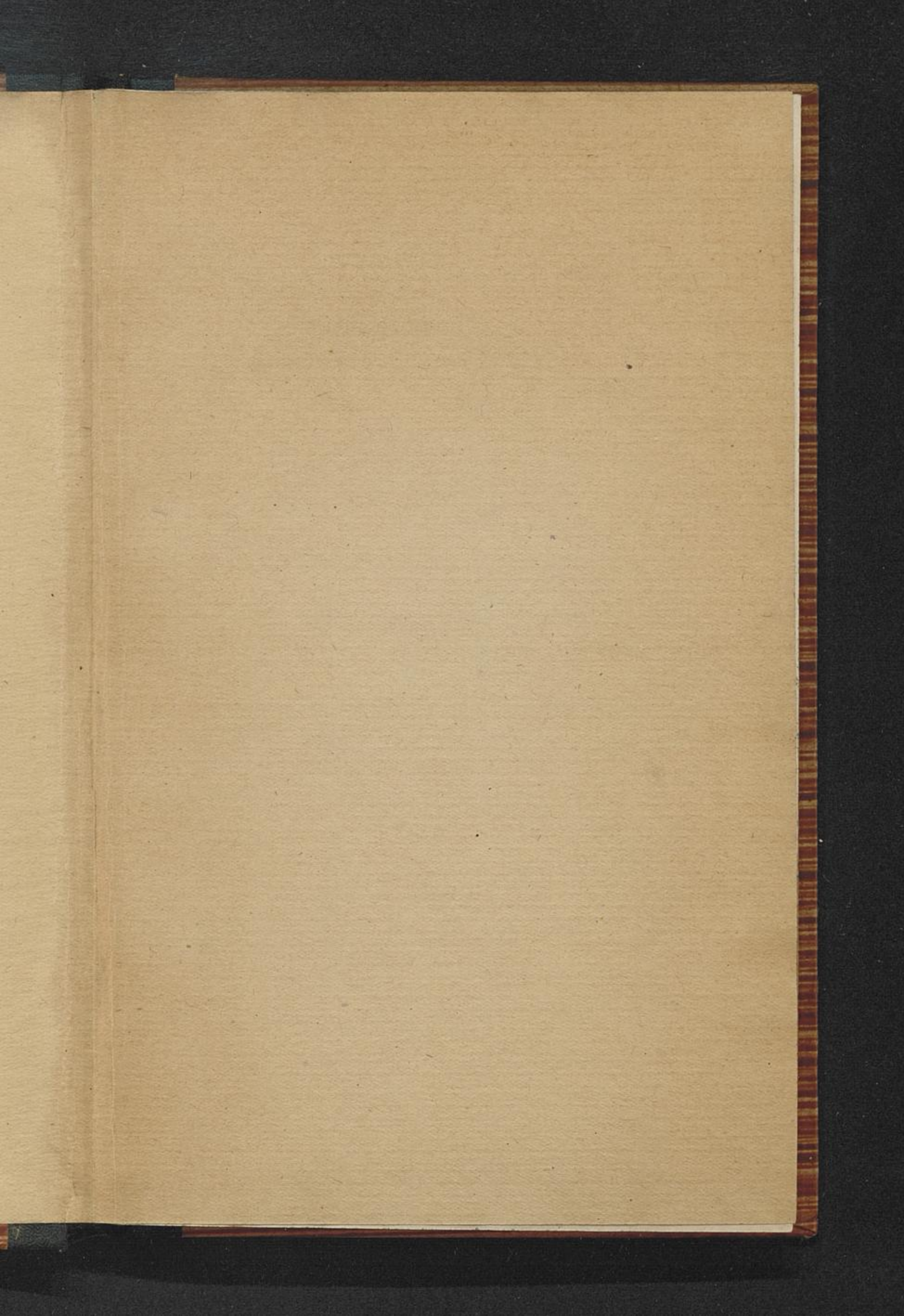
وكل الآيات السابق ذكرها كانت محررة باللاتينية ومحفوظة في

مدرستنا الرومانية وقد ارسلها للمدرسة المذكورة الشدياق مخائيل القرطباوي تلميذ رومة في العشرين من آب سنة ١٧٠٥ واثبت انه سمعها من الذين حدثت معهم

قال البطرك سمعان عواد ان المسقومين ياخذون من تراب ضريح الدويهي من مغارة القديسة مارينا ومن العشب الذي ينبت عليه ويتباركون منه ويشفون من سائر امراضهم وان من انكر ذلك لقد انكر ضوء الشمس

ونحن بالروح والشوق نجثو عَلَى حضيض تلك المغارة التي جثا فيها ابونا وفخرنا البطريرك اسطفانس ونطلب بشفاعته وشفاعة صاحبة المقام البركة لنا وللطائفة ونقبّل بعواطف حارة التراب الذي ضم اعظمه

فهرست



Tarǧamat abīnā al-maġbūṭ Isṭifānūs Buṭrus ad-Duwaihī

Chébli, Pierre

Bairūt, 1913

urn:nbn:de:hbz:5:1-199509